العقد المفصل
بالعجائب والغرائب
في دولة الشريف أحمد بن غالب

تأليف
العلامة الشيخ علي عبد الرحمن البهكلي

دراسة وتحقيق وتعليق
الشيخ محمد بن أحمد العقيلي



الحمد لله رب العالمين وازكى الصلاة واشرف التسليم على النبى الأمين وعلى آله وصحبه ومن اتبعه الى يوم الدين .

وبعد . فهذا كتاب (العقد المفصل بالعجائب والغرائب فى دولة الشريف أحمد بن غالب البركاتى)، وهو من المخطوطات النادرة التى تحتويها المكتبة العقيلية بـ (جازان) وهو في محتواه ومضمونه حلقة مهمة من حلقات تأريخ المخلاف السليماني ، ويأتي بحسب التسلسل في المرتبة الثانية بعد كتاب العقيق اليماني الذي اشتمل على تأريخ المخلاف السليماني من القرن الثامن الى سرار القرن الحادى عشر[1] .

❊❊❊

(١) كتاب العقيق اليمانى الذى اقوم الان بتحقيقه والتعليق عليه وقريبا ـ بحوله تعالى ـ سنقوم بطبعه .

« تقييم الكتاب »

المخطوط ـ كما أسلفنا من المخطوطات النادرة ، وأرجح ان وجد شيء من نسخه فهي لا تتعدى النسختين ـ هذا ان وجدت حسب ما علمته بعد البحث والتحرى ، وعلى كل حال فهذه المرة الأولى التى تنشر فيها نسخة هذا المخطوط .

أما من حيث قيمته التاريخية والعلمية والأدبية فهو :

١ ـ سجل تأريخ حقبة وان كانت قصيرة لا تتعدى الأربع سنوات ، فانها من الفترات الساخنة الحوادث ، اللاهبة الأحداث لم يعتن بها غيره ، إلا أن يكون أشير اليها فى لمحة خاطفة أو ايماءة عابرة .

٢ ـ استطرد فى المخطوط استطرادات أدبية ، وتأريخية ، وشرعية مفيدة تدل على مكانة المؤلف وغزارة علمه .

٣ ـ ان المؤلف ـ رحمه الله ـ عايش الأحداث وشاهدها فهو يورد ما شاهده وعاينه فجلى لنا صورة تأريخية صادقة وواضحة عن المنطقة خاصة وما حولها سواء أفى الحجاز أو اليمن ، وسياسات عصره وأحوال مجتمعه ومن له علاقات وارتباطات بهم أو معهم ، وحالة أهل المنطقة معيشيا واجتماعيا وطبقيا .

٤ ـ وضح لنا ما كانت عليه أكبر مدينتين في المنطقة وهما ابوعريش وصبيا . وأحوال البوادى والسلطة القبلية لبنى شعبة وما كان لها من صولات وجولات وغزوات ومحالفات في قبائل الحزون ممن كانوا يغزون تحت لوائها أو باسمها .

٥ ـ سجل بداية قيام سوق الأحد في وادى خلب وسوق الاثنين في بلدة صامطة وقد كتب اسم (صامطة) بالسين المهملة لا بالصاد ، كما نكتبه الآن ـ ص ٧١ .

٦ ـ أورد اسم سوق في أبى عريش باسم (سوق البانيان) ـ الهنود .

٧ ـ ذكر اسماء بعض القرى التي أصبحت غير موجودة في وقتنا الحاضر مثل :

أ ـ قرية أو مكان يسمى (الرنف) ـ ص ٣٧ ـ في أعلى وادى جازان ـ وهي بالطبع غير بلدة الرنف التي هى معروفة بهذا الاسم في بلاد عبس من تهامة اليمن .

ب ـ قرية (كوكب) في وادى ضمد ص ٦٢ .

جـ ـ قرية (الخرمة) في أعالي أبي عريش ، أو بين أبي عريش وضمد ، ص ٧٥ .

د ـ قرية جوه تقرن مع الجربة ص ٦٢ .

هـ ـ قرية (الجربة) تقرن مع (جوه) في وادى جازان ص ٦٢ .

بعد هذا التقييم المختصر قمنا بما يأتي :

١ ـ شروحات وايضاحات مختصرة في آخر كل صفحة لما يستدعي ذلك .

٢ ـ بعض التصحيحات الاملائية واللغوية .

« الدراسات والحواشى »

قمت ببعض الدراسات الموجزة كما يأتى :

ا ـ مقدمة .

ب ـ الافق الزمني وينحصر فيما يأتي :

١ ـ اكتشاف راس الرجاء الصالح .

٢ ـ الامبراطورية العثمانية التي شمل سلطانها البلاد العربية .

٣ ـ الحالة فى شرق الجزيرة وفى بلاد عسير .

٤ ـ الحالة السياسية في الحجاز .

٥ ـ علاقات المخلاف السليماني بالحجاز في الجاهلية والاسلام وما بعد ذلك .

٦ ـ علاقات المخلاف السليماني باليمن من القرن العاشر الى وصول أحمد بن غالب .

جـ ـ الحواشي والتعليقات والتوضيحات :

١ ـ حاشية على ما اورده المؤلف على كلمة (التأريخ) وتعليقاتنا عليها تأريخيا واصطلاحا وعلميا .

٢ ـ حاشية عن أحمد بن غالب ، حياته ، امارته في الحجاز ، تنازله ، امارته في المخلاف السليماني ، تبعيته السياسية للامام ، غايته ، نهايته .

٣ ـ حاشية عن الامام (الناصر) محمد بن احمد بن حسن بن القاسم ـ المهدى .

٤ ـ حاشية عن القاسم بن محمد المؤيد .

٥ ـ حاشية عن الحسن بن المتوكل .

٦ ـ حاشية عن أمير صعدة علي بن أحمد بن القاسم .

٧ ـ حاشية عن القاضي يحيى بن اسماعيل الجبارى .

٨ ـ حاشية عن مدينة وادي مور .

٩ ـ حاشية عن المعتمد بن عباد الأندلسي .

١٠ ـ حاشية عن بلدة المعنق .

١١ ـ حاشية عن الأمير عز الدين بن حسن القطبي .

١٢ ـ حاشية عن بلدة البار

١٣ ـ حاشية عن قبيلة بني شعبة .

١٤ ـ حاشية عن بيت صخر بن عمرو بن شريد السلمي .

١٥ ـ حاشية عن قرية خضيرة .

١٦ ـ حاشية عن وادي خلب وتأسيس سوق الأحد في بلاد المسارحة .

١٧ ـ حاشية عن الأمير حسين بن أحمد الخواجي أمير صبيا .

الأفق الزمني

١ ـ اكتشاف رأس الرجاء الصالح .
٢ ـ الامبراطورية العثمانية .
٣ ـ الحالة فى الحجاز .
٤ ـ شرق الجزيرة العربية .
٥ ـ عسير .
٦ ـ المخلاف السليماني والحجاز .
٧ ـ المخلاف السليماني والاتراك فى اليمن .
٨ ـ المخلاف السليمانى واليمن .

« اكتشاف غير مجرى التاريخ »

منذ اكتشف رأس الرجاء الصالح سنة ٩٠٤هـ ـ ١٤٩٨م فتح الباب على مصراعيه لأوروبا التي كانت قد قطعت شوطا حضاريا منذ بدء عهد النهضة الأوروبية التي نهضتها ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي ـ أول القرن التاسع الهجري ـ فأصبحت تتطلع الى الفتوحات والتسلط ، والبحث عن المجهول والريادة لمجالي الكون ، والتفتيش عن أسهل الطرق لتجارة الشرق والاتجار بسلعه وابتزاز خيراته .

لقد تم لأوروبا اكتشاف القارة الخامسة ، أو العالم الجديد ، قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح بنحو سبع سنوات ـ تقريبا ـ صدفة وكولمبس في طريق البحث عن أقصر طريق يوصل إلى الشرق بالاتجاه الى الغرب والدوران حول الكرة الأرضية ، فاذا هو يكتشف عالما وقارة ، فعاد الى أوروبا بالطريق التى سار منها ، وذلك قبل ان يكتشف (ماجلان) بعده الوصول الى أمريكا فالمحيط الهادى فالشرق .

ان الجهل الذى ران على ارجاء أوروبا طيلة القرون الوسطى حتى حجب عن انظارهم المعارف التى توصل اليها اليونان ثم الرومان فعاشت تلك القرون فى الظلام الدامس فى الوقت الذى قد سطعت الحضارة الاسلامية وترجمت علوم ومعارف اليونان وغيرها وبسطوا سلطانهم على أغلب العالم وقسم من أوروبا ، وبحكم اتصالهم بعرب الأندلس وصقلية وغيرهم وتعلمهم عنهم وترجمتهم لعلومهم ، كانت النهضة الأوروبية وما أفرزته من نهضة وأمجاد .

لا نحب أن نطوح بالقارىء الكريم الى متاهات بعيدة عن موضوعنا ، فما أشرنا اليه معروف حتى لطلبة المدارس .

ان اكتشاف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم الى الهند ثم تسلطهم على المواصلات البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندى والخليج واستئثارهم بتجارة الشرق اثار ثائرة مصر او بالأصح دولة المماليك ثم العثمانيين فهبوا لمناضلتهم ، وهبت أوروبا متمثلة فى دول هولندا والبندقية ثم انجلترا وفرنسا لمنافسة البرتغال تجاريا ثم سياسيا واستعماريا ، لأن اكتشاف ذلك الطريق الموصل للشرق بطريق البحر مباشرة سهل الاتصالات ، وكان حدثا تاريخيا له اهميته العالمية والتجارية والسياسية تمخضت عن وثبة حضارية ، وقفزة اقتصادية دعت اليها طموحات أوروبا التى افرزتها نهضتها وأوجبتها منطلقات حاجتها الى الامتداد السياسى والاقتصادي للحصول على مواد تجارية أو أولية ومجالات حيوية بالنسبة الى اوروبا وفي نفس الوقت قربت بين مواصلات العالم وايقظت الشرق من سباته وحفزت الى اليقظة الاسلامية والامجاد القومية وان كان ذلك قد كلفه الكثير ولايزال يكلفه وانما من سار على الدرب وصل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، واذا كان ذلك الاكتشاف نعده الآن لا شيء فقد كان له اهميته العالمية ، ونتائجه فهو كان من الأحداث العظمى التي غيرت مجرى التاريخ .

« الامبراطورية العثمانية »

بعد فتح القسطنطينية في يوم الثلاثاء ١٠ من جمادي الآخرة سنة ٨٥٧/ ٢٩ ـ ٥ ـ ١٤٥٣ ـ الذى كان من اعظم الفتوحات الاسلامية ـ سطعت عظمة الامبراطورية العثمانية واتجهت الى فتح الممالك المطلة على البحر الأسود فاستولت عليها ، ونشبت المعارك بينهم وبين دولة البندقية وبعد ١٦ سنة من القتال والحروب انتهت بهزيمتهم أمام الاتراك .

فاتجهت الى آسيا فاستولت جيوشها الظافرة على امارة (القرمان) ثم استأنفت فتوحاتها فى أوروبا حتى أصبحت أعظم قوة في ذلك العصر .

وبعد معركة (مرج دابق في رجب ٩٢٢ ـ ١٥١٦) استولت القوات التركية على حلب بله سوريا بأكملها ، ثم زحفت واستولت على مصر ، ثم دخلت الحجاز في طاعتها ، وجنوب الجزيرة اسميا ، أما فعليا فقد كان في سنة ٩٤٥ هـ ـ ١٥٣٨ م .

ظلت الامبراطورية في زخم قوتها في آسيا وأوروبا حتى دارت معركة (لابانتو) التي هي أول هزيمة بحرية تحيق بالاتراك ، وتزدهي بها دول أوروبا صلفا ، وتدق الكنائس اجراسها شكرا .

ومع ان الاتراك قد أخذوا في الاهبة وبنوا اسطولهم واستعادوا قوتهم وغزوا تلك الدولة التي هزمت اسطولهم ، وغزوا سواحل ايطاليا سنة ٩٨١ ـ ١٥٧٣ بعد سنتين فقط من تلك المعركة الخاسرة ، انتصرت تركيا وآرغمت ايطاليا على طلب الصلح ودفع الجزية الا انها لم تُدمل تلك القروح .

وفي سنة ١٠٠١ هـ ـ ١٥٩٢ م نشبت الحرب بين النمسا وتركيا وكلفت الاتراك الشيء الكثير كما كلفت النمسا ولم تخمد الا بعد ١٥ سنة ، شجعت أوروبا بأسرها على مناصبة الاتراك العدا والحرب .

وفي اثناء حرب تركيا مع النمسا اغتنمت فارس الفرصة فهاجمت بلاد الامبراطورية المتاخمة لها واستولت على بعضها وتم الصلح على أن تتنازل تركيا لفارس عن (تبريز وراوان وشروان) وغيرها . ثم استجدت الحرب بين الدولتين بعد سنتين عندما نشبت الحرب بين تركيا والنمسا من جديد . فهاجم الفرس البلاد العثمانية واستولوا على بعضها ومنها مدينة بغداد وذلك سنة ١٠٣٠ هـ ـ ١٦٢١ م ـ وظلت فى حوزتهم الى ان استعادها الاتراك سنة ١٠٤٩ هـ ـ ١٦٣٩ م .

وفى تلك الاثناء قامت ثورات في تركيا لمقتل السلطان عثمان ، وثورة الانكشارية ـ المعروفة ـ في عهد السلطان مراد الرابع ، كانت الأمور في داخل تركيا في غاية الاضطراب والتضعضع وعدم الاستقرار .

وما استقرت الأمور داخليا ـ نسبيا ـ حتى قامت تركيا بغزو جزيرة قبرص واستولت على

كثير من معاقلها ، الا ان دولة البندقية تدخلت في جانب القبرصيين ومن ورائهما اوروبا . وقامت ثورة في الرُّومَلِّي لم يخمد أوارها إلا بعد مجهود وتكاليف أرهقت جانب الدولة .

ومع ذلك فالحرب مستمرة في قبرص ومع دولة البندقية ، والاسطول البندقي يعترض طريق امدادات القوات التركية الى قبرص .

وفي سنة ١٠٦٥ هـ - ١٦٥٥ م هاجم الاسطول البندقي الاسطول التركي في ميناء الدردنيل والحق به أفدح الخسائر .

وفي سنة ١٠٨٣ - ١٦٧٢ قامت الحرب بين روسيا والاتراك ولم تنته إلا في سنة ١٠٩٠هـ ١٦٧٩م ولم تحظ الأخيرة بالنصر إلا بعد أن نالها من التضحيات والتكاليف البشرية والمادية والتنازلات السياسية المتمثلة في ما قدمته من الامتيازات ، لبعض الدول الأوروبية نتيجة الضغوط السياسية لقاء حيادها الوهمي وعدم مناصرتها لروسيا ، مما هو معروف في التأريخ .

وفي سنة ١٠٩٥ هـ - ١٦٨٤ م ارادت النمسا التهام (المجر) فاعلن السلطان الحرب التي انتهت بتدخل بولونيا الى جانب النمسا وهزيمة الجيش التركي وخسارته في ميدان المعركة لجميع مدافعه ومعداته غنيمة للعدو .

شجعت هذه الهزيمة دول أوروبا المتربصة بتركيا ، فقامت غير دولة باعلان الحرب ودارت المعارك فنال الاتراك من الخسائر ما جعل السلطان يتنازل عن العرش لاخيه سليمان الثاني ١٠٩٩ هـ - ١٦٨٨ م .

ان كل ما استعرضناه في هذه الخلاصة الموجزة صرَفَ عناية الاتراك عن شئون البلاد العربية ، أو التفرغ لمشاكلها وأحداثها . الى الاهتمام والاشتغال بما هو أهم في نظرهم من الوقوف في وجه المطامع الأوروبية التي تحركت لتصفية املاك الاتراك وفتوحاتهم الأوروبية ، وهذا ما نخاله مكّن أو ساعد على تحقيق نجاح الثورات الآتية ، ولو مؤقتا :

١ - ثورة أمير لبنان (المعني) الذي تساعده أوروبا بصورة غير مباشرة .

٢ - ثورة الامام القاسم بن محمد في اليمن ثم ابنه المؤيد .

٣ - ثورة آل حميد في الأحساء وشرق الجزيرة .

وعلى هذا فلنفصّل ما اجملناه هنا بدراسات موجزة لاطار الجزيرة العربية التي هي محور هذه الدراسة ، وعلاقات كل قطر من اقطارها مع تركيا ، وعلاقاتها مع بعضها البعض .

❋❋❋

« الحالة في الحجاز »

ان انتصار الامام المؤيد محمد بن القاسم على الاتراك في غير مكان من اليمن الأعلى والأسفل وأغلب تهامة رفعت رصيده في جنوب الجزيرة وجعلت المكان الرفيع لمركزه لا في اليمن بل وفي نظر أغلب جماهير جنوب الجزيرة عامة بصفته المنتصر الذي حرر البلاد من نير الاتراك .

والعربي في كل زمان ومكان ينفر من سلطان الأجنبي الدخيل ، فاذا استطاع زعيم عربي أن يقوم بحركة تحرر ضد ذلك الأجنبي المغير وجد فيه الناس ضالتهم المنشودة وأملهم المرتجى ، ويظهر أن المؤيد بعد إحكام الحصار على الاتراك في مدينة زبيد رغب في الاتصال بأمراء مكة ليحرضهم ضد الاتراك حتى يقطع خط الرجعة وطريق النجدة على الاتراك المحصورين .

ولما لم يجد في أمير مكة ادريس بن حسن الاستجابة اتصل باحد شريكيه وهو ابن أخيه محسن بن حسين بن حسن الذي هو فى شِرّة الشباب فوجد فيه ضالته المنشودة ، بعد أن لَوَّح له بمساعدته على التفرد بشرافة مكة دون عميه ادريس وفهيد .

ويقول السباعي في تاريخ مكة : (.... ان ادريس قد اختلف مع ابن أخيه محسن بن حسين وتركه يخرج الى اليمن مغاضبا)(١) .

ونرى أنه لو لم يكن موقف محسن يتفق وما أشرنا اليه قبله لكان الأحرى أن يكون توجهه الى تركيا ، كما هي عادة أسرته عندما يتنازع الشريك مع شريكه أو قريبه على الشرافة ، يرحل إما الى مصر أو الى تركيا .

وبعد رحيل محسن بفترة يحصل الخلاف بين ادريس وشريكه الآخر فهيد فيتراءى لادريس أن وجود ابن أخيه وشريكه محسن في اليمن أضر على مركزهم من خلافه مع أخيه فهيد الذى هو خلاف عائلي .

فيبادر الى استدعاء ابن أخيه محسن ويبذل الرغائب في مرضاته بتنازله عن ربع حاصلات شرافة مكة كترضية ، وبعودته الى مكة يتقوى به مركزه ضد أخيه فهيد الذي نراه ينسحب من المعترك التنافسي ويتوجه الى تركيا ، كما هي عادة الخاسر منهم في الالتجاء الى تلك الجهات .(٢) .

ولم يلبث الخلاف أن عاد على أشده بين ادريس وابن أخيه محسن الذي يجد له مناصراً وهو أحمد بن عبد المطلب فيضعف موقف ادريس فيتنازل عن الشرافة لابن أخيه محسن وذلك في سنة ١٠٣٤هـ ـ ١٦٢٤ م .

---

(١) تاريخ مكة للسباعي الطبعة الأولى ص ٢٤٧ .

(٢) المصدر والصفحة نفسها .

الا ان الخلاف يحصل بين محسن ومناصره بالأمس احمد بن عبدالمطلب ، وتتأزم الأمور فى مكة .

فى تلك الأثناء تصل الى جدة بحرا حملة تركية بقيادة احمد حافظ باشا فى طريقها الى اليمن ، وبقرب الميناء تغرق السفينة التى بها أمتعة القائد ، فيطلب من نائب محسن على مدينة جدة اسعافه بغواصين ، فيتباطأ النائب فيأمر القائد بشنقه ، فيغضب محسن لشنق نائبه ، وتتوتر العلاقات بين محسن امير مكة والقائد احمد حافظ ، فيغتنم الفرصة احمد بن عبدالمطلب ، فيسرع خببأ الى « جدة » ويصب الوقود على النار فتزداد اشتعالا ، ويشير على القائد بعزل محسن ، فيصدر الأمر بعزل محسن والمناداة به اميرا لشرافة مكة ، ويتوجه القائد بقواته الى مكة يرافقه احمد بن عبدالمطلب[١] .

ويشعر محسن بضعف موقفه فينسحب من مكة ويتصل بالامام المؤيد ـ الذى هو على معرفة به من الوفادة الأولى ـ طالبا مساعدته بارسال حملة عسكرية ، فيسارع المؤيد بارسال حملة بقيادة احد رجاله المسمى احمد لقمان قوامها :

ـ ألف مقاتل من حملة البنادق .

ـ اربعة آلاف من المشاة والفرسان (السلاح الأبيض)[٢] .

ومعروف من مبادرة المؤيد الغاية من ارسال تلك القوة وهى :

١ ـ الاشتباك مع الجيش التركى الذى هو قادم لنجدة الحامية التركية المحاصرة فى جهة (زبيد) .

٢ ـ ان تكون المعركة هذه المرة بعيدة عن اليمن .

٣ ـ كسب الدعاية السياسية بأن قواته تقاتل الأتراك فى الحجاز وقد يحالفها النصر فيسلب الأتراك اللقب الذى يكسبهم التأييد الاسلامى ويستقطب عالمه .

٤ ـ بتأييده لمحسن سوف يسخره تابعا يدور فى فلكه .

بيد ان القائد التركى ، يدرك خلفيات غايات الامام فيبادر بالخروج لملاقاة الجيش الغازى فيلتقى به فى وادى الليث وتدور المعركة التى تنتهى بهزيمة الجيش الامامى ومطاردته الى (دوقة) . فيلملم فلوله وينسحب الى بلدة القنفذة ، وكأن محسن الذى انحدر من مرتفعات الطائف الى بادية زهران بمن معه ليشترك فى المعركة او ليكون بالقرب منها ليظاهر تلك القوة اسقط فى يده وبدلا من أن يلتقى بها ـ كشريك فى النصر أو مهنئا ـ على الأقل ـ وصلهم معزيا ومواسيا فى بلدة القنفذة ، أو هُم وجدوه هناك ، فانسحب معه الى وادى عتود[٣] من أودية المخلاف السليمانى ـ فرابط الجيش هناك ووالى محسن رحلته الى الامام الذى ـ كأنه ـ لم ير فى وفادته هذه المرة شيئا يثمر او يسفر عن نتيجة لصالح سياسته لا حربيا ولا سياسيا للأسباب الآتية :

١ ـ ان محسن لم يسهم فى مجهود حربى لمساعدة جيشه او يهب لنجدته .

---

(١) تاريخ مكة للسباعى ص ٢٤٩ الطبعة الأولى .

(٢) مخطوطة كتاب العقيق اليمانى .

(٣) المصدر نفسه .

٢ ـ ان الهدف الذى كان يتوخاه فشل حربيا وسياسيا .

٣ ـ لقد أكسب ذلك الانتصار القائد احمد حافظ معنوية وخبرة قد تفيده وتدفعه الى التقدم الى اليمن .

٤ ـ ان المعلومات ـ لا شك ـ قد وصلته بتحرك قوة جديدة من مصر بقيادة (قانصوه) القائد التركى الى اليمن ، فاحتوت كل اهتماماته .

٥ ـ الحالة فى الحجاز لا تسعده او تساعد تحركات جديدة له لأن احمد بن عبدالمطلب تركيُّ الميول لايرى عن الخلافة العثمانية بديلا .

٦ ـ ان التجربة لم تسفر عن خير ، وبدلا عن التمادى فى استفزاز الأتراك توقف على ماقد استولى عليه من جنوب الجزيرة ، والاستعداد للمعركة على تراب ارضه لا الاشتغال بمعركة جانبية او توسع لايستطيع احتواه .

كل تلك الأسباب جعلت المؤيد لاينظر بعين الرضا لوفادة محسن في هذه المرة او التجائه اليه .

ونجد صاحب كتاب العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني يطلعنا على جانب قاتم عن تلك الوفادة لانجده في غيره من المصادر ، نحن ـ بفضل الله ـ نوردها لأول مرة حيث يقول :

(ولما وصل الشريف محسن الى الامام اقام عنده شهرا فتلقاه بالقبول ، وكانت اقامته شهر رجب ـ من سنة ١٠٣٨هـ ـ ١٦٢٩ م وبعض شعبان ، فلما ورد الى الامام فتح صنعا والشريف محسن عنده ، وغرضه لما ينقض من الامام ، اشتاق الى النظر الى مدينة صنعا ، وكان غرضه قد ثقل على الامام وشق عليه وقوفه عنده فاستأذن الشريف من الامام في العزم الى صنعا حتى يرى الامام رأيه فأذن له فلما تهيأ للسفر ابتدأه المرض فسافر مريضا فلما وصل الى موضع يسمى (ديفان) توفى سادس يوم من رمضان من السنة المذكورة) ؟ ـ (فكانت وفادته وفادة امرىء القيس) ؟ الى ان قال (وفى ذى القعدة سنة ١٠٣٨ هـ ـ ١٦٢٩ م ارتحلوا ؟ (ارتحل) اشراف مكة الى اوطانهم بعد وفاة محسن ، ولم يتيسر شىء من مطلبهم بعد ان اقاموا المدة الطويلة لطلب غرضهم ، وفشى فيهم الموت فمات من اعيان اشرافهم وقوادهم عالم ، وكانت هذه الخرجة (الوفادة) يضرب بها المثل فى عدم القبول والشؤم ، نعوذ بالله .. انتهى .

وتتوالى السنون ، وتمر الأيام ، ويتعاقب على امارة مكة عدد من الأشراف الى ان تولاها سعيد بن سعد بن زيد الذى نحاه احمد بن غالب عن شرافة مكة وحل محله ـ راجع الحاشية رقم (٢) ص ٨٣ فى قسم الحواشي .

❋ ❋ ❋

« شرق الجزيرة »

لقد أشرنا الى الحالة فى الحجاز ، ولم تكن الأحوال فى نجد وبلدان الخليج بخير منها ، لقد كان الخليج فى حروب مع البرتغاليين ، مما كان نتيجتها قتل سلطانها مقرن بن راشد ، فخلفه من خلفه من اسرته ، فغلبهم راشد بن مغامس الذى استمر سلطانه بين القوة والضعف الى ان غلبهم الأتراك على البلاد سنة ٩٦٣ هـ ـ ١٥٥٦ م وبذلك بسطوا نفوذهم على شرق الجزيرة العربية واستمر الى سنة ١٠٨٠ هـ ـ ١٦٦٩ م فاغتنم آل حميد ضعف الدولة العثمانية فى عهد السلطان ابراهيم من جرَّى حروبها فى أوروبا وتمرد جيشها ومشاكلها الأخرى فطردوا حاميتها الهزيلة ، واستقلوا بأمر البلاد .

فاستولى براك بن غرير بن عثمان على الأمر ونودي به ملكا سنة ١٠٨١ ـ ١٦٧٠ فغزى قرية (سدوس) بنجد ، ثم غزا موضعاً قريباً من الدرعية سنة ١٠٨٨ ـ ١٦٧٧ وظل فى الحكم الى ان توفى سنة ١٠٩٣ ـ ١٦٨٢ فخلفه ابنه محمد بن براك وهو الذى غزا الموضع المعروف بـ (الحائر) من نجد جنوب الرياض ، ثم أعاد الكرة بغزوة حائر المجمعة وتوفى سنة ١١٠٣ هـ ـ ١٦٩١ م .

❊❊❊

« عسير »

أما فى عسير فجبالها الشاهقة وصعوبة مسالكها ، وانطواء اهلها فى داخل بلادهم قد جعلتهم فى عزلة ، ومما زاد فى عزلتها ، صعوبة طرقها وبعدها ـ أنذاك ـ عن طرق المواصلات الرئيسية ، وشدة مراس قبائلها الباسلة ، وعدم اذعانها لقيادة واحدة ، مما ترتب عليه عدم الأمن لغير القبيلة الواحدة فى داخل محيطها ، ونفهم من (تأريخ عمارة) ان كان لها امارة محلية مقرها مدينة جرش التاريخية ، وكان يخطب للخليفة العباسى ثم لابن زياد الحاكم العباسى فى (زبيد) الذى فى عهد وزخم امارته كان ترتبط به امارات المخلاف السليمانى وامارة حلى وجرش وغالب جنوب الجزيرة ـ راجع ماكتبناه عن عسير فى تعليقاتنا على كتاب نفح العود ص ٣٦ الطبعة الأولى

❋ ❋ ❋

« المخلاف السليمانى والحجاز »

يظهر ان علاقة المخلاف السليمانى وثيقة الصلة بالحجاز من قبل الاسلام وزادت بعده تلاحماً برابطة الاسلام ، وقربه من مصدر الاشعاع ، والانتماء الى الخلافة ، والاتجاه الى القبلة والحج ، علاوة على الصِّلاة القبلية الوثيقة ، والاتصالات الاجتماعية ، والاقتصادية .

فموقع المخلاف السليمانى الجغرافي هو الشريان الحيوي للاتصال بين شمال الجزيرة وجنوبها وهو الأسهل والآمن للأسباب الآتية :

١ ـ انه فى السهول والحزون التى يحدها غربا البحر وشرقا جبال السروات الصعبة المسالك .

٢ ـ وجود المياه والآبار القريبة الغور والكثيرة المياه .

٣ ـ وجود المراعى والأعلاف على طول مساحته .

٤ ـ ان سوق عثر الذى هو فى قلب المخلاف السليمانى غرب مدينة صبيا هو سوق من اسواق العرب المشهورة كما ذكره الهمدانى [١] .

٥ ـ ان قوافل قريش التجارية فى رحلة الشتاء الى اليمن لجلب العروض التجارية من الطيوب والأفاوية والبخور والمنسوجات والأحجار الكريمة ، كل ذلك مما تنقله القوافل فى تلك الطريق الى الحجاز والشام فأوروبا .

ومعلوم ان القوافل الكبيرة اذا مرت بمنطقة ، تتبادل الأخذ والعطاء معها ، وتجارة قريش تعتمد فى سير قوافلها على الصحبة والرفقة والأحلاف ولاشك لقرب الجهتين ان يكون لها فى شيوخ المخلاف السليمانى ورؤساء قبائله حلف وصحبة ، وصلات رحم وعلاقات تجارية ، لأن الكثير من سكان الجهة الشمالية من قبيلة كنانة [٢] وفى ضمد عشائر من خزاعة [٣] ومن الأزد [٤] فى شمال المخلاف ، وللأزد فى مرتفعات الحجاز علاقات مع قريش معروفة .

وقريش هى ذاتها من كنانة والقبيلة أي قبيلة مهما نزحت الى أي جهة تكون علاقتها وثيقة بقبيلتها الأم وموطنها الأصلى .

ويحدثنا الهمدانى فى ص ١٢٠[٥] ان ملوك مخلاف عثر ـ وهو النصف الشمالى من المخلاف السليمانى ـ من بنى مخزوم القرشيين ، وبطبيعة الحال فى تلك العهود لايرتقى للامارة قوم الا لهم عصبية ، فهل هناك فى بيش قوم من بنى مخزوم نزحوا قبل او بعد الاسلام الى تلك الجهة وتولوا امارة مخلاف عثر بما حصلوا عليه من نفوذ او بما ساعدهم من عصبية قبيلة كنانة التى من عشائرها قسم فى شمال المخلاف .

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٥٤ طبعة بن بليهيد .

(٢) (٣) (٤) المصدر نفسه ص ١٢٠ ومن المعلوم ان قبيلة قريش فرع من كنانة ، واما خزاعة فموطنها الحجاز ، والازد فى بلاد غامد وزهران .

(٥) المصدر نفسه .

وبعد وفاة الهمدانى ، الذى كان فى حياته سجّل واقع المخلافين . برزت شخصية سليمان بن طرف من أسرة عبدالجد الحكمى وتولت امارة مخلاف حكم ، وضمت مخلاف عثر الى مخلاف حكم ووحدهما باسم المخلاف السليمانى نسبة الى شخصه .

وبعد وفاته استمر الحكم فى ابنائه حتى ازالهم الملك الصليحى علي بن محمد ، بعد معركة الزرائب [١] التى قضى بها على آخر قوة للنجاحيين التجأت الى المخلاف السليمانى لدى أمرائه ابناء ابن طرف [٢] ، وبعدها اسندت الامارة الى غيرهم من العلويين الذين وفدوا الى المخلاف من الحجاز قبل ذلك [٣] بعد ان اجلاهم قريبهم ابو هاشم سنة ٤٦٢ هـ ـ ١٠٧٠ م وعلى رأسهم حمزة بن وهاس فتولى امر المخلاف وبعده إبناه يحيى وعيسى ، وظلت الامارة فى أسرتهم الى ان قضى عليه الثائر بن مهدي سنة ٥٦٧هـ ـ ١١٧٢م .[٤]

فالتجأ الناجون منهم الى الخليفة العباسى الذى احالهم الى السلطان صلاح الدين الأيوبى فأعادهم مع اخيه توران شاه فقضى على امارة ابن مهدي واستولى على جنوب الجزيرة الى نهاية حضرموت .

وفى عهد الرسوليين كانت ترسل عمالها مباشرة او تسندها الى أحد العلويين من اهل المنطقة ، لأن الرسوليين امتد نفوذهم وسلطانهم فى عهد مؤسس مملكتهم وفى عهد ابنه المظفر على مكة .

وقد طمع محمد بن بركات امير مكة فى امارة المخلاف فغزاه سنة ٨٨٢ هـ ـ ١٤٧٧ م فى عهد الأمير دريب بن خالد القطبى ودمر جازان العليا وعاث فى البلاد .[٥]

وفى العهد الجركسى الذى ابتدأ من سنة ٩٢٢ هـ ـ ١٥١٦ م أغار امير حلى على المخلاف سنة ٩٢٤ هـ ـ ١٥١٨ م فهزم .[٦]

وفى عهد الأتراك العثمانيين الذى ابتدأ من سنة ٩٤٥ هـ ـ ١٥٣٨ م استمر حكمهم المباشر على المخلاف السليمانى كغيره من البلاد العربية ، وفى سنة ٩٦٤ هـ ـ ١٥٥٧ م كتب الوالى التركى « أويس باشا » الى شريف مكة بربط المخلاف السليمانى بامارة مكة ، فأرسل من لديه حاكما يسمى (عجل) فاستقر فى أبى عريش[٧] .

وجاء فى حوادث سنة ٩٧٩ هـ ـ ١٥٧١ م "من كتاب العقيق ان نائب أمير مكة المسمى عرار رفعت يده عن بيش ووساع والأودية الشامية وكان قد تولاها مرتين .

وجاء فى حوادث سنة ٩٩١ هـ ـ ١٥٨٣ م ان قائد امير مكة ابى نمى بن بركات قبض على الأمير مراد التركى واعاده الى حاكم ابى عريش حسين بربر .

وفى حوادث سنة ١٠١١هـ ـ ١٦٠٢ م يقول ماخلاصته : اشتد الظلم من امير مكة على

---

(١) عمارة ص ٥٤ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) المخلاف السليمانى ص ٢٠٠ ومابعدها .

(٤) قرة العيون فى اخبار اليمن الميمون ص ٣٧٢ .

(٥)،(٦)،(٧) العقيق اليمانى .

اهل مكة والحجاز واليمن (المخلاف السليماني) ووقعت فتنة بينه وبين امير حلي فاضطرب الأمن وكثر النهب والقتل من حدود مكة الى الشقيق .

وجاء في المصدر نفسه في حوادث سنة ١٠١٠ هـ - ١٦٠١ م في عهد شريف مكة ابى طالب بن حسن بالنيابة ان والده فوضه على اهل الحجاز والشمال واليمن ، وكأنه يقصد باليمن الشقيق ووادي بيش .

وفي المصدر نفسه في حوادث سنة ١٠١١ هـ - ١٦٠٢ م (انه اشتد الظلم من ابى طالب على اهل مكة والحجاز واليمن وسائر مملكته ، وعضد ذلك فتنة بني حرام).. الى ان قال فتغيرت الطرقات والنهب والقتل من حدود مكة الى الشقيق ، ونزل - اخو الأمير الحرامي - لقصد تملك القطر اليماني من الشقيق الى بيش ... فالتقاه مقدم الشريف ابى طالب الخواجي في عتود فحصل القتال وقتل جماعة من الفئتين .

وجاء في حوادث سنة ١٠٢١ هـ - ١٦١٢ م ان قائد شريف مكة في بيش يسمى علي بن سالم . كما جاء في حوادث سنة ١٠٢٧ هـ - ١٦١٨ م انه دارت المعركة بين قائد امير مكة على بيش واعمالها محمد بن بدر وأمير صبيا الخواجي في قرية العدايا فهزم قائد امير مكة واصيب بجروح توفي منها في قرية بيش فبعث امير مكة ابنه على رأس قوة من جيشه فتوفي في بيش . هكذا باختصار[1] .

وجاء في تأريخ مكة للسباعي الطبعة الأولى ص ٢٥٨ ان زيد بن محسن استمرت امارته من سنة ١٠٤١ - ١٠٧٧ هـ/ ١٦٣١ - ١٦٦٦ م اى مدة خمس وثلاثين سنة وشملت امارته من اطراف اليمن الى خيبر شمالا الى اطرف نجد شرقا - اى من شمال صبيا وقرية العدايا الى خيبر شمالا .

وورد في المصدر نفسه في حوادث سنة ١٠٥٤ هـ - ١٦٤٤ م مانصه (وفيها توفي السيد حازم بن راجح بن ابى نمي صاحب بيش وعتود والشقيق واعمالها ، وكانت اقامته بعتود ، وكان يضرب به المثل في العدل في رعيته رحمه الله).. وهذا آخر عامل لشريف مكة او بالأصح لامارة مكة في المنطقة الشمالية من المخلاف السليماني .

❋ ❋ ❋

---

(١) مخطوطة كتاب العقيق اليماني .

اهل مكة والحجاز واليمن (المخلاف السليماني) ووقعت فتنة بينه وبين امير حلى فاضطرب الأمن وكثر النهب والقتل من حدود مكة الى الشقيق .

وجاء فى المصدر نفسه فى حوادث سنة ١٠١٠ هـ - ١٦٠١ م فى عهد شريف مكة ابى طالب بن حسن بالنيابة ان والده فوضه على اهل الحجاز والشمال واليمن ، وكأنه يقصد باليمن الشقيق ووادى بيش .

وفى المصدر نفسه فى حوادث سنة ١٠١١ هـ - ١٦٠٢ م (انه اشتد الظلم من ابى طالب على اهل مكة والحجاز واليمن وسائر مملكته ، وعضد ذلك فتنة بنى حرام) .. الى ان قال فتغيرت الطرقات والنهب والقتل من حدود مكة الى الشقيق ، ونزل - اخو الأمير الحرامى - لقصد تملك القطر اليمانى من الشقيق الى بيش ... فالتقاه مقدم الشريف ابى طالب الخواجي فى عتود فحصل القتال وقتل جماعة من الفئتين .

وجاء فى حوادث سنة ١٠٢١ هـ - ١٦١٢ م ان قائد شريف مكة فى بيش يسمى على بن سالم . كما جاء فى حوادث سنة ١٠٢٧ هـ - ١٦١٨ م انه دارت المعركة بين قائد امير مكة على بيش واعمالها محمد بن بدر وأمير صبيا الخواجي فى قرية العدايا فهزم قائد امير مكة واصيب بجروح توفى منها فى قرية بيش فبعث امير مكة ابنه على رأس قوة من جيشه فتوفى فى بيش . هكذا باختصار[1] .

وجاء فى تأريخ مكة للسباعى الطبعة الأولى ص ٢٥٨ ان زيد بن محسن استمرت امارته من سنة ١٠٤١ - ١٠٧٧ هـ/ ١٦٣١ - ١٦٦٦ م اى مدة خمس وثلاثين سنة وشملت امارته من اطراف اليمن الى خيبر شمالا الى اطرف نجد شرقا - اى من شمال صبيا وقرية العدايا الى خيبر شمالا .

وورد فى المصدر نفسه فى حوادث سنة ١٠٥٤ هـ - ١٦٤٤ م مانصه (وفيها توفى السيد حازم بن راجح بن ابى نمي صاحب بيش وعتود والشقيق واعمالها ، وكانت اقامته بعتود ، وكان يضرب به المثل فى العدل فى رعيته رحمه الله) .. وهذا آخر عامل لشريف مكة او بالأصح لامارة مكة فى المنطقة الشمالية من المخلاف السليمانى .

❋ ❋ ❋

---

(١) مخطوطة كتاب العقيق اليمانى .

« المخلاف السليمانى والاتراك فى اليمن »

فى سنة ٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م وصلت حملة الجراكسة المصريين فى أسطولهم المتوجه لمهمة مطاردة الأسطول البرتغالى فى البحر الأحمر ـ راجع كتابنا المخلاف السليمانى الطبعة الثانية ص ٢٧٨ جـ ١ ـ وبعد ذلك قضوا على الدولة الطاهرية فى اليمن وامامة الامام شرف الدين فى صنعا والامارة القطبية فى المخلاف السليمانى واتخذوا من مدينة زبيد عاصمة لسلطتهم وبسطوا حكمهم على البلاد وأرسلوا حكامهم الى جميع الجهات ومنها المخلاف السليمانى واستمرت الحالة الى سنة ٩٤٥هـ ـ ١٥٣٨ م فوصل سليمان الخادم فى الأسطول العثمانى وبعد عودته من الهند شنق الناخوذة احمد الشركسى آخر أمرائهم وبسط نفوذ سلطتهم على البلاد ، واستمر حكم الأتراك الى سنة ١٠٣٦ هـ ـ ١٦٢٧ م وتوالت انتصارات الامام المؤيد محمد بن القاسم على الأتراك وأجلاهم عن القسم الجبلى بأسره وأغلب تهامة[1] ، وانحصر امرهم فى مدينة زبيد وماحولها وأحب الامام ان يوسع انتصاراته ويحكم سياسته وخططه الحربية فى قطع اتصالات الأتراك وطريق نجدتهم ومواصلاتهم التى ليس لها طريق مسلوكة فى ذلك الوقت الا عن جهة الحجاز والمخلاف السليمانى فاتصل بأمراء صبيا لاستمالتهم وتحللهم من طاعة الأتراك ويقول صاحب العقيق اليمانى فى حوادث سنة ١٠٣٦ هـ ـ ١٦٢٧ م مايأتى باختصار : فى أولها انتقض الصلح بين الامام المؤيد والوالى التركى حيدر باشا فسارت جيوش الامام ، وملكت كافة الجبال حصونها ومدنها ثم ملك مدينة صنعا وجبال أنس ووصاب ثم مور واللحية والزيدية من ارض تهامة . الى ان يقول حرفيا (ثم كاتب مولانا الامام اشراف صبيا بتخليهم من الأغا الضامن لاقليم جازان وانما كان لهم معتاد من الأتراك من مصالح وجوامك ومنافع ورعاية فهى لهم منه وزيادة ، فقبلوا لذلك ونزل اليهم السيد احمد بن الهادى الديلمى رسولا من الامام بتمام المجالس فأصلح شأنهم ، وخلوا مابين المحطات الامامية ، والأغا ، وفى العشر الوسطى من شهر ربيع نزل السيد العلامة صلاح بن احمد بن المهدى من قبل ابنه فى محطات كثيرة منهم رؤساء مشاهير منهم : السيد العلامة المجتهد احمد بن حورية ، والفقيه يحيى بن سيلان والفقيه شاور وجمهور السادة بني المؤيد وأمراء جازان فى عالم ضليع من العساكر والخيول والبنادق والأموال والعدد ، فتدير الأغا (علي) فى القلعة فحاصروه نحو عشرة أيام وطلب الأمان على رأسه ورؤوس العساكر فقط فأمنوه وقبضوا خيوله وسلاحه وأمواله ودخلوا القلعة وواجههم كافة أعيان المخلاف من الشيع والأشراف وصفت البلاد لمولانا الامام من يومئذ ، وولى السيد صلاح فى أبى عريش الفقيه يحيى سيلان وفى البندر فقيها يسمى زياد وجعل لكل منهم رتبة وطلع ببقية العسكر) . انتهى .

---

(١) المؤيد محمد انتخب اماما بعد وفاة والده الامام القاسم بن محمد الذى قام بدعوة الامامة سنة ١٠٠٦ هـ ـ ١٥٩٧ م فى جبل قارة فى جهة المحابشة ثم انتقل فى القسم اليمنى الاعلى الى ان استقر فى شهارة وبعد ان انتصر على الاتراك فى عدد من المعارك واخيرا ابرم صلحا بينه وبين الدولة التركية على ماتغلب عليه من الجبال والمدن لمدة عشر سنوات ، وبعد وفاته قام ابنه او انتخب للامامة فاقر الصلح الذى ظل مستمرا ومرعيا من الطرفين الى سنة ١٠٣٦ ـ ١٦٢٥/١٦٢٦ فانتقض الصلح .

« المخلاف السليمانى واليمن »

ان الجزيرة العربية هى موطن العروبة ومهد الاسلام ، كان العرب شيعا وفرقا وقبائل متناحرة وطوائفا متفرقة ، واذا كانت قامت فيها حضارات فى اليمن وازدهرت مدنيات بقيت آثارها فانها لم تصهر هذه الامة فى وحدة شاملة ، وامة واحدة . لقد كان لليونان حضارة دان لها العالم بتراثها العلمى وقامت لها امبراطورية فى عهد الاسكندر غطت اكثر العالم المعروف انفرط عقدها بموته ثم طوتها الرومان فى امبرطوريتها التى سادت العالم مع القسم الشمالى من البلاد العربية ولم يبق لها اثر من تلك الامبراطورية المترامية الاطراف ، واخيراً - كما نرى انكمشت فى موطنها الاصلى ايطاليا وقس على ذلك الامبراطوريات ذات الحضارات التى طمست آثارها من الوجود ، ومابقى من أممها ، إما حافظ على بقائه فى موطنه الاصلى فقط . أو اندمج مع غيره من الامم .

ماعدا الامة العربية التى شرفها الله بالاسلام وبسلطانه سادت العالم وخفقت رايات فتوحاتها على اكثر العالم المعروف فى تلك العهود ، ثم طبعت الامم التى استولت على بلادها بطابع الاسلام ديناً والعربية لغة وتأريخا وثقافة وحضارة ، فابقت تراثا خالداً ومجداً باذخا تقاصرت دونه كل الانتماءات الاقليمية ، والولاءات الجهاتية ، فالامة العربية فى الشمال والجنوب والشرق والغرب امة واحدة دينها الاسلام ولغتها العربية وفى الاثر ليس منا من دعا بدعوة الجاهلية . لقد مرّ خمسة عشر قرنا على ظهور الاسلام ودخول الناس فى دين الله افواجا ولا يزال ولن يزال باذن الله صوت الأذان يرن خمس مرات فى ارجاء الدنيا والقرآن الكريم يتلى بلسان عربى مبين فى سائر هذا الكون الفسيح فهل ينبغى لأى مسلم او عربى الانتماء الى غيره ، وقد قيل لا اسلام بغير العرب والاصح لا عرب بدون الاسلام .

من هذا المنطلق نورد مانورده فى هذه الكلمة الموجزة ، لقد اشرنا قبله فى ص ١٧ بعنوان المخلاف السليمانى والحجاز الى العلاقات التأريخية بين الاقليمين فى الجاهلية ثم فى الاسلام وهنا نورد العلاقة الحميمة والوشيجة بين المخلاف السليمانى واليمن . واليمن قبائله القحطانية مبثوثة فى ارجاء الجزيرة فقحطان هو الجذر الاول للعرب واين مايممت وجدت قبائل من قحطان كقبيلة الأزد فى السروات وحرب فى الحجاز ونجد ، وقحطان فى السروات ونجد ، وطى فى جبال اجأ وسلمى ولخم فى العراق ، وجذام وغسان فى سوريا ولبنان وفلسطين ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر والاستيعاب ، فكيف بمنطقة كالمخلاف السليمانى الذى قبائل القسم الجنوبى - كما يفيدنا الهمدانى فى كتابه المشهور (صفة جزيرة العرب) - ثم مِنْ حَكَم بن سعد العشيرة . وبلاد تهامة الممتدة من خليج العقبة الى عدن تقسم الى مصطلحات اقليمية فيقال تهامة الحجاز وتهامة عسير [1] وتهامة اليمن ، ولسنا فى استعراض احداث التأريخ بل نقتصرعلى احداث القرن

---

(١) (المخلاف السليمانى) هو مايطلق عليه اسم «تهامة عسير» .

العاشر ومابعده فمن بعده انسحب العهد الامامى على المنطقة ، يقول صاحب كتاب العقيق اليمانى فى حوادث سنة ١٠٣٦ هـ ـ ١٦٢٧ م : (وصل الى صبيا العلامة احمد الشرفى بتقرير مجالس بين الامام والاشراف ، جعل لهم الامام ولاية من آخر حدود المسارحة من جهة اليمن الى وساع وتقرر البلاد لهم وارتفع منها يحيى سيلان). وقد علقنا على اضمحلال تلك الاقطاعية فى كتابنا المخلاف السليمانى .

وبعد ذلك وصلت الحملة الامامية بقيادة احمد لقمان فى طريقها الى مكة ـ كما اوردنا ذلك قبله فى ص ١٣ وبهزيمة تلك الحملة وانسحابها الى (وادى عتود) ثم بعد تسعة اشهر الى مرتفعات بلاد بنى ألحرث .

فوصل القائد التركى احمد قانصوه من الحجاز الى صبيا فى ٢٦ / ٤ / ١٠٣٩هـ ومنها تقدم الى جهة زبيد ثم تقدم الى جهة تعز [١].

وفى سنة ١٠٤٣هـ ـ ١٦٣٣ م امر قانصوه بارسال حملة بحرية لمهاجمة مدينة جازان فنهبت المدينة ودمرت بيوتها .

وفى شهر شعبان من السنة نفسها نشطت هجمات جيوش الامام على قوات الاتراك وانحدرت صوب تهامة فاستولت على وادى مور وماحوله وظل الاتراك فى مدينة زبيد وميناء المخا وجهات موزع فقط [٢].

وفى شهر محرم التجأ أوفَرُّ القائد التركى من معسكره فى مدينة زبيد الى قوات الامـام فى (الحمى) بعد ان استحصل على امان من الامام على نفسه ، وبعد اقامته ثلاثة اشهر لديهم سهلوا امر توجهه الى الحجاز . [٣]

اما الحال فى المخلاف السليمانى من سنة ١٠٢٩ إلى ١٠٦٦ هـ فكان على الوجه الآتى :
١ ـ امارة وادى صبيا مناطة بالخواجين .
٢ ـ امارة وادى جازان بالامراء القطبة .
٣ ـ مدينة جازان يحكمها العامل احمد بن صلاح .
٤ ـ من وادى وساع الى القحمة تحت حكم شرافة مكة .
ونخال ان الحال استمر على تلك الوتيرة الى وصول احمد بن غالب [٤].

❊❊❊

---

(١) المصدر نفسه كتاب العقيق اليمانى (٢ و ٣ و ٤) المصدر نفسه .

« ترجمة مؤلف الكتاب »

المؤلف هو الشيخ الجليل على بن عبدالرحمن بن الحسن البهكلى المخلافى ـ نسبة الى المخلاف السليمانى ـ نعته مؤلف كتاب خلاصة العسجد الشيخ عبدالرحمن بن حسن البهكلى بقوله (القاضى العلامة على الاطلاق الفهامة من غير شك ولاشقاق) . الخ

ولد فى بلدة ضمد سنة ١٠٧٣ ـ ١٦٦٢ ـ تقريبا ـ ثم ارتحل الى مدينة صعدة لتلقى العلم وعاد منها بعد استكمال دراسته فتفرغ للتدريس فى وطنه فترة عاد بعدها لاستئناف الدراسة فنال اجازات شيوخه ورجع الى وطنه فتولى وظيفة القضا بمدينة صبيا ، وتزوج بها وانجب ابناء ثم رحل للمرة الثالثة الى اليمن فادركته الوفاة بمدينة صنعا فى سنة ١١١٤ ـ ١٧٠٢ .

مؤلفاتــــه :

١ ـ شرح كتاب الكافية فى النحو ذكر فيه الخلاف بين النحويين والقول الراجح والشاهد وقائله والقصيدة التى منها الشاهد وماقيلت فيه .

٢ ـ جواب على رسالة عن لغز فى التنباك «التبغ» اوردناه فى كتابنا (اضواء علـى ادب وادباء جازان) الجزء الاول ص ١١٢ .

٣ ـ كتاب العقد المفصل ـ الذى نحققه ـ

تغمده الله برحمته وفيوض رضوانه .

❊ ❊ ❊

العقد المفصل بالعجائب والغرائب في دولة الشريف
أحمد غالب تأليف مولانا العلامة الحافظ المؤرخ شيخ الإسلام
علي عبد الرحمن البهكلي رحمه الله تعالى وأنالنا
رضاه آمين وإيانا أجمعين ومشايخنا
في الدين والدنيا وجميع
المسلمين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على
[illegible]

دخل في حوزتي بالشراء
[illegible] الوالد [illegible]
العمودي ٢٢٢/٤/٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

نحمدك اللهم يا من جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يتذكر
وعبرة لمن نظر بعين البصيرة اليهما وتدبر في كرهما طوى
وطي ما نشر مابهر العقول من الكائنات المتعدده والحوادث المختلفه
والمتحده ونصلي ونسلم على من تتدوّن ايامه واعوامه تزنيت الطروس
وبذكر بعثته تعطرت المجالس تعطر العروس وعلى اله واصحابه المقتفين
سبله واثاره والناقلين الينا على وجه الصحة وقايعه واخباره وبعد
فان التاريخ علم فضله جم يشترك في الاقرار بفضله وحسن وضعه من خص
وعم والجاهل له معدود من جملة الانعام ومحكوم عليه بسقوط الهمه
وبعض المدام كما قال الشيخ الاديب محمد حسين ارسلين في ارجوزته

وان من لا يعرف الاخبارا فانما نعده حمارا

قال بعضهم لولا التاريخ لقال من شا ما شا. قال سفيان الثوري
لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ لنعرف به الصادق من الكاذب
قيل التاريخ نقول للشيخ كم ولدت فاذا اقر بمولده عرفنا صدقه
من كذبه وقال الامام الشافعي رحمه الله من علم التاريخ زاد عقله قال
في بغية المستفيد ولو لم يكن في فوائد التاريخ الا واقعة رئيس الرؤسا
مع اليهودي وذلك ان بعض اليهود وذلك ان بعض اليهود اظهر كتابا وادعا
انه كتاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم باسقاط الجزيه عن اهل خيبر
وفيه شهادة جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه
ورضي عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤسا فعرضه على الحافظ ابي بكر الخطيب
البغدادي فتامله فقال هذا مزور فقيل من اين لك هذا فقال فيه شهادة معاوية
وهو اسلم عام الفتح وفتح خيبر لسنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ رضي الله عنه
ومات سعد يوم قريضة قبل خيبر بسنتين انتهى فاي فضيلة اعظم من هذه الفضيله
واي منقبة اشرف من هذه المنقبه الجليله قال الجوهري في صحاحه التاريخ
معرفة الوقت والتواريخ مثله يقال ارخت وورخت ويقال اول ما حدث

التاريخ

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يامن جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر ، وعبرة لمن نظر بعين البصيرة اليهما وتدبر ، وفى نشر ماطوى وطى مانشر ، مايبهر العقول من الكائنات المتعددة ، والحوادث المختلفة والمتحدة ، ونصلى ونسلم على من بتدوين أيامه وأعوامه تزينت الطروس ، وبذكر بعثته تعطرت المجالس تعطر العروس ، وعلى آله وأصحابه المقتفين سبله وآثاره ، والناقلين الينا على وجه الصحة وقائعه وأخباره ، وبعد :

فان التأريخ علم فضله جم ، يشترك فى الاقرار بفضله وحسن وضعه ، من خص وعم والجاهل له معدود من جملة الأنعام ، ومحكوم عليه بسقوط الهمة ، وبغض المرام كما قال الشيخ الأديب محمد بن حسين بن سليمان فى أرجوزته :

وان من لايعرف الأخبارا فانما نعده حمارا

قال بعضهم لولا التأريخ لقال من شاء ماشاء ، وقال سفيان الثورى لما استعمل الرُّواة الكذب استعملنا لهم التأريخ ، لنعرف به الصادق من الكاذب وقال حسان بن يزيد لم يستعن على الكاذبين بمثل التأريخ ، نقول للشيخ كم ولدت فاذا أقرَّ بمولده ، عرفنا صدقه من كذبه ، وقال الامام الشافعى رحمه الله من علم التأريخ زاد عقله قال فى بغية المستفيد ولو لم يكن فى فوائد التأريخ الا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودى وذلك أن بعض اليهود أظهر كتابا وادعًى [(١)] أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة رضى الله عنهم منهم علي ابن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ أبى بكر بن الخطيب ببغداد فتأمله فقال هذا مزوًر ، فقيل من أين لك هذا فقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتح خيبر لسنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ رضى الله عنه ومات سعد يوم قريظة قبل خيبر بسنتين . انتهى .

فأى فضيلة أعظم من هذه الفضيلة وأي منقبة أشرف من هذه المنقبة الجليلة قال الجوهرى فى صحاحه التأريخ معرفة الوقت والتواريخ مثله يقال أرخت وورَّخت ويقال أول ما حدث التأريخ من الطوفان وذكر أبونعيم الفضل بن دكين فى تاريخه أول من عمل التأريخ[١] فى الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة سبع عشرة من الهجرة واختلفت الرواية فى السبب الباعث لذلك فروى أن أبا موسى الأشعرى كتب الى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تأريخ فجمع عمر الناس فاستشارهم فقال بعضهم أرخ بالبعث وقال بعضهم أرخ بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ، فلما اتفقوا ، قال بعضهم ابدأ

---

(١) فى الاصل : وادّعا .

○ ملحوظة الحاشية داخل [...] فى آخر الكتاب من صفحة ٧٧ .

من رمضان ، فقال عمر بالمحرم ، فانه منصرف الناس من حجهم ، وروى ابن أبى خَنثمة[١] من طريق ابن سيرين انه قال قدم رجل من اليمن فقال رأيت باليمن شيئا يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا فقال عمر هذا حسن فأرخوا ، فلما جمع الناس قال قوم أرخوا للمولد ، وقال قائل من حين خرج مهاجرا ، وقال قائل من حين توفى ، فقال علي كرم الله وجهه من حين خرج من مكة الى المدينة ورأيت مرويا عن الحافظ بن حجر أن المشير بالهجرة هو الامام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ثم قال بأى شهر نبدأ فقال على رضى الله عنه من حين خرج من مكة فقال قائل رجب وقال قائل رمضان فقال عثمان رضى الله عنه أرخوا بالمحرم فانه شهر حرام ومنصرف الناس من الحج ، قال وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة ، قلت ورأيت فى هذه الافكار أن ذلك سنة ثلاث عشرة من الهجرة قال فيها وكانوا يؤرخون قبل ذلك بعام الفيل ، وبدولة كسرى أنو شروان ، وبالملك كندر وغير ذلك نعم واستفيد من ذلك كله ان التأريخ كان اجماعا من على وعمر وعثمان رضى الله عنهم قال الحافظ الديبع وأما ماروى الحاكم فى الاكليل بسنده عن ابن شهاب الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أمر بالتأريخ وكتب فى ربيع الأول فهو معضل ، والمشهور خلافه قال بعضهم وانما جعل ابتداء التأريخ شهر محرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فيه والبيعة وقعت فى أثناء الحجة وهو مقدمة الهجرة وكان أول هلال بعد البيعة هلال المحرم مناسبا أن يجعل مبتدأ ، قال الحافظ بن حجر وهذا أقواها ، وقعت عليه مناسبة الابتداء بالمحرم ولما كان التأريخ بهذه المنزلة وهذه المثابة وسألنى من لا أستطيع لسؤاله سؤال[٢] الاجابة أن أرقم ماحدث فى دولة الشريف ذى المناقب شهاب الدين أحمد بن غالب[٢] ، من الحوادث التى لم يمر مثلها غالبا على الأسماع والأبصار ولم يحتو على مايضاهيها تأريخ لهذه الديار أسعفته الى ذلك راجيا لثواب الرحمن ومتكلا على ماعلمته بالتواتر والعيان ، كان مقدم الشريف أحمد بن غالب من مكة المشرفة الى مدينة صبيا فى العشر الأواخر من شعبان سنة إحدى ومائة وألف بحاشية مستكثرة من الخيل والمطايا والعبيد والعسكر متوجها الى الامام الناصر لدين الله محمد[٣] بن أمير المؤمنين واستهل شهر رمضان بقرية الحمادى[٣] من أرض عبس ووصل الى حضرة الامام فى رداع ألعَرْش[٤] اظنه فى العشر الأواسط من رمضان فقام الامام بحقه قياما تاما واستغاث بالامام واستنصره على أعدائه بمكة الذين تمالؤوا على عزله ، ومنّاه بملك مكة ومصر والشام على يديه وسهل له من ذلك ماهو متعسر عليه فأصغى الامام الى كلامه ومال الى جانبه وجهزه بما يكثر عدده من المال وعين له على كل وال من ولاته رتبة من العسكر وعلى الأمراء الثلاثة من آل الامام ثلاثة آلاف عسكرى وهم القاسم بن محمد المؤيد[٤] والحسن بن المتوكل[٥] وعلى بن أحمد[٦] وانفصل الشريف راجعاً من «رداع» أظنه بعد عيد الأضحى من السنة المتقدمة وفى أيام اقامته بحضرة الامام ظهر خلاف همدان بنواحى صنعا نحو من خمسة عشر يوماً وكان الشريف ممن تجهز لحربهم فيما روى فكفى الله شرهم وقبض رأسهم «ابن خليل» وأودع حبس الحيمة أياماً ثم أمر الامام بقتله فقتل صبراً وشردهم فى الآفاق وتضعضع

---

(١) هكذا فى الاصل .

(٢) هكذا فى الاصل : وافترض ان صحته «سوى الاجابة» .

(٣) الحمادى أوبنو حمادى فى جهة بلاد عبس فى تهامة اليمن .

(٤) رداع العَرْش بلدة قريبة من مدينة «رداع» المعروفة فى اليمن .

حالهم وفُلّ عرشهم وانكسرت شوكتهم وأصحب الشريف فى رجوعه من رداع الشريف الأكرم والأسد الغشمشم جمال الدين أبوطالب بن محمد بن حسين الخواجى . وولده محمد ابن أبى طالب متولياً مدينة صبيا من جهة الامام والقاضى العلامة عماد الدين يحيى بن اسماعيل الجبارى[٧] حاكماً فوصل الشريف مدينة[٨] مور عله فى شهر ذى الحجة أو أول المحرم واجتمع بابن الامام الحسن بن المتوكل وقام ابن الامام بما عينه عليه الامام من الجند والمال وقبل وصول الشريف الى مور أمر الامام بحبس السفن ولم يكن فى تلك السنة حج من بر ولا بحر واقام الشريف بمدينة مور قريبا من الشهرين وكثرت التكاليف على ابن الامام فضاق صدره وأعيا عليه أمره مع انزعاج فى الباطن وخوف فى الفؤاد كامن ، حكى عنه أنه عاد فى تلك الأيام الى بندر اللحية لبعض أغراضه فخرج ذات ليلة الى البحر متنزها وغاب عن الأبصار جزءا من النهار حتى توهم بعض الناس أنه لايعود ولم يزل مدرعاً للصبر مظهراً التجَلد حتى ارتحل الشريف من مور فى العشر الأواسط أو الأولى من شهر صفر من سنة اثنتين ومائة وألف فوصل الى مدينة أبى عريش (١) فى العشر الأواسط أظنه تاسع عشر وقيل حادى وعشرين من هذا الشهر بما يكثر عدده من الأجناد والخيل المسومة ولم يزل حاله يعلو وأمره يربو وينمو وبعد استقراره بأبى عريش تظاهرت الأخبار بالقبض على القاسم بن الامام لأمور نقمها الامام عليه والأمر فى مثل هذا مفوض اليه وابن الامام الحسن بعد ارتحال الشريف عنه لم تزل القرائن تتظافر لديه بأن الامام فى نفسه القبض عليه فلم يزل فى معاناة وفكرة ودهشة وحيرة وكان من اقبال السعد لهذا الامام وَقَوْدِه لما تعسر من الأمور بزمام ، (٢) عزم ابن الامام الحسن على تقويض الخيام والارتحال بأولاده وجميع مايملك الى الشام فأخفى ذلك الأمر المستنكر وأخذ فى تأهب عدة الارتحال والنفر ، وكان بعد أن تأخذ الناس مضاجعها يأمر الخدم بلف أمتعته وأثقاله رغبة فى الكتمان وكان اذا سئل تعريضا أو تصريحا ينكر ماهو مصمم عليه وينهى من يسمع ذلك أن يصغى اليه فلما كان غرة ربيع الاول من السنة المذكورة لم يشعر الناس ذات ليلة الا بارتحاله وركوبه البحر مع أولاده وأمواله فزال عنه ملكه فى قدر لحظة من غير طَعْنة ولا ضربة ولا لقطة ، فحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم كأنهم أموات بعد ماضاق عنهم القصر ، وراق بهم العصر ، ولله در القائل حيث يقول فى هذا المعنى :

هذه الدنيا وهذا شانها
أتعب الناس بها أعوانها
وذوو الأحلام قالوا انها
حلم يقضى بها يقظانها ؟

وأعجب من ارتحاله على هذه الصفة التى ذكرناها إلقاؤه بنفسه الى من بذل جهده فى التأليب عليهم بتجنيد الأجناد وارسالها اليهم كما قدمنا بما عَيّنه الامام من الجند للشريف أحمد

---

(١) مدينة ابى عريش من المدن الرئيسية فى منطقتنا راجع مادة (أ) فى كتابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان .
(٢) فى الاصل ابن أحمد والصواب كما اثبتناه بعاليه . عزم (ابن الامام الحسن) .

ابن غالب وكأن حلمه ذهب عنه أو غاب ، وهكذا الأقدار تذهب عند نزولها عقول ذوى الألباب واستقر فى سفره ببندر جدة ودخل مكة المشرفة وأقام بتلك الجهات نحوا من خمسة اشهر ثم اعمل الحِيَل فى خلوصه حتى تخلص وبلغ أن من جملة ما بذل فى تخليصه سكيناً مقومة بثمانمائة قرش ونيف لما فيها من الترصيع بالنفائس الثمينة وسيىء تدبيره فى استنقاذ نفسه مما وقع فى القائها على الصفة التى ذكرنا أولا ، بون بعيد ؟ وكان رجوعه الى اليمن من طريق البحر وأحسب وصوله الى بندر جازان كان فى شهر رمضان أو أول شوال واتصل الخبر بمسامع الشريف أحمد فبعث الى البندر من يمنعه من دخوله اليه وبلغت به الحال مع شدة الظمأ أن منع من الاغاثة بالماء وأنشد لسان حاله : مفكرا حائرا متعجبا من مصيره فردا مأموراً بعد أن كان أميرا آمرا .

قد كان دهرك اذ تأمره ممتثلا　　فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به　　فانما بات بالاحلام مغرورا[9] .

وصام هو وأهله شهر رمضان فى البحر وكان يخرج الى قرية بحيص للتنزه وانتهى آمره ان رجح النهوض الى الحضرة الناصرية والوقوف على ما وفق الله بها من خير أو شر فارتحل بنفسه وترك أولاده وكان فى ذهابه يتجنب المرور بالامصار ويقصد المضى فى البوادى والقفار ، ولما انتهى خبره الى الامام عطف عليه ونظر بعين الرحمة اليه وأمر بانزاله مدينة ذمار من دون اجتماع به وبعد استقراره بها استدعى أهله وأولاده اليه وهو الآن باقٍ هناك وكان ابن الامام هذا من أعيان الأمراء وسراتها ووجوه الكبراء ودهاتها ، ذا دهاء وحلم وذكاء وعلم ، له معرفة تامة بتدبير أمر الدولة وخبرة بأحوال الناس فهو كما قال ابو الطيب .

ماضى الجنان يريه الحزم قبل غد　　بقلبه ما ترى عيناه بعد غد

نظر فى العلم خلال امارته فوقف منه على قطعة لائقة بمنصبه وجلاله وأكثر قراءته بجبل رازح وحبور وكان جزل العطايا ، كريم الأخلاق والسَّجايا ، له مقة فى القلوب يساعد بالمقدور ، والفلك بالسعادة له يدور ، وكان حضرته ملقى الرحال وموسم الفضلاء وقبلة الآمال ، وتغيرت احواله فى آخر أيامه فبطش وغشم وكان يبرم ما ينقض وينقض ما أبرم ، ولم تحصل النكبة عليه حتى قلته الرعية وملّته ، مولده سنة أربع وخمسين بعد الألف ، وفى آخر جمادى الآخر أو أول رجب من السنة المذكورة كان قيام السيد العلامة جمال الدين على بن أحمد بن أمير المؤمنين ويكنى بالمتوكل وردت كتبه الى الشريف أحمد بن غالب والى أناس من أهل هذه الجهات يدعو الى الانتظام فى سلكه ولا نعلم أحدا اجابه الى ما طلب وتوجه الى اليمن وترك بمدينة صعدة والياً ولجبل رازح ولده السيد الأجل قاسم بن علي والياً ، فدخل مدينة الهجر بجموع كثيرة بعد حرب شديدة وكان بها طالب بن المهدى ،وقُتل ذلك اليوم جمع غفير ونهبت المدينة نهباً فظيعاً وكان دخوله يوما مشهوداً وقبض على طالب بن المهدى وأرسله تحت الحفظ الى مدينة صعدة وجعل بمدينة شهارة ولده الحسن والياً وأقام فى « خمر »(1) أياما ثم توجه الى الروضة(2) وحاصر

---

(1) خمر بفتح الخاء المعجمة وكسر الميم وآخرها راء مهملة ... قاعدة بلاد قبيلة حاشد .
(2) الروضة : من ضواحى مدينة صنعا .

صنعا وملك السودة وشهارة وبلاد الشرفين، وبلاد حجة وكحلان وعمران وكوكبان ، وأجابه أكثر أهل اليمن ، ولبث الى العشر الوسطى من شهر رمضان فيما أخال ، ثم كر راجعا وحين أحس أهل شهارة برجوعه احتالوا فى قبض ولده الحسن ليكون لهم ذريعة الى الامام ، فقبضوه وأرسلوه الى الامام ، وأصر الامام بايداعه الحبس البرسخانة ببندر المخا ، واستقر على بن أحمد بعد رجوعه فى مدينة صعدة ، والأقوال مختلفة فى السبب الحامل له على الرجوع وفى أيام خروجه الى اليمن كان الشريف يتخطف أطراف بلده حتى جهز سريَّة ، محطة ، أميرها الشـريف حسن بن خيرات الحسني الى المعنق[١٠] وكان به الأمير الشهير الرئيس الكبير عز الدين بن الحسن بن عز الدين القطبى[١١] من قبل علي بن أحمد ورامت المحطة استئصال من فى المعنّق فمنعها عن ذلك المراد ، ثبت الجنان والفؤاد الأمير المذكور ، وثبت ثباتاً يليق بشرفه وعنصره ، مع قلة خيله وعسكره ، وربما قتل من قتل فى ذلك اليوم ورجعت المحطة خائبـة ، وبعدهـا استنجد الأمـير عز الدين بقاسم بن علي والي جبل رازح واستغاث به فنهض لنصرته والأخذ بالثأر ممن يعرض بالأذى لأهل بلدته ، ونزل بجنود يكثر عددها وأخذ الشريف فى تجهيز الأجناد وتوجه الأمراء والقواد وضربت الأمراء خيامها بأرض شقر على مسافة أربعة فراسخ من أبى عريش من جهة اليمن ، واجتمع معهم من الرجال والخيل عدد مستكثر والتقى الجمعان فى العشر الأول من شهر رمضان من السنة المتقدمة ، فانهزمت الأجناد التهامية وعصفت بها ريح الأجناد المشرقية ، وقتل من أصحاب الشريف ما ينيف على خمسين رجلا ، وظفر أهل المشرق بخزانة الأمراء بعد أن انذعروا انذعارا مزريا[١] واتصل الخبر بمسامع الشريف من أفواه الهاربين وروى أنه اتهم بالخديعة بعض الأمراء المذكورين ورجلا من أهل مدينة أبى عريش فأمست خاوية ؟ على عروشها فلم يبق فيها الا الشريف على حاله ولو أنهم قدموا اليها لملكوا المدينة عليه ولكنها سبقت بخلاف ذلك الأقدار وتحقق رجوع قاسم بن علي الى « البار » [١٢] ولم يلبث حتى اتصل به الخبر برجوع أبيه من اليمن كما قدمنا واستقر الشريف بقلعة أبى عريش ونما خبره الى الامام فعظم شأنه لديه والتفت بعين الانصاف اليه ورجع أهل المدينة اليها وكان هذا هو الرَّحيل الأول من أهل مدينة أبى عريش لأنهم أجلوا فى مدة الشريف ثلاث مرات هذا أولها ولم يزل الشريف باسطاً العدل ناشراً ألوية الاحسان يصل معروفه فى كل ليلة الى أكثر من مائتى انسان والوزير سنبل وجهه الشريف قبل قضية « شقر » الى حرض ولما بلغه الخبر برجوع علي بن أحمد ارتحل من حرض الى المعرَّس[٢] ثم الى اللحب[٣] ثم الى المحرّق[٤] بسيرة خشنة وحـالة غير مستحسنـة وأقام بالمحرّق نحو الشهرين ثم عاد الى حضرة الشريف وفى ليلة الجمعة سادس شهر شعبان الكريم فى السنة المذكورة قتل الشريف الأكرم حسن بن مطاعن الخواجى والي قرية الشقيـرى وهجرة ضمد وكان شريفا جليلا ورئيسا نبيلا له شجاعة وتدبير وكرم من غير تبذير وسياسة لأمور الرعية وقمع لأهل الفساد ، فى البرية ، قتله بعض بنى عمه بسبب اتهامه له بقتـل رجل مفسـد من القبائل ، أمَّنه القاتل المذكور ودخل به قرية الشقيرى فقبضـه الشريف حسن بن مـطاعن ،

---

(١) فى النسخة الأم « مزورا » هكذا ويظهران الصواب (مزريا) وقد صححناه كما ترى اعلاه .

(٢) ، (٣) ، (٤) المعرس ـ واللحب ـ والمحرق قرى فى اليمن الشقيق .

وأودعه الحبس وأصبح ذات يوم ميتا فقال الذى أمَّنه لم يمت حتف أنفه وانما قتله الشريف حسن فتبرأ المذكور من ذلك ؟ ولم يصدقه ، وانتهى خبرهما الى أمير صبيا وتوسط بينهما بتسليم مال معلوم يكون لأهل المقتول ثم رجع الشريف الذى أمَّن ذلك المفسد ورأى أن يلبسه ثوب النقا(١) عند القبائل هو الاقتصاص بالشريف الحسن ولم يعلمه أن التقمص بثوب العار أهون من التقمص بسربال النار فغاله بالليل عند مضجعه وفر فلم يقدر عليه ولما اتصل الخبر بالشريف محمدابن أبى طالب أمير صبيا وكان نظر القاتل والمقتول اليه سارع فى الوصول الى قرية الشقيرى فوصل اليها فى يوم الأحد ثامن من شهر شعبان المذكور ومكث بها ثمانية أيام وتجاوز الحد فى التأديب وفعل أفعالا قبيحة وقبض على جماعة من الأشراف اتهمهم بالرضا بقتل المذكور والمخادعة فيه فأودعهم الحبس بمدينة صبيا وكان الشريف محمدابن أبى طالب وأبوه يميلان الى هذا المقتول ويرغبان الى توليته لهاتين القريتين من جهتهما وممن أراد القبض عليه الشريف محمد ابن أبى طالب الشريف الأكرم مطاعن ابن ابى طالب بن دريب فارتحل من قرية الشقيرى عملا بقول أبى الطيب :

ومقام الكريم فى ساحة الذل   وقد أمكن الرحيل حرام

واعتصم بالشريف أحمد بن غالب وأقام عنده ووقف لديه كما قيل ..

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم

فتعذر على الشريف محمد أبى طالب قبضه وتعزيره ولانه لاذ بحصن من حديد نعم والشريف بعد رجوع على بن أحمد ، استمال مشائخ رازح وخامرهم ؟ أبالطمع ولما أحسّ منهم الاذعان وجه اليهم رجلاً يقال له « الترجمان » وطردوا ؟ « قاسم بن علي ، وأخرجوه مرفقاً بين أظهرهم وأقام الترجمان بجبل رازح لا يصدر ولا يورد والأمير الأكرم جمال الدين عز الدين بن الحسن القطبى لما تفاقم عليه الامر وأعياه ، كاتب الشريف يستأذنه فى القدوم عليه والانتظام فى سلكه فأذن له ولما اجتمع به أنصفه وأكرم مثواه وأحسن نزله ثم تجهز السيد الرئيس حسين بن علي من صعدة وقبض على الترجمان وصيرَّه الى صعدة وأودع الحبس وعاد جبل رازح لعلي بن أحمد ثم كلف الشريف الأمير عز الدين بالطلوع الى صعدة لا ستخراج الترجمان من حبس علي بن أحمد فطلع وأحسن السياسة فى استخراجه ونزل به فى آخر شهر عرفة من السنة المتقدمة وهذا كله ولم يكن للشريف من البلاد سوى مدينة أبى عريش وبندر جازان وعسى أن يكون حرض ، وفى العشر الأُول من محرم افتتاح سنة ثلاث جهز الشريف الوزير سنبل وأخاه حسن بن غالب فى جموع يعسر ضبطها وحصرها الى بعض قبائل بنى شعبة[١٢] وأمسوا بهجرة ضمد ليلة التاسع من الشهر المذكور ومروا بقرية « صلهبة » وكان ليلة حادى عشر أو ثانى عشر منه أمسوا بموضع يقال له « الصندلين »(٢) يسامت شرقاً قرية الملحا بوادى مدينة صبيا(٣) على حال اطمئنان ودعة وراحة ، مهملين النظر الى ما قصده القائل :

---

(١) « النقا » لغة النظافة ، واصطلاحاً البراءة من العيوب والنقائص ـ راجع ص ٢٠٦ جـ ١ من كتابنا الادب الشعبى

(٢) الصندلين جبلان صغيران شرق قرية « الملحا » ـ انظر حرف الصاد من كتابى المعجم الجغرافى لمنطقة جازان ويعرف باسمه الى هذا التاريخ .

(٣) قرية الملحا هى بوادى ـ وساع ـ لا بوادى صبيا كما ذكر المؤلف .

ومن لم يخف من غائلات عدوه ... فرت نحره أنيابه ومخالبه
ومن جعل التفريط والعجز دأبه ... وخلف رأى الحزم أعيت مطالبه

فشاع خبرهم فى البدو ، وكان فيهم جماعة من الفرسان منهم الشجاع الأبطل ؟ من لا يهاب البيض والاسل شار بن شريفة فابتدرهم أولئك الفرسان مغتنمين الفرصة عاملين بقول زهير :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه[1] ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فانذعر ذلك الجمع وعمى منهم البصر وصم منهم السمع ، وكانوا من جميل صنعهم وعظيم قدرهم أعنى القاصدين أنهم لم يدخلوا المحطة وانما وقفوا على جوانبها فمن انتبه من المحطة مذعورا يظن التهرب ينجيه وقع فى أيديهم فقتلوا من الجيش نحوا من ثلاثة عشر رجلا وغنمت القبائل غنائم متسعة ورمى الشريف حسن بن غالب فى يده ولما حصل عليهم من النكبة ما حصل تثلم غرارهم ، ومالوا الى مدينة صبيا فدخلوها وبعد استقرارهم بها حصلت النكبة على الشريف محمد ابن أبى طالب على يد النقيب سعدون من قبل الامام وكانت لأغراض تطابق لما فى نفس الشريف أحمد بن غالب وذلك أن الشريف لما مالت به الرغبة الى تملك صبيا أعمل الحيل وأعانه على ذلك قوم جعلوه ذريعة الى زوال ملك محمد ابن أبى طالب وغفلوا عن قول المتنبى :

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده ... تصيده الضرغام فيما تصيدا[2]

حتى وقعوا فيه ، فعزم عازمهم الى الامام وعظم أمر محمد بن أبى طالب اليه ، وكان من جملة المكايد التى أعملها أن مخلاف صبيا يحتمل خمسة آلاف مقاتل يكون بهم النفع والنكاية للعدو ، فيستعان على جهاد « صاحب صعدة » فوقع ذلك الكلام من الامام فى قلب فارغ واغتر به ، فعين على « ابن أبى طالب » ذلك القدر وان عجز عنه فأمر صبيا يكون الى الشريف أحمد بن غالب ، والشريف أحمد بن محمد بن حسين يكون عاملا من جهته فلما وقف الشريف محمد ابن أبى طالب على ذلك أقر بالعجز عن تحصيله لعدم وجوده فى البلد ، فجعلوا ذلك سببا لعزله ولله در القائل حيث يقول :

يعد الفتى اخوانه لزمانه ... واعدا له من صرفه ما أعده

وقيل أن صفة ذلك أن الشريف أحمد بن غالب أرسل الى الامام الفقيه محمد ابن أبى القاسم الاريانى فى أغراض له من جملتها هذه المعونة بالرجال على مخلاف صبيا ، والالزام بالضيافة أيضا ، وينزل بذلك صهره أحمد بن القاسم الاريانى ، وعزل محمد ابن أبى طالب وتوجيه البلد الى الشريف أحمد بن غالب كان متأخراً فى التأريخ بخطوط . وأخذ النقيب يتتبع أذاه ويطالبه بالأموال الجليلة ، وأشاع أن من له لدى الشريف محمد مظلمة يأتى لها ، وكان المظلوم يصل مسروراً ظاناً عود ؟ ما أخذ عليه فيخبرهم به أو يرقمونه ، وبعد ذلك يعرضون عن

---

(١) فى الاصل (ولم يذد عن حوضه بحسامه) جرى التنبيه .
(٢) فى الاصل المخطوط (ومن يجعل الضر غام فى الصيد بازه) : جرى التنبيه :

المخبر ويزدرونه ، والغرض هو تكثير ما يطالب به الشريف محمد من الأموال واستقضاؤها ذلك لبيت المال ، فاجتمع عليه أموال يعجز أن تحصى وتجل أن تضبط وتستقصى فاجتاحت ما احتوى عليه ملكه وملك أبيه من المنقولات وأنواع الحلى والمصوغات ، وعَدّوا من بعد ذلك عليه ألوفا بما يطالب به وانتهى الى حال يرثى له الشامت واشتفت صدور أهل الحقد بما ناله ، ومن ذا يأمن الدهر وأفعاله ثم توجه هو وأبوه الى أبى عريش وكان يظن ان فى القرب من الشريف ما يسهل ما نزل به من العذاب المؤلم ، ورأيت له فى كتبه الى بعض أصحابه بأبى عريش انك تذكر للشريف أن يطلبنا اليه ليكون ذلك مخرجاً مما وقع فيه أوما فى معنى ذلك فى كلامه فى كتابه ، لكنى نسيت لفظه ، ولما وصل الى أبى عريش عظم عليه التغليظ ووقع فى أشد مما كان فيه شعراً :

وكان كالساعى الى متعب ... مواثل من سيل الراعد »[1]

وجرى عليه من الاهانة والتعزير مالا يليق بمثله وكان هذا وأبوه عنده لكنه لا يستطيع الدفاع عنه ولا يهتدى الى خلاصه سبيلا ولسان حاله ينشد انشاد حائر متردد :

اهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان[١٤]

وأخذ العامل من قبل الشريف فى كيفية تفريق الخمسة الآلاف على أهل القرى ، وكأنهم لما رأوا أن تحصيلها رجالاً مقاتلة لا يمكن ، جعلوها تخييرا بين أن يكون رجالاً مقاتلة أو مالاً عوضاً محل كل رجل ، أحمر ،[2] تكون بخمسة آلاف « أحمر » جاءت حصة هجرة ضمد والشقيرى وخظيرة[١٥] انتهت الى ألف وأربعمائة قرش واجتمع للشريف قدر متسع من الأموال ويروى أن الشريف لما أنهى الى الامام أن أهل الجهة اختاروا أن يسلموا معونة على الجهاد عوضاً عن الرجال فطلب الامام من ذلك المال قدر أربعة آلاف قرش وما بقى منه تركه للشريف وكان هذا فى شهر ربيع الأول والآخر من السنة المذكورة وهذا أول ضرر نزل بهذه الجهات بعد توجهها الى الشريف ، والثانى الالزام بالضيافة والخرص فى مخلاف صبيا وهو مما جاء به (العارم)[3] الى الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام ؟ قد روى اجماع العترة على جواز خرص الزرع اما مع هذه الصفة التى استمرت عليها عمال هذه الجهات فلا يبعد اتفاق علماء الأمة على التحريم ولولا صحبت[4] سلوك طريق بعض السلف لذكرت فى ذلك مالا يستغنى عنه وقد ابان العلة بقوله :

انى لأكتم من علمي جواهره ... كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم فى هذا أبو حسن ... الى الحسين وأوصى قبله الحسنا
يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولا استحل رجال مسلمون دمى ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وهذه الأبيات معزوة الى زين العابدين وأنكر عزوها اليه بعض العلماء وقال أن العلم لا يحل كتمه وقال فى الثمرات ذكرها عن زين العابدين الغزالى فى منهاج العابدين والديلمى فى كتاب التصفية قال فيها فلا معنى لا نكار من ينكر ويزعم أن العلم لا يحل كتمه.انتهى . كيف وقد

---

(١) هكذا فى الأصل اثرنا نقله كما هو بالمخطوطة . (٢) أحمر : اسم عملة متداولة فى ذلك التاريخ .
(٣) هكذا فى الأصل بدون اعجام (العارم) . (٤) هكذا فى الأصل .

أخذ من قوله تعالى عز وجل حاكيا عن يعقوب عليه السلام « يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً » اذ يجوز انتفاء الفضيلة تحررا من الحسود وقال فى الثمرات وهذا داخل فى قولنا أن الحسن اذا كان سبباً للقبيح ، وقد ذكر المؤيد بالله أنه لا يفتى بصحة اقرار الوكيل لفساد الزمان ، فعرفت بهذا كله أن هذه الأبيات جارية على أحسن سنن ، لها من الأدلة ما يعضدها ، نعم ولبث الشريف أحمد بن محمد بن حسين والياً بصبيا قيل الى سلخ جمادى الآخرة ثم عزل وجعل الشريف الوزير سنبل والياً لمدينة صبيا ، فملك وقهر ونهى وأمر وبنى المبانى الرفيعة ، وسكن الدور المنيعة ، واجترأ على مصاهرات من ليس لهم بكفؤ ، رغبة ورهبة ، وفى أول هذه السنة تولى بمدينة أبى عريش الاريانى ولم تتم له الولاية الى آخرها ، وأخاله كان من قبل الشريف وتحت نظره ، وفى شهر رجب بعد استقرار الوزير بمدينة صبيا كانت واقعة الشريف الهمام مهدى بن محمد الخواجى المكنى(١) أبا صالح ، وكان من خبرها أن الشريف المذكور أخذ على رجل من آل حبيب(٢) يسمىَ شارا ، فرساً معاقبة له فى أمر صدر منه ، ففزع الحبيبى الى الوزير سنبل يشكو ما فعل معه الشريف المذكور ، فأرسل المذكور من يصل به فامتنع وأحسبه تكرر الارسال وذلك الامتناع مجرداً للوزير ؟ وأراد أن ينهض ثم بدا له من ينوب عنه ، فأرسل نحو خمسة عشر نفراً من أهل البندق وخمسة من أهل الخيل على ماروى فوصلوا الى دار الشريف مهدى ولم يكن بها حينئذ فأخذوا فرسه وفرس الحبيبى على صهوتها ولجامها وكانت مغنمة وشاع الخبر فأغار أبو صالح وغيره وكر على العسكر وقتل منهم ثلاثة وقتل اثنين من عبيد الشريف وضرب آخر ضربة لم تزهق بها روحه ثم ولت العسكر الادبار ونجوا بفرس الشريف ولم يذكر عن أحد من أهل الغارة فعل الا عن هذا الفاطمى فانه حملته على عدم الضيم نفسه الأبية ... وبالأفعال تعظم الأخطار وعلى حسبها يكون الجدود وعلو المقدار ؟

ولم أجد الانسان الا ابن سعيه فمن كان أسعى(٣) كان بالمجد أجدرا

وعظمت هذه الفعلة عند الوزير وسيده وروى أن الشريف مهدى ومن معه طلب منهم قيمة العبيد وقدر من الأدب فامتنع من ذلك الاذعان وطلب من الشريف لما نطق به الشرع الشريف ان عليه وان له فثنى عن ذلك عطفه وبعد ظهور امتناعه صمم الأشراف المذكورون على دفع باطله ورد ما جاء من عنده وتحزبوا وتجمعوا وأرسلوا صارخا الى بنى شعبة فأجابهم من أجاب وساعدهم على ذلك بعض الفضلاء حمية لله وأنفة على ما روى ، وعز جانبهم من أوامر الشريف التى تنزل بكل ركيك العزم ضعيف ، ثم ترجح لبعض الأشراف أهل السلامة أن يرتحل الى الشريف أحمد بن غالب مباينأ لأصحابه وخائفاً من بوائق عقابه ، ولما انشق منهم العصا ، وعصى(٤) الشريف مهدى من ذويه من عصى ، خَذَلهم من جاءهم من بنى شعبة ، وروجع الشريف فى شأن البقية فى أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة وأذعن له بتسليم قدر مستكثر من الأدب

---

(١) فى الاصل « المكنا » فاصلحناه المكنى .

(٢) آل حبيب قبيلة معروفة فى جهتنا .

(٣) فى الاصل (فما كان اشقى كان بالمجد اجدرا) جرى التنبيه .

(٤) كتب بالالف فى الأصل فاصلحناه كما تراه .

يطابق غرضه ، وقد أظهر الرضا ، ولكنه أبطن خلاف ما أظهر ، وارتحل من مدينة أبى عريش فى آخر شعبان أثناء المراجعة الى مدينة صبيا لقصد الانتقام من أهل السَّلامة ، واستفز أهل البوادى فأجابه من كل قرية جماعة ، وجهز الوزير سنبل الى قرية السلامة فى جمع كثير من الرجال والخيل ولما علم أهل السلامة بوصول الشريف مدينة صبيا انزعجوا وعلموا عدم القدرة على مقاومته مع انشقاق عصاهم وخذلان بنى شعبة لهم استحسنوا الاجلاء عن بلدتهم .

ولا لوم فيما لا يطاق وانما ... يلام الفتى فيما يطاق من الأمر

فوصل الوزير الى قرية السَّلامة ولا أنيس بها فأحرق بيوتها وطمَّ آبارها وأفسد زرعها وبالغ ألا يبقى بها أثر ولقيه أهل بيش بضيافة فدخل قرية بيش وأقام ليلة أو ليلتين ثم استدعاه الشريف فوصل ودخل قرية المحلة والدهنا فسام أهلها الخسف وكلفهم مالا يطيقون وعاث وأفسد ودمر وشتت وبدد وفعل جنده قبائح الامور ممالا يحسن إثباته فى هذه السطور وأقام الشريف فى مدينة صبيا إلى شهر رمضان ثم عاد الى مدينة ابى عريش وكان فرار الشريف مهدي وعشيرته الى الدرب ، بيت دعائمه طوال وطود لا ينال قلله الأوعال ، كما قيل :

بيت حمت عنه أسنة تغلب ... أن يستباح وانها لطوال
بيت يخر الهام عن أطنابه ... مشدوخةً وتعفر الأبطال
بيت لو الأرياح تلمس قرنه ... لاندق فيهن القنا العسال

وفى شهر شوال من السنة المذكورة لعله حادى وعشرين وقيل سابع وعشرين منه ارتحل الشريف من مدينة أبى عريش الى وادى خُلب[١٦] بخاء معجمة مضمومة فلام مفتوحة فموحدة على وزن زحل النجم المعروف ، وكان ذلك لتكليف الامام له ولم يرتحل الا بعد أن عين على أهل مملكته الف رجل مقاتل ، كان ذلك على مخلاف صبيا ثلثمائة مقاتل فضرب الشريف خيامه يمانى مجرة الوادى بارض ذات ثمام مستوية وبعد استقراره ألزم مشايخ تلك الأرض بتحصيل آلات البناء فحصَّلُوا من ذلك قدراً مستكثرا فبنى[١] بيوتاً واسعةً واستحسن مع طول الاقامة وازدحام الناس أن يجعل لذلك الموضع سوقا[٢] فاستدعى من المدينتين من يقيم أود السوق من العطارين ونحوهم فارتحل اليه من هذه الأجناس جمع كثير رغبة ورهبة ثم جعل لذلك السوق موعداً يجتمع الناس به فى كل أسبوع يوماً فورد اليه الواردون وأتاه من كل فج القاصدون وصار ذلك السوق أحسن الأسواق وأجمعها لما اليه يطرب المشتاق ، وبنى بذلك الموضع مسجدا جامعاً وفى هذه السنة أو التى بعدها جاءت له التولية من الامام لبلاد الشرفين فالمحرّق واللحب والمعرّس وبلاد ضاعن وعاهم ومور والضحي فضخمت سعادته واتسعت دائرته وامتلأ بهم ذلك القاع وكان أكثر انيسا من سائر البقاع وكان الواردون اليه يردون أفواجا ولم يزل فى اقتطاف أزهار لذاته

---

(١) أصل الفعل بنى ، والجمع ابنية وجمع الجمع ابنيات ، والبناء صانع البناء ، والبنيان ما يبنى ، والبُنية الهيئة التى يبنى عليها - وبنى فلان على اهله دخل بها فى الاصل «الام» فبنا فاصلحناه وجرى التنبيه .

(٢) ونرجح ان هذا السوق الذى اسسه هو سوق الأحد الحاضر وسيقول قائل ان هذا السوق كان يمانى مجرى الوادى ونقول ان الأودية دائما يتغير مجراها وقد مضى على ذلك ٣٠٦ من السنوات وهى مدة كافية لذلك التغيير ، وقد يكون ان هذا السوق انتقل من جنوب الوادى الى شماله .

وافتضاض أبكار مسراته وفى يوم عرفة أو النحر من هذه السنة كان وفاة الشريف أبى طالب بن محمد رحمه الله وهو الشريف الأكرم الغضنفر جمال الدين أبو طالب بن محمد بن حسين بن أحمد بن عيسى الخواجي .

فتية لم تلد سوى للمعالى والمعالى قليلة الميلاد

هو من بيت بسق مجد ملكه وانتظمت المفاخر والمعالى فى سمطه وسلكه ، أول قائم منهم الشريف المنزه عن كل مشين شمس الدين أحمد بن حسين[١٧] فى السنة السادسة بعد الألف فأزال المنكرات والبدع ورفع من الدين ما تضعضع ، وكان قيامه بهذه السهال مضاهياً لقيام الامام المنصور[١] بالله بالجبال ولم يزل قائما بأعباء ما حمل حتى لقى ربه فى السنة الثامنة والعشرين بعد الألف وفى أيامه كانت واقعة الشريف عيسى بن مفيد والقائد ابن بدر كما ذلك معروف وقام بالأمر بعده ولده الشريف الأمجد حسام الدين حسين بن أحمد وبلغ من ارتقاء درج الكمال مالم يبلغه أحد وفى أيامه كان خروج الباشا قانصوه[١٨] ومع عظيم قهره ونفاذ حكمه وأمره لم يكن له فى بلد الشريف المذكور الوطئة الكلية وروى أن الباشا حاول قبضه فلم يقدر عليه وربما قيل له أن فى قبضه من المفسدة ما يرجح على مصلحته لما هو عليه من القوة والمنعة وكان فى أيامه وصول الشريف اللسن نابغة بنى الحسن أحمد بن مسعود وافداً على الامام المؤيد بالله محمد بن أبى القاسم ومستنجدا له ومدحه بقصيدته الدالية أحسب أولها : . . .

(خذوا بدمى ذات الخلاخل والعقد) . .

الى ان قال :

خطيب اذا ما قام فى رأس منبر وخطب على رأس المطهمة الجرد

وسببه كان خروج السيد أحمد لقمان[١٩] الى الشام وجرى لهم ما هو مذكور معروف ، وكان الفقيه العلامة السابق فى مضمار الفصاحة والمعدود من أهل الأناة والرجاحة ضياء الدين اسماعيل المحلوى[٢٠] ملازماً له ، وكان هو النائب عنه فى رسائله وجواباته والمعد لحوادثه وملماته ، وكانت وفاة الشريف حسين بن أحمد فى السنة الثالثة والخمسين ، روى لى بعض فضلاء العصر أنه لما توفى[٢] جاء نعيُه الى الفقيه اسماعيل وكان الفقيه قد أصابه طرس ؟ قال فلما قال له عظم الله أجرك فى الشريف حسين بن أحمد وقع يكتب فى الارض بعصا

أخبرى أن الطريق قد عفت رسومه أنت قصمت ظهرى
تطلب أجرا فى هلاك مسلم ما فى هلاك مسلم من أجر ؟

ولم أقف على نسبتها لأحد قبله ، وقام بالامر بعده ولده الشريف السرى جمال الدين محمد بن الحسين، وله من المعالى والمكارم ما يملأ الفم والأذن والعين ، وعلى الجملة فله ولآبائه فى المعالى أخبار لا تتسع بها هذه الوريقات ، وأيامهم مشهورة فى عدوهم لها غرر معلومة شهيرة ، وكانت

---

(١) هو الامام القاسم بن محمد الذى قام بثورته فى الجبال اليمنية ضد الاتراك سنة ١٠٠٦ هـ ـ ١٥٩٨ م

(٢) توفا هكذا رسم فى الاصل والصحة : توفى . لانه فعل ماض ناقص .

وفاته فى السنة السادسة والسبعين بعد الألف ولم تزل هذه النطفة تتهاداها البطون والأصلاب حتى انتهت الى الشريف أبى طالب فكانت خاتمة الباب ، جبل على طباع الشرف والسيادة وجمع من الخصال الحميدة ما لا يجمعها غيره عادة ، ورزقه الله جداً وسعدا وملأت هيبته القلوب غورا ونجدا ، وكان شجاعا شهما جواداً ممدوحا همته عالية وسيوفه لأوليائه حامية ، وعلى الأعداء بالردى[1] قاضية ، وما أحقه بقول القائل :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر ... فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما أقام فان سرى ... فى جحفل ترك الفضاء مضيقا

وكانت دواعى صدره سليمة ، ونيته مع الله وعباده صحيحة غير سقيمة ، . . وصفت مملكته نحوا من اثنتى عشرة سنة ، كلها عند المسلمين أعياد خالصة عن الشوائب والمحن والانكاد ، ثم اضطربت من بعده فاضطرب المسلمون باضطرابها ، وناهم الضرر والبؤس بذهابها ، وكانت غرة محتها أيدى الليالى ، أو زهرة قطفتها يد الدهر ، وكذا الدهر لا يبالى ، :

عجبا للدهر ماذا سنه ... ولأحداث الليالى عجبا

وبعد وفاته رحمه الله توفيت الآمال وقصرت الهمم وخرب بيت المجد الذى كان قد شاد ؟ وانهدم وبكت العيون لفقده دمعا ممتزجا بدم :

فان تك أفنته الليالى فأوشكت ... فان له ذكرا سيفنى الليالى

وبعد مضى عشرة ايام من رزئه القاصم للظهور « . . . . . »[2]

وفى مستهل محرم الحرام سنة أربع ومائة وألف جهز الشريف وهو بخلب أجنادا يكثر عددها ، وأمّر عليها السيد حسن بن أحمد المرتضى والشريف على بن حسن العنقارى وفى صحبتها الشيخ الصنديد محمد بن جابر الرزيقى ، قاصدين موضعا يقال له الرَّنف[21] براء مفتوحة فنون ساكنة؟! فقرأ أخاله فى أعلى مير[3] وادى جازان ، وكان به قبيلة دعجان وفى نفوسهم أيضا الغزو لآل عمر وآل حسن ثم أخذ ما أمكن أخذه من قبائل بنى شعبة لمعاونة الشيخ محمد بن جابر فلما وصلوا ذلك الموضع وجدوه ولا أنيس به وقد غاب عنه قبيلة دعجان[22] (. . . . .)[4] وأما آل عمر وآل حسن[23] فانه تعسر أخذهم وروى أنهم تجمعوا للدولة تجمعا قويا ولكن سبق مرور الدولة أو قصر عن موضع تجمعهم ولما قربوا من قرية الشقيرى قال الشيخ محمد الرأى أن ننزل بهذه القرية لتعليق الدواب ويستريح الجند كيما يقدروا على النهوض فيما بعد فاستمعوا لقوله فباتوا تلك الليلة بقرية الشقيرى وأصبح مكان الشيخ محمد مقفرا منه فعرفوا عدم النصيحة وكتبوا الى الشريف بما جرى ودخلوا هجرة ضمد فى الرابع من الشهر المذكور فباتوا بها ليلة الخامس وقالوا وشرعوا فى القيلولة يوم الخامس فورد عليهم كتاب الشريف يدعوهم فيه فلم يلبثوا ريثما يتزودون ، وكانت

---

(١) فى النسخة الام (الردا) فصححناه كما ترى
(٢) كما فى الاصل .
(٣) المير : الحزن انظر ص ٤٣٧ من كتابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان بعنوان المصطلحات الجغرافية المحلية .
(٤) كما فى الأصل بياض بقدر كلمتين .

هذه الفعلة من الشيخ محمد جابر من الحوامل لِحَبْسِهِ كما يأتي وأعلم أن بني شعبة لما فعلت فرسانهم وقبائلهم ما فعلت في الصندلين كما تقدم غضب الشريف عليهم وبلغ منه ذلك مبلغا عظيما وكان في نفسه أن يجعلهم ومن ينصرهم من القبائل تحت وطئته كسائر أهل مملكته ولم تساعدهم على ذلك شَنْشَنَتهمْ التغلبية ونفوسهم العزيزة الأبية لأنهم لكمال نجدتهم وشدة بأسهم وقوة عدتهم لم يرعوا الا ثمر العز ولم يشربوا الا ماء الاجترام وما ألفته النفس فهو عسير الفطام وكانوا لما عرفوا من الشريف الغضب من فعلة صندلين أرادوا طيبة نفسه وعدم حقده رعاية لحقه واغلاقا لباب الفتنة ، فعزم اليه من عزم فعلق الشريف رضاه بشرط أن يأتوا ببعض من عَيَّنَه عليهم يكون لديه وروى أنه شرط عليهم أيضا تسليم قدراً من الأنعام يستجهل من يلفظ به ، فأرضوه في ذلك المجلس بالمقال ونشطوا من مبركه العقال ولحقوا بقومهم وبلدهم فاستحكمت الوحشة وانقطع بينهم الاتصال وكان كل واحد منهم على حذر من الآخر والشيخ محمد بن جابر الرزيقي رأى أن يخرم هذه القاعدة ويواصل الشريف استجلابا للفائدة ولله در القائل حيث يقول :

وما السيد القمقام عندي بسيد اذا استنزلته من علاه الرغائب

وربما أظهر للشريف أن آل جابر منفصلة أحكامهم عن سائر بني شعبة كما روى عنه ، وان الفاعل في تلك الفعلة في صندلين ليس من آل جابر وكان يطمّع الشريف ويمنّيه بأنه يستميل من يستميل ومكث على ذلك برهة مراعي الجناب لا يغلق دونه باب حتى مضى وقت ولم ير فيه تأثيراً ولا نَجْعاً وكانت منه تلك الفعلة مع الشريف المتقدم خبرها فانكشف له انما ذلك منه انما كان مكراً وخداعا فأسرها في نفسه ولم يبدها له ولما مضت من فعلته تلك أخاله في آخر الشهر المذكور دخل الى مدينة صبيا وفي صحبته الشجاع الباسل شار بن شريفة وغيره ومعه قافلة مظهراً أنه يجلب للدولة المصالح وعلى ذهني أن ذلك كان أول دخول منه بعد فعلته تلك فلما استقر به المجلس بين يدى الوزير أشار الوزير الى خدمه ان اقبضوه فتسارعوا الى أخذ سلاحه وقبضه وأودع الحبس وركب شار بن شريفة صهوة دابته فنجا وحصلت في المدينة زعزعة وروى أنه حصل نهب وخرج الوزير بعد الهاربين غير بعيد وعاد وقيل كان قبض الشيخ محمد بن جابر أن رجلا من أصحاب الوزير عرف سلاحا كان مع رجل من أصحاب الشيخ محمد يدعى أنه نهب عليه يوم « صندلين » ودار الكلام حتى ارتفعت الأصوات وكادت الحرب أن تقوم على ساق فتوهم الوزير أن ذلك خديعة من الشيخ المذكور فقبضه ، والظاهر أن السبب في قبضه ما قدمناه ، لأنه لم يفكه بعد أن تحققت براءته وإن صح ذلك الذى قيل فهو سبب انضم الى أسباب ، ثم أن الوزير أرسل بالشيخ محمد مصفّداً الى الشريف بخلب وبقى عنده ولما وصل الاشراف بنو حسن عبدالله بن هاشم وراجح وشبير وبشير بن مبارك من مكة المشرفة الى الشريف صحبهم الشيخ على بن جابر أخو المحبوس وتعلق بأذيال الشريف الاشم ، بدر المجد الأتم ، عبدالله بن هاشم فجعله واسطة بينه وبين الشريف في فك أخيه وطلب الشريف في فكه قدراً من الانعام فاحتمل به الشيخ على بن جابر ولما حصلت ووقفت بين يديه جعل لا يأخذ الا ما اجمع على حسنه وأظهر للقبائل أن من عرف شيئا من هذه الأنعام يأخذه بعد أن يحلف عليه ، ولما كان القبائل أهل معاداة وبغى ، وأكثر ما بأيديهم مال غيرهم انشل ما جاء به الشيخ على بن جابر ، وبعضه كان معينا للشريف على شرطه ، فأيس من خروج أخيه وارتحل وفي فؤاده ما فيه وفي اليوم التاسع من شهر صفر كان نزول الشريف حسن بن

غالب من جبل رازح بعد أن تحقق خروج أولاد الامام من مدينة صعدة وجرى عليهم من المصائب ما يعجز عن ضبطه قلم الكاتب ، وقتل السيد الرئيس الهمام الضيغم ضياء الدين اسماعيل بن الامام الناصر لدين الله بعد خروجه من صعدة ، وروى أنه ثبت ثبات من لا يرهب ولا يخاف ، وجرّع من بغا[1] عليه كأسا مترعاً من السم الزعاق وكان سيدا وقورا ورعا حازما عادلاً محمود السيرة ، محببا الى قلوب كثيرة ، ولم ينج من أصحابه الا من شذ ولم يكن لابن الامام على بن أحمد مشاركة فى ذلك على ما روى ، وانما الفاعل لذلك قبائل تلك الجهات تهالكاً على الطمع ، وكان هذا السيد قد دخل هو وجماعة من آل الإمام ومن الرؤساء بأجناد لا يعد حصرها ويعز ضبطها الى مدينة صعدة بمواطأة منهم لقبائلها ، وخرج منها ابن الامام على بن أحمد خائفا يترقب بعد أن أحس الخداع ، وعلم أن الدفاع ليس بممكن ولا مستطاع ، فتنحى الى بنى جُماعة بضم الجيم فأجاروه وأعزوه وأكرموه وترك بمدينة صعدة أهله من النساء والأطفال فضيع الحزم وسلك غير سبيل أولى السياسة فاستحسن بعض الرؤساء الداخلين مدينة صعدة تحميل أهله وايصالهن الى اليمن اكادة واغاظة ففعل وروى أن الامام لم يرتض ذلك ، قيل وقد كان ابن الامام قد عهد بأهله الى أبى طالب بن المهدى بعد ان أخرجه من الحبس وصمم على التنحى ، وربما روى أنه أنكحه ابنة له ولما تهيأ للداخلين ما تهيأ وملكوا من صعدة ما عليها ، واجتلوا ضوء بدرها وشمسها ، أقبلوا على قبائل تلك الجهات فأخذوها بالعنف وعاقبوا المجرم معاقبة غليظة ، فاختل عليهم أمر السياسة والسيرة وفعلوا من الأمور التى لا تليق أفعالا كثيرة ، فتصدعت قلوب القبائل ومالت وأخذت بالحزم واستشعرت الصبر ، فردت عليهم أوامرهم وأظهرت المخالفة لهم وجرت بينهم وبين الامام حروب تحاكى حرب الفجار[2] ، وسَدُّوا طرق المواد على الامام فوقع عليهم الحصار ، ودارت عليهم النوائب رحاءها بالليل والنهار ، ولبثوا على ذلك برهة من الزمان حتى آل أمرهم الى ما ذكرنا من الخروج وقتل اسماعيل ، وكان الشريف لما أحس من أولاد الامام بالدحن أيام مقدمهم الى صعدة جهز من لديه من جهز وكان أخوه حسن بن غالب ممن تجهز فطلعوا جبل رازح وأقاموا مدة اقامة أولاد الامام بصعدة ، وجرت لهم مع أولاد الامام على بن أحمد وقائع كثيرة وكانت الحرب سجالا بينهم ، ولما تيقنوا من خروج اولاد الامام من صعدة سارعوا الى النزول . فنزلوا فى التأريخ المتقدم وعادت نواحى صعدة وجبل رازح لعلى بن أحمد ، وهذه الواقعة لأولاد الامام وعلى بن أحمد صاحب صعدة تشبه واقعة جرت لبعض ملوك الزمن الماضى ذكرها فى سلوان المطاع ، وكتب الشريف الى الامام يعزيه فى ولده اسماعيل وبعد وصول الشريف حسن بن غالب لم يمكث الوزير بمدينة صبيا بل سار الى حضرة الشريف بخلب ، والظاهر أن ذلك كان باستدعاء من الشريف خوفا من انفتاح الفتنة المشرقية ، وتولى بعده الشريف على بن حسن العنقارى ، أو أن الوزير استخلف بعده الشريف أحمد بن محمد ثم جاء عليه حسن من بعده ، وفى شهر ربيع أحسبه الأول وصل جواب التعزية من الامام بخط القاضى الأديب الحسين بن أحمد الحيمى مصدرا بهذين البيتين :

---

(١) بغا : هكذا فى الاصل والصواب ، بغى لانه فعل ماض ناقص ، .

(٢) حرب الفجار هى حرب وقعت بين قريش وكنانة من جهة وهوازن من جهة اخرى معروفة فى التاريخ وسميت حرب الفجار لانها وقعت فى الأشهر الحرم وشهدها الرسول صل الله عليه وسلم مع قومه وهو فتى وقيل فوق ذلك

بقيت ووفري[1] وانصرفت عن العلا ... ولقيت أضياف بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة ... لم تخل يوما من ذهاب نفوس

وهي من أبيات حماسة أبي تمام وطرق سمعي من بعضهم انها للاشتر وفي أثناء الكتاب عند ذكر مقتله :

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى[2] ... لها الليل الا وهي من سندس خضر

هذا من شواهد التلخيص والشاهد فيه الطباق المعروف عند أهل البديع بتلويح الكناية ؟ ذكر فيه لونين حمرة وكنى بها عن القتل وخضرة وكنى بها عن دخول الجنة وهي من قصيدة لابي تمام يرثي بها محمد بن حميد لما استشهد ، اولها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خرَّ من بينها البدر

قال في معاهد التنصيص يروى أنه لما ورد نعيه غمس أبو تمام طرف ردائه في مداد وضرب كتفه وصدره وأنشد القصيدة والى ذلك نحى الكاتب يرثي الشيخ ابا علي خلدون ؟ بقوله شعرا :

لولا الحيا واني أخشى بفعلة ... يقضي علي بها سيوف ملام
وأكون متبعاً لاشنع سنةٍ ... قد سنَّها قبلي أبو تمام
للبست لبس الشاكلات وكنت في ... لبس السَّواد كأنني من حَام[3]

نعم وبعد وصول الأشراف المذكورين الى الشريف منهم الشريف ابن بشير بن المبارك ؟ قصد الامام يستوهبه بندر اللحية للاستعانة بِجَبايته في أرزاق الأشراف الواصلين فوهب له الامام مدينة الزيدية ووصل الشريف بشير وصحبته الشريف النجيب حسن أبي طالب والتقيا الثلاثة سرور وياقوت وسنبل واثنان معهم ؟ وأظن ذلك في شهر جمادى الأولى والشريف عبدالله بن هاشم حصلت بينه وبين الشريف وحشة أوجبت ارتحاله وصحبه من الاشراف من صحب ، وأرسل الشريف وراه يطلب عوده فامتنع بقول أبي الطيب :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وفي شهر جمادى الآخرة أو أول رجب غزى الشيخ علي بن محمد الموكلي من بني شعبة ورؤسائهم ، أهل قرية الحسيني فأغاروا ووقع الشيخ علي في أيديهم فاستسلم وقبضوه وسلموه الى الشريف علي بن حسن وهو والي صبيا ، وبالغوا عليه في أن لا يوقع به مكروها غير الحبس فالتزم لهم بذلك ، وبقي عنده محبوساً أياما ثم بدا له فصلبه حياً ولا علم لي أكان ذلك عن اذن الشريف أم لا ، غير أنه روى لي من روى أن الوزير كان يعد ذلك من سقطات الشريف علي بن حسن ، يقول لو كان له من التدبير لما فعل ذلك الفعل الموجب لاتساع الفتنة بين الشريف وبني شعبة فان

---

(١) في الاصل ، بقيت وضرى ، والصواب : بقيت ووفرى ، كما اورده صاحب كتاب الحماسة ص ٣٩ جـ ١ .
(٢) في الاصل : اتا فاصلحنا ذلك .
(٣) في الاصل (كانه من طام) فاصلحناه بما تراه اعلاه : وجرى التنبيه .

صح هذا ففيه إيماء الى أن ذلك كان من غير اذن الشريف وبقى الشيخ على مصلوبا أكثر من يومين فيما أظن فقد أذكرنى صلبه ودعانى الى ذكر ما قال الأدباء فى المصلوب وتشبيه حاله وتصوير هيئته حال صلبه فمن أبدع ما جاء فى ذلك قول ابن الرُّومى :

كأن له فى الجو حبلا يبوعه ... اذا ما انقضى حبل اتيح له حبل
يعانق أنفاس الصبا مودعا ؟ ... وداع رحيل لا يحط له رحل

وفى ذلك قول الأخطل الدهورى ؟ :

كأنه عاشق قد شق صفحته ... يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصلا لتمطيه من الكسل

ووجه الشبه فى هذا هو الهيئة المركبة من المواصلة للتمطى مع سببه وهو اللواثة والكسل فقد نظر فيه الى الهيئة المركبة من الثلاث الجهات ولذا كان لطيفا فهو كما ذكر أهل المعانى فى قول أبى الطيب يصف كلبا صاد له صيدا بعد صقر معه :

يقعى جلوس البدوى المصطلى ... بأربع مجدولة لم تجدل

وهذا البيت من قصيدة اولها :

ومنزل ليس لنا بمنزل ... ولا لغير الهاديات الهطل

فقوله يقعى أى يجلس على إليته مثل جلوس البدوى المصطلى بالنار فانه يكون لكل عضو من أعضاء الكلب فى اقعائه موضع خاص وللمجموع صورة خاصة مركبة من تلك المواضع وكذلك صورة جلوس البدوى المصطلى بالنار ، وللفقيه العلامة أحد مفاخر المخلاف السليمانى من لم يكن له فى عصره ثانى عمارة بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحدقى فى المصلوب :

ومدَّ على صليب الصلب منه ... يميناً لا تطول الى شمال
ونكس رأسه لعتاب قلب ... دعاه الى الغواية والضلال[1]

وله ايضا فى هذا المعنى :

وردت يداه عظيم ما جلبا ... .[2] ذى شرقا وذى غربا
وأمال نحو الصدر منه فما ... ليلوم فى أفعاله القلبا

قلت وقول عمارة هذا ليس من تشبيه هيئة المصلوب فى شىء وانما هو حسن التعليل الذى ذكر أهل علم البديع لأن إمالة الفم وتفرق الأيدى من المصلوب لما عليه ولكنها ليست ما ذكره من عظيم الجرم ولوم القلب فى أفعاله فهو من حسن التعليل انظر قول أبى الطيب :

ما به قتل أعاديه ولكن ... يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

---

(١) فى الاصل (ويكسر مرسله لعقاب قلب) وهى بدون اعجام . والصواب كما هو اعلاه . وبالرجوع الى مصور الديوان الذى فى مكتبتى لم اجد البيتين الاولين ولا البيتين الآخرين ضمن المصور . وجرى التنبيه .

من قصيدته التى مدح بها بدر بن عمار أولها :

انما بدربن عمار سحاب   هطل فيه ثواب وعقاب

فقوله ما به قتل أعاديه البيت من حسن التعليل لأن قتل الاعادى فى العادة لدفع مضرتهم حتى تصفو المملكة من منازعتهم لا كما ذكره من أن طبيعة الكرم غلبت عليه وصحبه صدق ورجاء الراجين نفسه على قتل الأعادى لما علم من أنه اذا توجه الى الحرب صارت الذئاب ترجو اشباع . . . .(١) عليها للحوم من يقتل من الأعادى قال فى شرح التلخيص وهذا مع أنه وصف بكمال الجود ووصف الشجاعة حتى ظهرت للحيوانات العجم وقيل من العجائب أن الفقيه عمارة صلب بعد قوله هذا بقليل صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فكانت هذه الكلمات كالفال ، قلت وسبب ذلك ما ذكره ابو الحسن الخزرجى فى تأريخه انها لما انقرضت دولة العبيديين جعل يكثر ذكرهم والتأسف عليهم والدعاء على من كان سببا فى هلاكهم ، وكلما همَّ السلطان صلاح الدين بتأديبه صدّه القاضى الفاضل حتى كان قوله فيهم شعرا :

لما رأيت عراص القصر خالية   عن الأنيس وما فى الربع سادات

أيقنت أنهم عن ربعهم رحلوا   وخلفونى وفى قلبى جراحات

سألت اية قلبى فى السلو وقد   يقال لبله فى الدنيا اصابات

فقال رأى ضعيف لا يطاوعنى   كيف السلو وأهل الفضل قد ماتوا

يارب ان كان لى فى قربهم طمع   عجل بذاك فللتسويف آفات

فأنشدت الأبيات عند صلاح الدين وكبر عليه ذلك فأمر بشنقه بعد أن قالها بيسير فشنق هو وجماعة ممن كان على رأيه فيقال أنه تفاءل على نفسه باللحاق بهم وفى الغربال ما معناه أن سبب شنقه انه اشيع عليه التعصب للعبيديين مع ثمانية من الرؤساء وانهم يسعون فى اعادة دولتهم قال فى تأريخ أبى الحسن الخزرجى ولما خرجوا ليشنقوه سألهم أن يمروا به على باب القاضى الفاضل فلما علم القاضى بذلك أمر باغلاق باب داره فلما مروا به هناك راكبا مغلقا فقال ارتجالا شعرا :

عبدالرحيم قد احتجب   ان الخلاص من العجب

فشنق فى درب يعرف بخرابة اليهود فى القاهرة ، وذلك يوم الثانى عشر من شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة ونسبه فى حَكم بن سعد العشيرة من مذحج وضَبَطَ ابن هشام مذحج فى شرح بانت « سعاد » بفتح الميم والدال المعجمة وكسر الحاء قال الخزرجى وكان عمارة فقيها نبيها فرضيا نحويا لغويا شاعراً فصيحاً بليغا يعرف عند أهل زبيد بالفرضى وعند أهل عدن والجبال بالفقيه وعند أهل بلده بالحدقى وعند أهل مصر باليمنى ورجح أبو الحسن الخزرجى خروجه من مذهب أهل السنة ودخوله فى مذهب الفاطميين بنى عبيد قال وأشعاره فى مدائح القوم ناطقة مفصحة عنه وكان مولده لبضع عشرة وخمسمائة تقريبا قال ابن خلكان وذلك بوادى وساع بمدينة تسمى مرطان وكذا رأيته فى الغربال ، على أحد عشر يوما من مكة بتهامة اليمن وقد ذكر ذلك

---

(١) كلمة غير مفهومة .

عمارة فى بعض تصانيفه ، قال الخزرجى وذكر عمارة فى مفيده ان مولده بالزرائب[٢٤] وهى فى الناحية الشرقية من المخلاف السليمانى وذكر أن أهل تلك القرية باقون على اللغة العربية من الجاهلية الى عصره لم تتغير لغتهم لعدم مخالطتهم لأحد من اهل الحاضرة وهم قرار لا يَضْعَنُون ولا يخرجون ، وخرج عمارة من بلده شابا فى طلب العلم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فلحق بزبيد قال فى الغربال فحج فى امارة صاحب مكة قاسم بن هاشم فأرسله سفيراً الى مصر الى العبيدى فمدحه بقصيدة ميمية اولها :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمداً يقوم بما أوليت من نعم

قال فيه فأجزل عطيته ورجع الى مكة ثم الى زبيد ثم حج ثانية فأرسله صاحب مكة الى مصر فاستوطنها

فائدة : ذكر فى الغربال ان ابتداء دولة « العبيديين » بأفريقية المغرب سنة تسع وتسعين ومائتين ومدتهم مائتا سنة وست وستون . ومقامهم بمصر مائتا سنة وثمان سنين ، وجملة ملوكهم أربعة عشر ملكا اولهم المهدى ثم القاهر ثم المنصور ثم المعز ثم العزيز ثم الظاهر ثم المستعز ثم المستعلى ثم الآمر ثم الحافظ ثم الظافر ثم الفائز ثم العاضد قال فيه وأكثر الناس لا يسلمون للعبيديين ان نسبهم الى اهل البيت وكتب الحاكم الى صاحب الاندلس المروانى يهجوه ويذم نسبه فكتب اليه المروانى عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك وأجبناك والسّلام فأثبت ذلك اواحه ، ووجد العزيز يوما رقعةً على منبر الخطبة فيها هذه الأبيات :

انا سمعنا نسباً منكرا ... يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما تدّعى صادقا ... فانسب أبا بعد الاب الرابع
وان ترد تحقيق ما قلته ... فانسب لنا نفسك كالطائع

قال فيه وفى سياق وفاة والدهم المهدى وكان يتظاهر بالرفض ويبطن الزندقة وقيل هو وبنوه من بعده أربعة آلاف رجل ما بين عالم وزاهد فى دار البحر التى قدم منها ومنهم تولد مذهب الباطنية باليمن والمغرب انتهى . والله أعلم ، نعم ان هذه المدينة التى ولد فيها عمارة قد اندرست معالمها فى وقتنا هذا ولم نعلم أحدا يعرف موضعها على التحقيق وأما الجهة فمعروفة ، وزمن عمارة متقدم على زمن اللسن البليغ قاسم بن على بن هتيمل [٢٥] بما يجوز الستين سنة ، وأظن مولد ابن هتيمل كان فى زمن عمارة وقد ذكره فى قصيدته الدالية التى مدح بها الأمير فخر الدين أحمد بن على العقيلى [٢٦] صاحب (حلي) أولها :

فرطت يوم وداعه يا صائد ... فى الصد وهو مخاتل ومكايد
واضعت قلبك فالتحقت بناشد ... ان كان يجمعه عليك الناشد

ولما خرج من مدحه يطلب منه اللهى ويذكر له من مضى بما يقول المادح السائل :

ان رشتنى فزهير راش جناحه ... هرم وريش جناحه متفاقد(١)

واخذ فى تفريد ؟ هذه الأجناس حتى قال :

وعمارة الحدقي ، قام بحاله ... فى مصر من ولد الحسين العاضد

---

(١) فى الاصل « متعاقد » ، فأصلحناه كما ورد فى ديوان الشاعر ابن هتيمل : (متفاقد) جرى التنبيه .

وأما جهاتهما فانهما متقاربان بينهما قدر أربعة فراسخ تقريبا ، نعم وبعد أن صلب الشيخ على الموكلى اتسع الخرق ، وزاده أن التقاعد عن الأخذ بالثأر بمعزل عن الحق فعد الوعد أهل الحسينى لعلمهم أن ذلك وعد غير مكذوب ، وان هذا الطالب لا يقدر على نفعه هذا المصلوب ، فكحلوا نواظرهم ليالى بالسهاد ، وفارقوا لذيذ المنام ، فرقاً من ذلك الا يعاد ، ولما جاءهم العلم اليقين باليوم الذى يريد العدوأن يوقع بهم فيه ما يوقع ، لم يألو جهدا فى الاستصراخ بأهل القرى التى حولهم ، وأرسلوا الى الشريف على بن حسن بمدينة صبيا رسولاً يخبره بما أهمهم فجعل يتعلل بأنواع العلل يقول الموضع قريب والعدو لا يأتى نهاراً ثم تمهل بعد دخول فجر اليوم الموعود حتى أوقع العدو ما وقع قبل مجيئه ، وكان هو الأحق بقول القائل مخاطبا لغيره : ؟

فخير نحن عند الناس منكم اذا الداعى المثوِّب قال يال[1]

وكان بقرية الحسينى من الفرسان ثلاثة أو أربعة فى ظنى وأهل البندق مثل ذلك والعين فى أهل الخيل هو الشريف الحبيب على بن محمد الذروى فلما أقبل العدو بعد الفجر من يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رجب السنة المذكورة أولا ضرب بالبندق أهلها مرة واحدة فارتدع من العدو من ارتدع ولما لم يشفعها غيرها أقدم من ارتدع وجعل الشريف علي بن محمد يدفع من شرهم مالا يندفع ويجول بفرسه فيهم ولسان حاله ينشد :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل ان أتقدما
ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

فاعترضه الكمي الهزبر (شار بن شريفة) وهوكما قال أبو كبير الهذلى على وزن كريم :

ممن حملن به وهُنَّ عواقد حبك[2] **النطاق ، فشب غير مهبل** [٢٧]

فاعتنقا وسقطا جميعا الى الأرض ، وغنم فرس الشريف من غنم ، وكان الشريف مع ما يقله من الدرع والبيضة كاد ان يقضي عليه ، لولا حضور من ثبت جنانه كشف عن ساق شار بن شريفة ارداه بضربة فانشغل بنفسه ونجا الشريف حتى توارى فى خراب من البيوت ، واثخن العدو القتل في اهل القرية ، وكان من قتل في ذلك اليوم ثمانية عشر رجلا ، حسب ثمانية من بني هاشم .؟ واحرقوا القرية ، الاّ قليلا ، وطمُّوا الآبار وظاهى فعلهم فعل الوزير سنبل بقرية السّلامة ، ثم تفرق أهلها عنها ، وخذل أهل القرى هذه القرية ، فتقاعدوا عن نصرتهم ، مع بذلهم للجهد فى الاعلام ، ولم تجيء الغارات الا بعد ان قضى الله الأمر ولله در القائل :

ان المرء مسلما يعضى حياته ولكن من يبغى عليه فيخذلا ؟[3]

أعلم ان عادات العرب في حروبها الاعتناق ، ولا يعلم احد في زمننا هذا الا قبيلة هذا الشجاع المذكور قال في شرح أبيات الجمل في شرح ابيات حريق بنت خفان ؟ القيسية اخت طرفة بن العبد لامه من شعر رثت به زوجها بشر بن عمرو بن مرتد ومن معه من بقية قومه : شعرا

---

(١) البيت من اشعار الحماسة مشهور صوبناه بعاليه ، اما فى النسخة الام فقد رسم القافية بكلمة (بارا) - جرى التنبيه .

(٢) فى الأم (حَبْل النطاق) والصواب كما ورد فى كتاب الحماسة لابى تمام ص ١٩ ج ١ (حبك النطاق) : جرى التنبيه .

(٣) هكذا فى الاصل ، اثرنا نقله كما رسم بدون اعجام : جرى التنبيه .

وكان من قتل في ذلك اليوم ثمانية عشر رجلا حسب غاية من بني هاشم
واحرقوا القرية ... وطوا اثارها فعلهم فعل
الوزير سنبل لقرية السلام ثم تفرق اهلها بها وخذل اهل هذه
القرية اهل القرى فتقاعدوا عن نصرتهم مع بذلهم الجهد في الاعلام
ولم تجى الغارات الا بعد ان قضى الله الامر ولله القائل ٥
ان المرء مسلما لقضي حيوته ٥٥ ولكن من يبغي عليه فيخذلا
اعلم ان عادات العرب في حروبها الاعتناق ولا اعلم احدا في زمننا
هذا الا قبيلة هذا الشجاع المذكور قال في شرح ابيات الجمل في شرح
قول خرنق بنت هفان القيسية اخت طرفة ابن العبد امه من لسعد
رثت به زوجها لبشر عمرو ابن زد ومن معه من بقية قومه لسواه ٥٥٥
لا يبعدن قومي الذين هم ٥ ٥ سم العداة وافة الجزر ٥٥٥٥
النازلون بكل معترك ٥ ٥ والطيبون معاقد الازر ٥٥٥٥
النزول على ضربين احدهما في اهل الحرب وهو ان ينزلوا عن ابلهم
ويركبوا خيلهم الثاني في اخرها وهو ان ينزلوا عن خيلهم ويقاتلوا على اقدامهم
اذا كان القتال في موضع وعر لا مجال فيه للخيل قال وربما اعتنق الرجال
صاحبه فسقطا الى الارض جميعا وهذا هو النزول الذي اراده مهلهل بقوله
لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا ٥ ٥ واخو الحرب من اطاق النزالا ٥ وهو الذي
منهم اخا ثقة يضارب نازلا ٥ بالمشرفي وفارس لم ينزل ٥ الذي ذكره
فقد ذكر الاعتناق زهير في قوله ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥
ليث بعثرة يصطاد الرجال ٥ اذا ٥ ٥ ما الليث كذب عن اقرانه صدقا ٥٥٥٥٥
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ٥ ٥ ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا ٥٥٥٥
وقد احسن وزاد على الاحسان في البيت الاخير لانه جاء الالفاظ فيه والمعاني كما
وارتباط كل كلمة بأختها وتنبيها عليها ثم وكان بين الصباح وشق المذكور
نحو سبعة عشر يوما وكانت هذه اول سطوة وقعت بين بني سعد باهل
القرى والشريف لم يزل في اغتنام مساره واجتلاب عون ملكه وانصاره
حتى دهم العلم بنزول الدولة المشرفية في العشر الاول من شهر حسب المرحلة
المذكوره وذلك بعد امتناعه عن الانتما اليهم والانتظام في سلكهم والتزام

لايبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معركةٍ والطيبون معاقد الأزر

النزول على ضربين أحدهما في أول الحرب ، وهو ان ينزلوا عن ابلهم ويركبوا خيلهم والثاني فى آخرها ، وهو ان ينزلوا عن خيلهم ويقاتلوا على اقدامهم ، اذا كان القتال في موضع وعرٍ لا مجال فيه للخيل ، قال وربما اعتنق الرجل [1] صاحبه فسقطا الى الأرض جميعا ، وهذا هو النزول الذى اراده مهلهل بقوله :

لم يطيقوا ينزلوا منزلنا واخو الحرب من اطاق النزالا ؟

وهو الذى اراده عنترة بقوله :

فيهم اخا ثقة يضارب نازلا بالمشرفي ، وفارس لم ينزل

انتهى كلامه . وقد ذكر الاعتناق (زهير) فى قوله :

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذَّبَ عن اقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ماضاربوا اعتنقا

وقد احسن وزاد على الاحسان في البيت الآخر لاندماج الألفاظ فيه وانسباكها وارتباط كل كلمة باختها وترتيبها عليها ، نعم وكان بين الصباح وشنق المذكور نحو سبعة عشر يوماً ، وكانت هذه أول سطوة وقعت من بنى شعبة بأهل القرى ، والشريف لم يزل فى اغتنام مساره واجتلاء عون ملكه وابكاره ، حتى دهم العِلْم بنزول الدولة المشرقية فى العشر الأول من شهر رجب من السنة المذكورة وذلك بعد امتناعه عن الانتهاء اليهم والانتظام فى سلكهم وكثرة المكاتبة بينهم وترددت الرسل ولم يرجع الشريف عما هو عليه من الانتهاء الى الامام الناصر لدين الله فأخذ فى جمع الجمال وتقريبها لحمل الأثقال واستشار أرباب دولته فى هذا الخطب الفادح ، لاستفادة رأى منهم ثاقب صالح ، فأجمع رأيهم على حسن النهوض الى أبى عريش لأن فيه من المرافق المعينة على الثبات ما ليس بهذا الموضع الذى هم فيه من الآبار الكثيرة والمبانى الحصينة ، فقدم الشريف الوزير سنبل بأهله وأثقاله ولما وصل أبا عريش كان من فساد رأيه واختلال تدبيره أن منع أهل المدينة عن الخروج بأثقالهم وحين وصل الشريف أذن لهم ، ولكن تفاقمت الحادثة فعدمت الجمال وتعذر عليهم حمل الأمتعة والأثقال ، وخرجوا بالنفوس والأولاد ، وكان هذا هو الاجلاء الثانى عن وطنهم فى مدة الشريف ، وفى قدوم الشريف من خلب احترقت عليهم خزانة البارود وأخذت النار جماعة من أصحابه وضاقت نفسه من أجل ذلك ، ثم أخذ فى إعمال مكائد الحرب فجعل من العسكر جزءا وافرا يصيبون ولا يصابون وبقية العسكر معه بالقلعة والدولة المشرقية وصلت « عيَّاش » بعين مهملة على وزن بقال لمن يبيع البقل ، وذلك يوم الثلوث أو الربوع وهو على قدر فرسخين من أبى عريش مشرقاً يميل الى اليمن ، واضطرب حال الشريف وتقلقل لهجوم هذه الحادثة مع شدة بأسه

---

[1] فى الأصل « الرجال » .

وجنانه ، ولما كان بعد شروق الشمس من يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب أقبل من نحو المشرق يوم مستطير ، وارتفع بالجو نقع قد أثير ، فأدّرع الشريف الحزم ، واستشعر الصبر ، للاصطلى بحر هذا اليوم وأخذ هو وأهل خيله نحو المشرق بقدر مد البصر فاذا جيش كثيف قد طبق الأرض بأطباقه وليس من إطباقه مهرب ، كؤوس المنايا مترعة ورؤوس المحن والبلايا محدقة به مهطعة فحين رأوا الشريف وأصحابه أطلقوا عليهم من أيديهم صواعق محرقة ، تصك منهم المسامع فكرت الخيل راجعة وغشيهم من يم ذلك الجيش ما غشيهم ، وحملت الأجناد المشرقية حملة لم يقم لها أحد ، وتفرق شمل أهل الخيل ، وأظل الموضع القتام كالليل ، ولولا ما كان أعمله الشريف من المكائد ، لما عاد منهم من أهل المدينة عائد ، ومال الجيش المشرقى قبلي المدينة ولا يبعد اطلاعهم على ما كان أعمله الشريف فى يمانيها من المكائد ، ولو أنهم تجاسروا على الاقدام الى القلعة لتملكوها ، ولكن سبق القدر بخلاف ذلك وحملت منهم شرذمة فجاءت قبلى القلعة فالتفت عليها المتاريس وهلك منهم جزء وافر ، ودخل جزء من الجند المشرقى فى البيوت والحوانيت ارادة للنهب ، وكان من إحكام الشريف وعنايته أن يأمر باحراق البيوت فاحرقت النار منهم خلقا لعدم خبرتهم بالشوارع وتهالكهم على الطمع ثم اجتمعوا جميعا فى الجانب القبلى واستتروا بأنفسهم وكفت الحرب ، وروى أن الشريف خرج بعد رجوع الخيل بعد الالتقاء الى موضع غربى المدينة ولم يرجعوا الى القلعة الا بعد أن لحقوا بهم ولم يدخلوها ، وكان هذا اليوم يوماً مشهودا غمامته كانت صور الرزايا والنوائب ، وسفه الحليم حلمه وكاد أن يجعل الولدان شيبا ، وروى أن قاسم بن على بن أحمد قال لم يكن فى خلدى أن الشريف يتزحزح عن موضعه الذى كان فيه وان ذلك عار عليه لما كان يظهره فى التمدح بالثبات ، ولما فزعوا الى أبى عريش قصد الاختفاء لم يسعفنا الى الاقدام عليهم : قال ولم يكن معنا ما نستعين به على ما وقفنا فيه ، حتى أنهم لم يكن معهم آلة الماء المعروفة في الجهة التهامية من الدلو والرِّشا ، وكان ما يستقون به هو المزاود ، وارشيتهم حبال البيوت التى فتلها ليس بمحكم ، ولعدم خبرتهم كان اذا سقط عليهم شيء مما يستقون به لم يمكنهم استخراجه فاجتمع من ذلك فى الآبار التى يستقون منها شيء كثير خرج بعد عزمهم ، ثم أن الطرق كانت مسلمة للشريف وكان بريده يسير الى أى جهة ، وروى أن بعض أصحاب الشريف كان يلقى الجيف بالليل فى الآبار التى يستقى منها أهل المشرق فتصبح منتنة ، وانضم بعض الأحوال الى بعض فاستحكمت الشدة على أهل المشرق وكثرة مكائد الشريف لهم ، فأخذوا فى التوسط للصلح المرتب عليه سلامتهم وقت الخروج فتبين للشريف أنه قد ظهر عليهم ، فشمخ عن ذلك وثنى[1] عطفه وروى أنه طلب بعض أمراء السرايا يبقى لديه فامتنعوا وصمموا على الارتحال والحرب فأمّوه عملا بقول القائل :

اذا لم يكن الا الأسنة مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها

فلما كانت الليلة الخامسة من دخولهم ليلة الربوع أخذوا فى جمع أثقالهم وأكثروا من الرمى بالبندق ليشتغل عنهم الشريف وأصحابه وكانوا فئة بعد فئة يخرجون ، فلما تبين الخيط الأبيض من الأسود همدت الأصوات فاستنكر ذلك الشريف وأصحابه وأمر من يتجسس فوجد منازلهم خالية

(١) فى الاصل « ثنا » فصححناه « ثنى » جرى التنبيه .

منهم فلما أخبر الشريف المتجسس بالذى رآه قال الشريف الرأى أخذاً بالحزم ، أن يبقى أهل المتاريس بها ويغير غيرهم فروى أن نهض بنفسه ومعه أهل الخيل وبعض الجند فلما تراءى الجمعان ، وحق التعارف على الخلصان ، رأى وأصحابه موجا لا علم لهم بالسباحة فيه فتقاعسوا وتقهقروا على أدبارهم والتقطوا المتأخر والعاجز والضال ورجعوا مسرورين ، وأسر الشيخ العوسجى وكان ممن تأخر وسبق بالمهلة له القدر فقبض ، قيل عدد المقتولين من أهل المشرق نحو المائتين على اختلاف فى ذلك ومن أصحاب الشريف نحو سبعة لا غير وذلك لاقدام أهل المشرق على الموت وبروزهم فى أغلب الأوقات وفى وقت وصولهم واختفاء أصحاب الشريف بما يسترهم قبل وبعد ، وكان خروجهم يوم الربوع ثانى يوم من شهر شعبان من سنة أربع ومائة وألف ، ولحق أهل مدينة أبى عريش من النهب للمدافن مالم يستطيعوا حمله من الأثقال شىء لا يضبط مع احراق بيوتهم وتعقب خروج أهل المشرق أصحاب الشريف ينهبون ما وجدوا ولا ينهى أحد منهم لما ارتكبوه ، وروى أن المأخوذ من سوق البانيان[٢٨] خاصة بلغ ما قيمته ثمانية آلاف قرش ، وأرسل الشريف الرسل بالتهانى الى كل موضع وربما ارتفع بذلك عند الامام فى شأنه ما ارتفع وهنأه السيد الأكرم السالك فى الأدب مسلكه والمتسنم فى ذروة البلاغة فى كل معركة عماد الدين يحيى بن أحمد بن صلاح بن الهادى الوشلى النعمى عافاه الله بهذه القصيدة الفريدة :

اليك والا لا نجاح لطالب ... وفيك والا لا مديح لراغب
ومنك والا فالمؤمل لا وفى[١] ... وعنك والا فالثنا غير واجب
يقول لى الحادى وقد جد فى السرى ... وللعيس وخد بين تلك الغياهب
وقد خالط القوم التعامى[٢] ؟ فى السرى ... وهم بين ماش فى القفار وراكب
ألام التمادي فى السرى يا اخا السرى ... وحتام فى قطع الربى والسباسب
أما حان للعيس المناخ فقلت لا ... مناخ سوى فى سوح عالى المراتب
فَجِدَّ الى سوح من المجد أخضر ... به تنظر الوُفَّاد من كل جانب
الى سوح وافى القول والفعل والندي ... حكى الخضرم العذب الفرات المشارب
الى ملك يملي القلوب مهابةً ... ويملا الأيادى بالعطا والرغائب
الى ملك ساد الملوك باسرها ... فرتبته فوق السها والكواكب
حمدت السرى لما أنخت بسوحه ... وبشرت أمالى بنيل المآرب
هو الفارس المشهور فى كل معركِ ... ومردى العدا فيه وليث الكتائب
له الحملات الهاشميات فى الوغى ... اذا كلت الأبطال عن كل ضارب
يحدث عنها كل غاد ورائح ... ويخبر عنها حاضر كل غائب
هو الخائض الأهوال يوم لقائها ... اذا ما غدا بين القنا والقواضب
وما رنها الصنديد فى حومة الردى ... اذا اضطرم الجيشان دون المضارب

---

(١) فى الاصل « الوفا » والصواب « وفى » : جرى التنبيه .
(٢) « التعامى » هكذا فى الأصل وأرجح أن الصواب (وقد خالط القوم النَعاس من السرى) .

له خضعت غلب الرقاب وقد غدت ... بأبوابه أسادها كالثعالب
حمى كل قطر من حماه[1] فأصبحت ... به الأرض فى زهوٍ لاتٍ وذاهب
همام كفانا كل هول وحادث ... وجرع أعداءً صروف النوائب
ويكفيك فى شعبان وقعته التى ... غدا ذكرها فى شرقها والمغارب
وقد جمع الأعداء جيوشا لحربه ... الوفاً ، غدوا ما بين رام وضارب
وقد أعجبتهم كثرةً فى جموعهم ... ولم يختشوا فى ذاك سوء العواقب
ولم يعلموا أن الردا ؟ يقودهم ... الى أرضه قود الجنيب لراكب
وكان وصول الجمع فى يوم جمعة ... فمزقهم أيدى سبا فى السباسب
وقاتلهم جيش هنالك مطبق ... كتائب يقفوا إثرها بكتائب
جنود حكى السحب الركام وقد غدت ... بنادقهم كالرعد من كل جانب
أرتهم نجوم الليل ظهرا وقد بدت ... عليهم بليل مدلهم الجوانب
أثارت[2] من النقع عليهم سفى الملا[3] ؟ ... حكى الليل فى اقباله بالغياهب
بيوم عبوس قمطرير عليهم ... غدوا بين مقتول هناك وهارب
فأضحوا لعقبان الفلاة ولائما ... وللوحش أيضا والحدا والعقارب
وأضحت أمانيهم سراباً وما بنوا ... خرابا من الأراء ، قبل التقارب
وضاقت بهم أرض الاله بأسرها ... كما ضاق بالاعما[4] وسيع المذاهب
فهاربهم ما قط يسأل عن أخ ... ولم يدر عن صحب له وأقارب
كأنهم من شدة الخوف ان رأوا ... خيالا على البيداء بعض الأرانب
ولو شاء ادراكا لهم لا يؤده ... ولكن عفا بالعفو عن قتل هارب
اذا شاهدوا لمع البروق لما بهم ... من الخوف ظنوها سيوف ابن غالب
وان سمعوا الرعد استعاذوا لهول ما ... له يسمعوا من صاعقات المعاطب
فيالك من يوم أغر محجل ... يطول عليهم منه بدر ؟ النوائب
لقد شاهدوا مالم يكن فى حسابهم ... وغرهم وهم الظنون الكواذب
وكم لك من نصر من الله ظاهر ... وكم لك من رأي هُنَالِك ثاقب
وكم لك من بأس يذوب لهوله ... الجماد وفعل صادق غير كاذب
وعزم اذا أودعته البيض لم يدع ... على الأرض من باغ بها ومحارب
اذا جردت يوم الجلاد صفاحه ... فاغمدها هامات كل محارب
وان أشرعت فوق الجياد رماحه ... فموردها بين الطلا والترائب
مفارق هام الدارعين اذا امتطى ... جوادا وتيارا أمام المواكب ؟
وأمنت من فى البر والبحر بعد ان ... غدوا من عظيم الخوف فى كف لاغب

---

(١) فى الأصل «حمات» ، فأصلحنا ذلك : جرى التنبيه .
(٢) هكذا فى الأصل .
(٣) هكذا فى الأصل .
(٤) فى الاصل «بالاعما» : والصواب «الأعمى» ، جرى التنبيه .

وعـذرا أطـال الـلـه عـمـرك انـنى | وان طـال مـدحى لا يـقـوم بـواجـب
وإلّاكـبـاغ لـلـفـرات أحـاطـة | لا كـنـافـه أو مـابـه من عـجـائـب
ولا بـرحـت أيـامـكـم فى سـعـادة | ومجـد واقـبـال ونـيـل مـآرب
وأنـسـيـت أخـبـار الملوك ومـا مضى | لهـم من أحـاديـث جـرت ومـنـاقـب
فـما كنت فى مـدحـك الا كـمـغـفـل ؟ | يحـاول احـصـاء لـعـد الـكـواكـب
بقيت بقـاء الـدهـر يـا خـير مـاجـد | لـتـشـيـيـد عـز أو لـبـدر مـواهـب
وسـعـيـك مـشـكـور وأمـرك نـافـذ | وسـوحـك مقـصـود منيـع الجـوانـب

وهذا السيد من أدباء العصر ملك من الفصاحة زمام النُهى والأمر وله كل معنى رائق فى النظم والنثر وما أحسن تضمينه لبيت أبي بكر الخوارزمي وذلك بعد أن شرع سيدنا وشيخنا الامام شيخ الاسلام شرف الدين الحسين الناصر المهلا أطال الله مدته ووقى من المكاره مهجته فى عمارة دار له بمحروس السجعة ؟ فقال السيد مخاطبا ومضمنا للبيت الآخر :

سـتـبـلـغ فى عـلـيـاك مـا كـنـت آمـلا | وتـكـمـل بـنـيـانـاً لمـجـدك كـامـلا
وتـسـكـنـه فى نـعـمـة وسـعـادة | ويـضـحـى لأنـواع المـسـرة شـامـلا
أبـانى المـعـالى والـفـخـار بـهـمـةٍ | يـقـصـر عـنـهـا مـن يـروم تـطـاولا
تمـثـلـت اذ شـاهـدت دارك هـذه | الجـديـدة يـا بحـر الفضـائـل قـائـلا
وقـد بـرزت فى حـسـنـهـا ذات بهـجـة | وأضـحـت لـكـل الـنـاظـرين مكـامـلا
« أكـل بـنـاء أنـت بـانـيـه مـعـجـز | بـنـيـت المـعـالى أم بـنـيـت المـنـازلا »

ومن التضمين الحسن تضمين السيد العلامة صلاح الدين أحمد بن المهدى عادت بركاته ؟ ذكره القاضى العلامة شمس الدين أحمد بن صالح ابن أبى الرجال فى تاريخه :

وصـغـيـرة حـاولـت فض خـتـامـهـا | مـن بـعـد طـول تحـنـن وتـلـطـف
وقلبتها [1] ؟ نحـوى فقـالـت عـنـد ذا | « قـلـبى يحـدثـنى بـأنـك مـتـلـفى »

المصراع الثانى فى البيت الآخر لا بن الفارض قال القاضى وهذا المعنى عجيب وقائله فى الزمان غريب ومن التضمين الحسن تضمين السيد الأديب عماد الدين على بن لطف الله لبيت أبي الطيب :

قـلـت لمـا رأيـت مـن تـبـع المـلـك | بـدار المـطـهـر المـلـك محـلا
(أبـدا تـسـتـرد[2] مـا تهـب الـدنـيـا | فـيـالـيـت جـودهـا كـان بـخـلا)

ومن الحسن تضمين السيد الأديب جمال الدين محمد على بن حيدر الحسنى المكيِّ ،

(١) فى الأصل « وقبلتها » جرى التنويه .
(٢) فى الأصل « ابداً ترد ماتهب الدنيا » والصواب كما اصلحناه بعاليه ، كما ورد فى ديوان ابى الطيب المتنبى : جرى التنبيه .

اخبرني به الشريف الأديب بشير بن مبارك حين اجتمعت به فى « خلب » وسألته عنه فقال هو حى يعيش بمكة المكرمة المشرفة وقد صدر وعجز هذين البيتين :

بروحى ومالى جيرة مااستعنتهم — على الدهر الا وارتجعت معانا
اراشوا جناحى ثم بلوه بالنَّدى — فلم أستطع عن حيهم طيرانا

قلت وفى استعمال ارتجع بمعنى رجعت تأمل ، لأن اهل علم الصرف ذكروا مجيىء افتعل للمطاوعة فى غير العلاج والاتحاد ، وللتفاعل ، وللتصرف ، ولم تجيء بمعنى فعل ، كما رووا ، ذلك فى تفاعل واستفعل ، فقال السيد المذكورمصدرا معجزا وهما فى التضمين على مايعطيه كلام اهل البديع :

بروحى ومالى جيرة ما استعنتهم — فجئنت ، ولا ظن المصدق خانا
ولاجئتهم مستنجداً صارخاً ولو — على الدهر الا وارتجعت معانا
أراشوا جناحى ثم بلّوه بالندى — لكى اتقى فى فيئهم واصانا
وعندهم استوطنت ذكرا بروضة — فلم أستطع عن حيهم طيرانا

قلت كله حسن إلّا تعجيزه لقوله (اراشوا جناحى ثم بلوه بالندى) . لقوله (لكى اتقى فى فيئهم واصانا) لم يقع بالمكان الذى وقع به قوله فلم استطع عن حيهم طيرانا . كما لايخفى ذلك على المتأمل العارف بمواضع الالفاظ ، ولطائف المعانى . يوضحه ان قوله (جناحى) فيه استعارة مكنية وتخيلية ، والاراشة ترشيح ، اما للمكنية ، واما للتخيلية ، وقوله ثم (بلُّوه بالندى) تشبيه لايصال المنعم اليه وترادفها لديه ، بعد جبر حاله المهاض لبل الجناح الكامل الريش ، فى ترتب التحير والمكث ، وعدم القدرة على النهوض ، بعد كل منهما ، فهو استعارة بما يلائم المستعار منه من عدم استطاعة الطيران ، فالاستعارة مرشحة ، فما ابلغ هذا الكلام مع الالتأم ؟ واما تعجيز السيد له بما ذكر فهو منفك عنه ، اذ لا مناسبة بين البل للجناح والاتقا والصون ولو قال لكى اتقين بنون التوكيد الحقيقية داخلة على المضارع لكان مناسبا ، ويكن تحريرا لا ترشيحا ودخول نون التوكيد على المستقبل الذى هو خبر محض غير منفى ، وان كان غير جائز فى السعة فللشعر احكام يجوز له مايحظر على غيره والله سبحانه اعلم ، وللشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ماجنا واصفا ضعف آلته مضمنا بيت امرىء القيس :

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد — فيا خجلى لما دنوت واذلالى
فقلت امعكيه بالانامل فالتقى — لدى وكرها العناب والحشف البالى

المصراع الثانى فى البيت الآخر لامرىء القيس وصدره (كأن قلوب الطير رطبا ويابسا) . .
والعناب لم يذكر تفسيره شارح التلخيص ، ولا شارح شواهده وانما ذكره فى شرح الازهار فى الاثمار فقال هو ثمرة لاتوجد فى جهتنا ، قال فى بعض الحواشى وهو شيء يشبه الاصابع قال فى بعضها ويكون أحمر واما الحشف فانه اردى الثمر أو الضعيف الذى لانوا له أو اليابس الفاسد وقد تمادى بنا القلم وخرج بنا الى غير المقصود ولكن ذلك عن فائدة للناظر المتيقظ والشيء بالشيء ، يذكر ، ثم أخذ الشريف فى المعاقبة لمن اتهم بالخداع والرضا بما نزل به من المكروه فحبس جماعة

منهم الأمير الشهير خيرات بن الحسن بن عز الدين القطبي وسلط على بيته نقيباً من نقباء الامام استولى على مافيه وكان بنو شعبة لما فرغوا من صباح الحسيني فى التاريخ المتقدم استطعموا أهل القرى الشامية ، والشريف حينئذ فى شغل شاغل له من الالتفات اليهم لما نزل به من فتنة الدولة المشرقية ، ولما كانوا بالمكان المعروف من القوة لم يستطع أهل القرى الاباء عن ضيافتهم وان كانوا أعداء للشريف وعقوبته غير مأمونة ، ولبثوا يتنقلون من قرية الى قرية وهَمُّوا بدخول مدينة صبيا وكان بها نائب خلفه الشريف علي بن حسن فولّى دبره ، وأقام (. . . . .)[1] وأخذ أهل صبيا بالحزم وصمموا على المقاتلة والدفاع وقام فيهم الشريف الأفخم شهاب الدين احمد بن محمد محتسباً وحاميا لذماره وقاصدا ذب من يقصد الى دياره ، وركب الى «بني شعبة» بعض الأعيان فنصحهم وعرفهم بما كان سببا لاندفاع أمرهم فرجعوا عما أرادوا ولما انجلت عن الشريف عرى ما ألَمَّ به من الكرب واطلع على ماصنع أهل القرى الشامية من الضيافة لبني شعبة وجه اليهم النقيب قاسم بن غاصب ومعه نحو مائة وخمسين عسكريا يقصد تأديب أهل القرى غير ملتفت الى ماهو لهم من المعاذر ، ومِنْ أوضحها وأجلها أن المستطعم لهم قوى قادر ، ووجه الى مدينة صبيا الشريف علي بن حسن ،وإلى قرية الشقيرى وهجرة ضمد الوزير سنبل ومما شاع وامتلأت له من أهل هاتين القريتين الاسماع ان الشريف كان أباحها للوزير وأجناده لاتهامه لهم بالسرور بمكروهه ، والتقاعد عن نصرته واغاثته أيام الحصار عليه فرجح له من رجح استهلاك ما يملكونه على التدريج ليكون ذلك أعظم نفعاً وأوفر جمعا ، فوجه الأمير سنبل وقد أضرب عن تلك النية ولما شاع خبر وصوله وما كان استحسنه الشريف أولا من الا باحة هرب من أهل هجرة ضمد من هرب ، ثم عاد اليها وأمسى الوزير ليلة الخامس أو السادس من شهر شعبان بضمد وكان عنده عجب وخيلاء منشاؤهما اعتقاد غلبتهم لتلك الأجناد المشرقية فبات أهل القرية من أجلهم بليلة نابغية وأحْزان يعقوبية ووصل صبح تلك الليلة الى قرية الشقيرى وكان قد هرب من أهله خلق خوفا من ذلك الأمر الذى شاع فأستدرجهم الوزير من حيث لايعلمون بكتاب مضمونه ان الجأنى اليكم الذب عنكم والحماية لكم كيف يليق بكم الفرار منه خوفا من شره ، وأرسل بذلك رسولا وتلطف لهم الرسول فرجعوا ورفضوا ماكان صمموا عليه من الاجلاء فلما مضي عليهم نحو عشرة أيام أقبل يؤدبهم بالأموال الجزيلة الجليلة ويعزرهم جنده بأنواع التعزير شعراً :

وكم رافض أمرا وفيه نجاته ومدخر نفعا وفى نفعه افعى ؟[2]

والنقيب قاسم بن غاصب فعل بأهل القرى الشامية نحو هذه الأفعال وقد فعلوا فعلهم وعند الله فعلهم وان كان فعلهم لتزول منه الجبال[3] نعم وبالغ الشريف فى ادخال الضرر على أهل المشرق بقطع المواد ومنع الصادرين والواردين وانقطع اتصال أهل الأسباب بالاسواق المشرقية وأدب من يتهم بذلك الأدب الكبير وكذلك آل عمر وآل[4] حسن منهم المراد ، وأكثر من أجل

(١) كلمة غير مفهومة .

(٢) الأفعا : هكذا فى الأصل ، و الصحة (الأفعى) .

(٣) الآية الكريمة (٤٦) سورة ابراهيم (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) صدق الله العظيم

(٤) راجع التعريف بها فى الحاشية رقم ٢٣ ص ١٠٨ .

ذلك على أهل الأرصاد وكان المسلمون فى عنا وتعبَ وعُدِم الملح على أهل الجبال وارتفع ثمنه اليهم ارتفاعا لم يعهدوه من قبل ، وتنكرت من الشريف بعد هذه الفتنة معارفه وجهل حق من كان أولا يعرفه ، وانقاد لهوى نفسه بزمام ، وظهر منه ماكان يخفيه فى سالف الايام ، فعظمت فى القلوب هيبته ، وترقبت فى كل وقت سطوته ، وفى غرة شعبان ابتدا فى عمارة قلعة [٢٨] جازان وكانت الاشجار قد سترت أرضها فأمر بقطعها ، وكان يغدو اليها ويروح الى أبى عريش ثم ضرب بها خيمة وأقام بغير سكن معه وجدَّ فى ذلك واجتهد وأقام وأقعد ، وأكثر من الضياع والاجراء وامتلأ بهم ذلك الموضع بعد أن كان مقفرا وروى لى بعضهم أنها مسحت فجاءت ثلاثة معاود الا ثمن معاد وقيراطا وبالغ الشريف فى اعادتها كما كانت وكان لايبنى لها أساس الا على مايريد من الوضع والاحكام وقد ذرعت اسها القديم فى الجانب الغربى فجاء بذراع اليد سبعة أذرع ونصف ذراع وكان بذلك الموضع باب قديم سده الشريف ولم يزل مهتما بأمرها وشأنها مشغوفا بالعناية فى إحكامها وتوثيق بنيانها ولم يدع أمرا تدعو الحاجة اليه عند الحرب وشدة الحصار الا أمر بفعله فى اسلوبها ، غريبا عن أن يأتى ملك بهذه الجهات ويأتى بمثله ؟

وأنشده ناطقا بالموعظة لسان الحال وناهيا له عن الطمع فى بنا ماهو موضع للزوال :

أتبنى بناء الخالدين وانما	بقاؤك فيها لو علمت قليل
وقد كان فى ظل الاراك كفاية	لمن كل يوم يقتضيه رحيل

واعلم أنى قد طالعت بغية المستفيد تاريخ مدينة زبيد للديبع مطالعة الاستقصاء فلم أره ذكر عمارتها القديمة مع ذكره لملوك زبيد فى عمارتهم الى مدة بنى طاهر رأس المائة التاسعة وطالعت قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون له أيضا مرارا للاستقصاء ولا اخاله ذكر عمارتها وبعض تاريخ أبى الحسن الخزرجى ولم أر فيها رأيت ذكراً لعمارتها ولا أظن العامر لها غير خالد بن قطب الدين وأولاده ولو كان لملوك زبيد فيها عمارة لما أغفلها «الديبع» مع ذكره لعمارة البرك وهى أحقر منها قدرا وأبعد مسافة وأول خراب وقع عليها فيما علمت فى مدة الشريف السلطان أبى الغوائر أحمد بن خالد بن قطب الدين فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة[١] ، وكان ذلك على ماذكر فى بغية المستفيد بسبب وحشة شديدة حصلت بين الشريف أحمد بن دريب والشريف محمد بن بركات صاحب مكة الذى سار اليها خرج فى جمع عظيم وصحبه جميع أهله من الزوجات والسراري والذرية فوصل الى وادي جازان وترددت الرسل بينه وبين صاحبها ولم ينتظم صلح ووقع بينهم وقعة عظيمة فانهزم صاحب جازان وقتل من أصحابه جم غفير وانتهكت الحرمات وانكشفت العورات وجرى[٢] على نساء صاحب جازان من الاهانة والذل وكشف الحجاب ما لم يكن لأحد فى حساب ونهبت خزانته وما فيها من الكتب النفيسة وأخذ من السلاح ماجمعه أبوه وجده ونهبت جازان وأحرقت وهدمت دور الخلافة وأصبحت البلاد خاوية على عروشها انتهى . والخراب الثانى كان فى مدة عامر بن عبدالعزيز أظنه فى سنة ثلاث أو أربع وأربعين وتسعمائة وهو آخر الأمراء القطبة ،

---

(١) فى الاصل أثنين وثمانين : جرى التنبيه .

(٢) جرا : هكذا فى الأصل : والصواب : جرى كما أصلحناه .

وعدة ملوكهم تسعة أولهم الامير خالد بن قطب الدين ثم ابنه دريب بن خالد ثم ابنه يوسف العزيز بن أحمد ، ثم أخوه المهدى بن احمد ، ثم اخوهما عز الدين بن احمد ، ثم محمد بن يحيى ، ثم أحمد بن المهدى ، ثم عامر بن عبدالعزيز ومدة ملكهم مائة سنة وأربعون كلها صافية الا أربع سنين فى أيام عامر بن عبدالعزيز فانها تزعزعت وكان أمراء جازان [1] قبلهم الشطوط بشين معجمة فمهملتين بينهما وهم من ذرية غانم بن يحيى وآخر ملوكهم المقلَّم على صيغة اسم المفعول من القلم وكانت ابنته حليله للأمير خالد وفى آخر العشرة الأواسط من شهر شعبان نهض الوزير سنبل من قرية الشقيرى غازيا قبيلة النحوس [2] وقبائل بنى شعبة وكانوا بناحية بيش وكتب الى الشريف علي بن حسن وقد كان خرج من مدينة صبيا الى قرية «الدهنا» يخبره بما عزم عليه للغزو للمذكورين لموضع معين يجتمعان به ونبه الشريف علي بن حسن على النقيب قاسم بن غاصب بما يريد الوزير وكان النقيب بقرية المحلة فاجتمعوا بالموضع الذى عينه الوزير واجتمع معهم من الخيل والجند عدد مستكثر وقدم أهل الخيل العسكر فاستدلوا على أنعام تلك القبيلة وكانت أنعاما واسعة تقرب من الألف أو تنيف ثم جعلوها بين أيديهم وكروا راجعين والتقت العسكر وتلك القبيلة فحمى بينهم الوطيس وثبتت تلك القبيلة ثباتاً عظيماً وقتلوا من العسكر نيفا على خمسين رجلا ، وغنموا أسلحتهم وما كان معهم من المال المعتاد من مال أبى عريش ، وأمسى الوزير تلك الليلة ببيش وأحسبه بات ليلة أخرى ثم ولّى مدبرا ولم يعقب ، وكانت هذه الغزوة ايقاظا لنائم الفتنة ، وقرعاً لبابها ، وغراباً نعق بتفريق شمل اهل القرى ، وآذن بخرابها ، ولما ارتحل الوزير من بيش خاف أهله وَوَجلوا لعلمهم بعدم القدرة على دفاع العدو لأنه يعد القرى بعضاً من الدولة ، والأخذ لهم عنده أخذ لها مع زيادة أمر آخر عرف من دأب الشريف وهو ان من وقف من أهل القرى فى بلدته متكلاً فى دفع العدو عن نفسه على حيلته كان عنده من الخاطئين ويلحقه بالعدو فى وجوب معاداته واستباحة مملوكاته وهذا أقوى العلل وأعظم الأسباب فى الاتساع للخراب ، وبعد ارتحال أهل بيش ارتحل من يليهم من أهل القرى ، ثم لم يزل الآخر يتبع الأول فيما فعل للعلة التى كان بسببها ارتحال الأول وارتحل الشريف علي بن حسن من قرية «الدهنا» بعد أن كان مريدا للاقامة بها وكذلك النقيب قاسم ارتحل من قرية «المحلة» وقد كان نواها دار اقامة لقضية التأديب وارادة للتحكم فى أهلها بنويع ؟ من التعذيب وأول صباح وقع بعد هذه الغزوة صباح قرية «القوز» وأظنه كان فى شهر رمضان ولا علم لى بكيفيته وحصل فى قرية الدهنا صباح بالليل ولا علم لي فى أي شهر كان وحكى لى بعض الفضلاء السادة انه وقع صباح الدهنا ليلا وهو بها فأقبل عليه رجل من الأعداء شاهرا لخنجره والفرد ، ولم يكن مع السيد سلاح ، وكان ذلك الرجل يريد ان يسطو بالسيد ، وهو فى وجل منه[3] الا ادباره ، فتشابه جهلهما ، وتضاها وجلهما ، حتى انتهى ، انثنى السيد اخذ ما يدفع به من سلاح أو عصى فادبر الرجل ادبارا لم يعقبه منه اقبال ، وكان ذلك لهما فرجة ، كحل العقال ، وفى شهر شوال وقع صباح «العداية» و«الاثلة» ، وانتهى الخراب من قرية بيش الى مدينة صبيا ، فكانت طرفا ، والوزير بعد رجوعه من الغزوة الى قرية الشقيري اقبل على ظلم الرعية ، وكان كل

---

(١) راجع اخبار امراء هذه الأسرة فى كتابنا المخلاف السليمانى فى ص ٢٠٦ ومابعدها ، ص ٢٦٢ ومابعدها من ج١ .

(٢) النحوس ، قبيلة من قبائل جهتنا والكثير منهم فى الشمال حول وادى رملان .

(٣) يظهر انه بعد (وهو فى وجل منه) جملة ساقطة فى الاصل : جرى التنبيه .

داهية من الظلم والضرب يتبعها بما هو ادهى [1] منها .

واستباح اعراض المسلمين ، وماحازته أيديهم من كل منقول بالاسباب التى تمجها المسامع ويحيلها المعقول ، واخاف السبيل في غير المصر ، وفيه ضاق كل منزل ؟ من اجل ظلمه وجوره ، على ساكنيهم ، وانتهت فيه الحال الى ان الكذب على الناس والشغل عنهم بخلاف الواقع ، وبالاسباب التي لاتوجب التأديب من الامور الموجبة لمرتكبيها القرب منه والمحبة له وارتفاع المنزلة لديه ، فسرى ذلك في الخلق وسارعوا الى الاتيان به لقلة من يجده منهم على طريق الحق ؟ لانهم كإبل مائة لاتجد فيها راحلة ، وكان اذا احس تقصيراً ممن عهد ذلك الاغراء وذلك الكذب تهدده ، وعده ممن لا مصلحة فيه وممن يحق ان لايكون نعمته بعينه ؟ ومن قبيح افعاله ان صبيا كان مميزا ورد بئرا من آبار هِجْرة ضمد يسقى بدلو ورشا ، فزلت به قدمه فهوى فيها وأخرج منها حيا لا بأس به ، فجعل الوزير يؤدب بالمال جيران تلك البئر حتى ام الولد أدبها بمال كثير ولبث بقرية الشقيرى نحو من ثلاثة اشهر ونصف ، جاعلاً هذا العمل القبيح ديدنه ودأبه ، غير مراقب لمن ولاه ولا خاف ربه ، وشمخت به أنفه واستكبر هو وجنوده ، وكانت له افعال غير ظلم العباد ، وفيها مكاره وشناعة يسمج بنا ذكرها ، اتخذها خلقا وعادة : شعراً .

مساوٍ لو قُسِمْنَ على الغواني ... لما أُمهرن الا بالطلاق

والشريف لم يزل يغريه الدحن والضغائن بعداوة اهل الفضل والأدب وذوى الاقدار ، فتغير قلبه عليهم ونظر بعين البغضاء شزراً اليهم ، فكان يسر مما يسوؤهم ، ولايقيل لهم عثرة ولايرحم لهم عبرة ، واتهمهم وهم الامناء واستصغى لمن اضمر لهم فى قلبه عداوة وإحنا :

الارب نصح يغلق الباب دونه ... وغش الى جنب السرير مقرب

وكان للسانه دربة عليهم يكلمُ بها أعراضهم الوافرة ويذم بها شمائلهم المحمودة العطرة ، والشريف علي بن حسن توجه الى مدينة الزيدية والياً ، أظنه فى شهر رمضان وتولى بعده مدينة صبيا الشيخ «علي بن خضير» وليس له فى هذا الذوذ جمل ولا ناقة ولا مقدمة ولا ساقة ، وكانت أفعاله مضاهية لأفعال الوزير ومن غريب ما وقع لأهل هذه القرى من الشدائد وان العدو كان يطلب سفك دمائهم وأخذ أموالهم وانجرارها اليه كما قدمنا فى فعل الوزير ويعلل ذلك بكراهيتهم له وعدم النصيحة منهم فى دفع العدو وحرّج فى بعض مجالسه ان أهل القرى انما لم يدفعوا العدو عن أنفسهم مع انه يقتلهم وينهبهم ، ارادة منهم لاكادته ، وعذر الناس فى عدم دفع العدو والعجز عن دفاعه ، ومن ذا يكيد غيره بقتل نفسه ، وأخذ ماله ، وفى كراهة الشريف وأفعاله القبيحة والحاصل انه كان يعلل اساءته اليهم بكراهتهم له وهم يعللون كراهتهم له باساءته اليهم فاستحكمت العلة وعدم دواؤها:

ولم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا ... يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

وكان له أعوان مساعدون له على مذهبه ممن أحسوا منه ارادة الرفع الى الامام أغروا به ، وكان ينبذ الخطوط الامامية وراء ظهره ويجعلها مؤخرة عما يريد تقديمه فى أمره فقصرت الآمال

(١) فى الاصل (ادها) .

وترقبت النفوس الفرجة من الكبير المتعال وأنشد لسان الحال فى كل أحد بهذه الديار بعَبْرة مبرحة ودمع مدرار :

أقول كما يقول حمار سوء ... وقد ساموه حملاً لا يطيق
سأصبر فالأمور لها اتساع ... كما أن الأمور لها مضيق
فاما أن أموت أو المكارى ... واما تنقضى عنا الطريق

وأعلم أن المجرىء للعمال على التتابع فى نهب الأموال هو قول العلماء ان للامام الجامع للشروط المعتبرة أن يعاقب من أخطأ خطيئة تحتمل المعاقبة عليها والزجر بها بأخذ المال ، وقد حكمت فى جواز ذلك للامام كثير من العلماء واستدل المجيز بحديث ان سعد ابن أبى وقاص سلب عبدا وجده يصيد فى حرم المدينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من وجدتموه يصيد فيه فخذوا سلبه ، عند أئمتنا ومسلم ، وأجيب بأن العقوبة حد والحدود الى الأئمة فتولى سعد لها وليس هو بامام ولا والٍ مخالف للأصول ، ومن أدلة المجيز تضمين من أخرج غير مايؤكل من التمر المعلق بمثله وحديث كاتم الضالة يردها وقوّمها بمثلها وحديث تضمين عمر بن الخطاب لحاطب ابن أبى بلتعة مثلى قيمة الناقة التى غصبها عبيده وانتحروها ، وأجيب بأن الاجماع استقر على عدم استحقاق المجنى عليه لما ذكر لأنه مخالف للأصول بتضمين المثلي والقيمي بالأكثر من قيمته ومثله وأيضا فهو غير محل النزاع اذا النزاع فى أخذ مال المذنب لبيت المال ، والذى روى يحيى [1] الهادى الى الحق عليه السلام باسناده الى على عليه السلام ان الله أدب هذه الأمة بالسيف والحجز فلو كان التأديب بالمال مشروعا لذكره لأنه باب مدينة العلم وتعقب هذا شيخنا المجتهد شرف الاسلام فى مواهبه القدسية بما معناه : أمالو فعل الامام أو نائبه ذلك اجتهاداً وتحريا للمصلحة على وجهٍ لا يراد به طلب الدنيا ولا اتباع الهوى بل على حد ما يسلكه أئمة الدين ، عَلِمَ أغْراضهم فى الدنيا وشدة ورعهم وزهدهم فيها وعلى وجه لا يلحق معه تهمة ، توخيا لما يقتضيه التأديب من الزجر عن المعصية وكان المال أشد من الزجر من التأديب بغيره لكن لا على الوجه الذى عليه العمال والغرماء من قصد جمع الحطام وارتكاب الآثام وتوجيه النفائع والآداب المحرمة فى الأمور المشكوك فيها بمجرد التقولات الكاذبة التى لا تحل مال المسلم الثابت تحريمه قطعا ، فذلك أعنى ماصدر لا على هذا الوجه الذى يرجى فيه السلامة فى الآخرة ، ثم قال والورع يبعد عن ذلك ويحمل على البعد منه وعليه المانعون ، وأما المعاقبة باحراق المال وافساده فاجازه المانعون لحديث هَمَّ النبى صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة عليهم وتحريق علي عليه السلام مال المحتكر كما روى عنه قاضى القضاة ، وروى أنه جاز لِضَعْفِهِ لبيت المال والأمر خاص فى تجويز ذلك وهدمه عليه السلام لدار جرير بن عبدالله البجلى لأنها كانت مجمع أعداء أمير المؤمنين انتهى ماذكره سيدنا مختصرا بالمعنى نعم وفى العشر الأواسط من شهر ذى القعدة أغار الوزير على قوم من آل عمر وآل

---

(١) يحيى بن الحسين الرسى العلوى ولد فى جبل الرس قرب المدينة فنسب اليه ،أما الزركلى فى «الاعلام» فيذكر انه ولد فى المدينة دعته بنو فطيمة من قبائل صحار بن خولان فوصل معهم الى جهة صعدة فبايعوه بالامامة ، وهو مؤسس امامة الزيدية فى القسم الاعلى من اليمن توفى سنة ٢٩٨هـ - ٩١٠م ويقول بركلمان فى تاريخه ص ٧٢ ج ٢ ، ان سلطنه اقتصرت على صعدة وماجاورها .

حسن أخذوا أنعاما فقتل منهم ثلاثة وقتلوا من أصحابه واحدا وقبض منهم رجلا فشنقه بقرية الشقيرى وفى يوم الخميس لسبعة عشر يوم من شهر ذى القعدة الحرام توجه بنو شعبةُ من الدرب ومعهم الشيخ علي بن جابر ثائرا بأخيه محمد بن جابر وهو قائد الجيش بعدة قوية من الرجال والخيل قاصدين الوزير بقرية الشقيرى وشاع خبرهم فى القرى وكان مظنة قدومهم الشقيرى وصبيا وصلهبة وكان بصلهبة الشريف حسن بن غالب وأيضا الشيخ علي بن خضير فأخذ كل منهم حذره ولما جاء الوزير الخبر وسوست له نفسهُ بالتوانى لظنه أن قصدهم له مع ماهو عليه من القوة والمنعة بعيداً جداً وأمر العسكر وأهل الخيل بأخذ الأهبة خشية على غير موضعه الذى هو له ساكن ، فلما كان قبل شروق الشمس يوم الأحد الثالث والعشرين من الشهر المتقدم وكان قد خرج بالعسكر وأهل حده الى قبلى القرية وهم كثيرون اذ قدموا عليه وحملت الفرسان وذو الثبات على الدولة حملة واحدة لم يكن لهم بأنفسهم حاجة :

والخيل تصهل والفوارس تدعى   والبيض تلمع والأسنة تزهر

فأصدقوهم الجلاد، وأرووا من دمائهم الرماح والسمر والبيض الحداد ، فتثلم من الوزير عراه وأقبل بالمسا عليه نهاره ، وهرب أكثر العسكر عنه ولاذ هو وجماعته منهم بدار حُصنت بشوكة السلم وكانوا واقفين عنده يحمونه وانفسهم بالبنادق والفوارس تتخطفهم وكان على صهوة دابته بينهم فأمروه بالنزول خشية أن تراه الفرسان من بنى شعبة فيقتحموا من أجله المسالك الصعبة ويقتلوهم معه فنزل وجثى على أقذار مطهر [1] كان هناك غير مبال بلومة لائم من الناس ولا ملتفت الى قول أبى فراس :

ولا خير فى رد الأذى بمذلة   كما ردها يوما بسوءته عمرو

ودخل منهم من دخل داره فأحرقها ونهب منها مايجل قدره ويعسر ضبطه وحصره وانكشفت عورات نسائه ونالهن من الذل والاهانة مالا يوصف وكان هذا اليوم يوما مشهودا كريما عند المسلمين محموداً طابت به منهم النفوس وقرت به العيون وأحيا مآثر بدر وحنين ويروى أن بعض أهل الشقيرى حكى أنه كان واقفاً مع الوزير فى الموضع الذى لاذ به فقال وددت أن لو دخل العدو على الوزير يقتله ولو آل الحال إلى قتلي ومن هو واقف معهم من جملتهم انا ، لشدة ما قد نزل بالمسلمين من جوره وظلمه وبلغ عدة من قتل في هذا اليوم نحوا من سبعة عشر رجلا ، أكثرهم من العسكر والباقي من أهل الشقيري ومن الجند نحو أربعة وروى أن بني شعبة لم يألو جهدا في التوصية لأصحابهم والتحريص عليهم في عدم قتل غير أجناد الدولة ولولا ذلك كان من المقتولين من أهل الشقيري أكثر من هذا القدر ونهب على أهل الشقيري أموالُ كثيرة جليلة وسلب كثير من النساء والرجال وكُفّت الحرب بعد ارتفاع الشمس . وخلت القرية من أهلها وأقام الوزير بها إلى وقت العصر في حال يأس وذل فظيع وروى أن عينيه ذرفتا بعد منصرف أعدائه من شدة ما نزل به من

(١) «المطهر» بمصطلح جهتنا : المرحاض .

الذل والهوان وما شاهده من خذلان أصحابه له ، وقد كان أغناهم بأموال المسلمين ، ولا يستقبح هتكهم بعرض من لا يستحق بعدهم لماته ؟ فأضاعوه ، أحوج ما كان اليهم وانصرف بنو شعبة وأجنادهم لابسين ثوب المجد والفخار ومسرورين بما أمدهم الله به من كسر راية أولئك الأشرار والشيخ علي بن جابر تبرق أسارير وجهه من الفرح وأنشد لسان حاله انشادا له النصر وضح :

هن المفاخر قد ضمنت لها ... حمل الحقوق وقد أوجبت مايجب

ارعى الولي وبرقي خلفه مطر ... وأرعوى ودخان تحته لهب

وقتل من جيشه من قتل ولكن لما كانت الغلبة لهم لم يؤثر ذلك فى جانبهم :

ومن ظن بان قد يلاقي الحروب ... والا يصّاب فقد ظن عجزا[1]

وبات الوزير ليلة الاثنين أول ليلة بعد هزمه بهجرة ضمد ومعه من بقى من جنده وهم قليل مستضعفون وارتحل يوم الاثنين الى سيده الشريف بقلعة جازان والشريف يوم وقعة الوزير تزعزع وعظم عنده ما فتح بنو شعبة وأمر في ذلك اليوم بايصال الشيخ محمد بن جابر إليه وكان الشيخ بقلعة أبي عريش قد حصلت له فرصة فى آخر شهر شوال فاغتنمها ، سرى هو ومعه ثان ؟ وكان النهار لما أدركه مع ما كان فيه من الضعف لطول السجن أقام بموضع شرقي مدينة أبي عريش على نحو ميلين أو أكثر ، وفارق ثانيه وكان مطلقا كأن يستنجد من يعينه على حمله وشاع خبر مسراه وأخذت الخيل والرجال في طلبه من الجوانب الأربعة حتى وقع عليه منهم بذلك الموضع الذي ذكرناه ، ولما جيء به أمر بتغليظ السجن على من فيه وكان الزمان زمان حر فأصبح في اليوم الثاني نحو ثلاثة عشر رجلا من المسجونين أمواتا لا حراك لهم وكان لهذه الواقعة موقع عظيم في قلوب أهل البغي وروى أن الشريف بعد وقعة الشقيري حرص على الصناع في تجهيز أبواب القلعة وانتهرهم على التراخي في ذلك وبات هو وجنده ليالي لا يكتحل لهم بالمنام ناظر ولا تمسي خيلهم إلا مسرجة يروعها وأهلها طيران الطائر ، وروي أن فرسا انقطعت عقالها ذات ليلة فركضت فارتاع أهل القلعة وانزعجوا وولى منهم من ولى مدبراً ، وبعد خلو قرية الشقيري وجلاء أهل هجرة ضمد وارتحل منهم الأكثر وتقلقل الشريف حسن بن غالب بصلهبة ، وهجر المنام وأمر بأصحابه وأهل صلهبة بملازمة السهر ، وأخذ الأهبة واستشعار الحذر ، ثم صمم على الارتحال الى مدينة صبيا فارتحل ليلة الثلوث أو الربوع ليلة الثالث من وقعة الشقيري وظن بأهل صلهبة الخداع لبنى شعبة وفي نفسه انهم ان لبثوا بعده ولم يرتحلوا فهم مخادعون وسوف يلحقهم من الأذى ما يكرهون ، وذلك في مال أهل صلهبة فلم يقدروا على الاقامة بعده خوفا منه ، وكان قد وصلت اليهم كتب من بني شعبة ان لا تخافوا ولا تحذروا اما الغرض المطلوب والحاجة التي في نفس يعقوب انما هي الدولة ، ولكنهم لما خرجوا من مأمنهم وظهر عليهم العدو من مكمنهم لم يصبروا على الاقامة فلما كان بعد الشروق يوم الثلوث أو الربوع وأتت أجناد بني شعبة تملأ الفضاء فأتوا على قرية صلهبة وهي خاوية على عروشها فأقدموا إلى مدينة صبيا وكان بها جند عظيم من الخيل والعسكر ولكن

---

(١) فى الاصل : ومن ظن من يلاقى الحروب ... بان لايصاب فقد ظن عجزا .

فاصلحناه كما هو بعاليه : جرى التنبيه .

خامرهم الجبن وحل بأفئدتهم الظلم والأمير بها الشيخ علي بن خضير وبقية الأجناد والرؤساء تبع له فلم يكن فيهم من له همة علوية وشهامة عنترية تحمله على لقاء العدو ، قبل وصوله لتدفع شره ومعرته عن الضعفاء قبل دخول المدينة بل استترت [1] الأجناد وأمراؤها والقواد بالبيوت ومن خرج منهم للقاء العدو فهو ممقوت ولما كانت المدينة متسعة بعيدة الأطراف وقعت أجناد بني شعبة على جوانبها وكان ذلك الوقوف منهم كهز جذع النخلة والهارب من أهل المدينة من ذكر وأنثى فيقع في أيديهم فغنموا من الهاربين أموالاً جليلة وأخذ بعضهم ما كان في البيوت على طرف فنهب نهبا واسعا والدولة وأجنادها لم يكن في هممهم شيء سوى الرمي لمن وقع تحت دورهم دفاعا عن أموالهم وأرواحهم :

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

ثم ولوا راجعين وكان مرورهم على قرية صلهبة فنهبوا من مخازنها ما نهبوا وكان في ذلك أكذاب لما ذكروه لأهلها قبل من التسكين لهم والتأنيس :

غاض الوفاءُ فما تلقاه في عدة ... وأعوز الصدق في الأخبار والقسم [2]

وقيل لم يكن الفاعل لذلك إلا آل عمر وآل حسن ولكن كانوا في صحبتهم ، وكان الواجب عليهم أن يمنعوهم عن ذلك حرصاً على الوفى [3] . وروى انه قتل منهم في صبيا ثلاثة رجال كأنهم لغربتهم وعدم خبرتهم وقعوا فيما لا يهتدون إلى الخروج منه ، ولما حصل في بني شعبة هاتان العلتان بالشقيري وصبيا اهتزت الأرض بأهلها ومادت وبلغت القلوب من شدة الخوف الحناجر ، ورجفت العقول [4] وسفهت الاحلام واضطربت أمور الخلق اضطرابا يعجز التعبير عنه بالألسنة والأقلام ، وأنشد لسان حال الفاضل اليهم [5] في تلك الأيام :

أرى الناس مخسوفا بهم غير انهم ... على الأرض لم يقلب عليهم صعيدها

ورجع من أجلا من هجرة ضمد لثاني عشر ذي الحجة وامتلأت منهم ولم يبق منهم إلا القليل وكذلك أهل الشقيري وفي ليلة ثاني النحر توجه الوزير من القلعة ومعه السيد حسن بن أحمد المرتضى بأجناد كثيرة غازيا قوما من القبائل بموضع يسامت جبال آل عمر وآل حسن بوجه وادى ضمد ولما بلغ القبائل الخبر ارتحلوا فلحقتهم الدولة وأخذت أنعامهم واستحوذ عليهم الطمع في اللحوق لرواحلهم وأخذوها فوافوا بموضع يقال له المخبزة بميم مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فموحدة مفتوحة فزاى فتاء تأنيث فأخذت القبائل بالحزم واستصرخوا بمن أمكن الاستصراخ به

---

(١) في الأصل استرة هكذا ، فاصلحنا ذلك « استترت » .

(٢) في الاصل - المخطوطة - ورد بيت الشعر كمايلي :

غاض الوفا فما تلقاه في احد ... واعوز الصدق في الإخبار بالقسم

(٣) في النسخة الام « الوفا » فاصلحناه .

(٤) في الام « وكادت رجفت العقول » .

(٥) في النسخة الأم وانشد لسان حال الفاضل اليهم ، هكذا .

فاجتمع على الدولة منهم جيوش كثيرة وقد كان في قلوبهم من البغضاء للدولة ما هز من عطفهم وحرك من نشاطهم وأحاطوا بالدولة وظهروا عليها فأدبرت الدولة ادبار ذل وذعر ، وكان عاقبة ما سولت عليه أنفسهم من الطمع :

ومن لم يتق الضحضاح زلت به قدماه في البحر العميق

وأثخنت القبائل القتل ومع بعد الموضع وحصول الهزيمة وتشتيت أصحاب الدولة وكان الرجل من القبائل لا يمنعه من القتل إلا الاعياء والتعب فكثر القتل في الدولة كثرة لم تعهد في زمن الشريف ، والأموال ؟ مختلفة من القدر فقيل بلغ قدر من قتل مائة وخمسة وفي اليوم الثاني أو الثالث نهض الشريف مطاعن ابن أبي طالب من قرية الشقيري بعد أن رجع أهلها إليها كما قدمنا ومعه آخر لأخذ ذمة من القبائل تسكن بها نفس الراجع الى وطنه وهم على تخوف من الشريف لأن ذلك لا يرضيه كما قدمنا ان من أراد أن يسكن في بلدته متكلا على حيلته كان عنده من الخاطئين فوقع على قوم من القبائل لا يعرفونها فوثب منهم من وثب فخرج الشريف مطاعن فقال لهم انما الغرض أخذ الذمة منكم ولسنا بأعداء فقالوا لا ذمة لكم عندنا (ولا نَفْقَهُ كثيرا مما تقول)[1] وشدوا لها الوثاق ؟ وحصلت للشريف فرصة فغنمها وفر فلما وصل الى قرية الشقيرى أنذرهم وقال الرأى أن لا يبقى منكم أحد ؟ فان هنا أقواما تجمعوا كثيرة ولم يعطوني جوابا فيما طلبت من الذمة ولا أخالكم تنجون ، والحزم هو الارتحال فان البقاء على غير ذمة مع اشعال هذه الفتنة غير مستحسن فارتحل الفريق عنها ولم يبق إلّا من لا يعتد به كأرملة لا كافل لها ولما مضى عصر يوم الجمعة ثامن عشر الحجة الحرام أقبل على أهل هجرة ضمد من الجانب اليماني جيش نحو المائتين ومعهم من الخيل نحو ثلاث ولم يكن في القرية من سما طرفه وعبل ذراعه ممن يدفع به مَلَمَّة أو يرجى لكشف غمة وكان في القرية من السبعة الأصناف المعذورين عن القتل شرعاً ففعل العدو بهم ما أراد ولم يرد عن ذلك راد وسلب النساء وأخذ ما وجد من المواشي وقتل نحو اثني عشر رجلا ، وبعد ما ارتحلوا خلت القرية من أهلها خلواً أعظم من الأول ، وفى آخر شهر ذي الحجة الحرام أو شهر المحرم سنة خمس ومائة وألف توسط جماعة من الأعيان قصداً لخمود نار الفتنة بين الشريف وبني شعبة على فك الشيخ محمد الرزيقي وتسليم قدر من الأدب معروف يكون مسلما من بني شعبة والبقية يخصص على القرى معونة لبني شعبة لكف شرهم والتزم الشريف بالوفاء والأمان ، ان تم دخولهم فيه فعزم ذلك المتوسط إلى بني شعبة بعد مواطأة الشريف على ذلك فامتنعوا من ذلك وثنوا عطفهم عنه فطلب ذلك لمتوسط ذمة أهل القرى قيل شهر وقيل لشهرين ففعلوا وشاع الخبر فى أهل القرى المطرودين عنها فسروا بذلك سرورا عظيما ورجع منهم من رجع الى وطنه وكان أهل الشقيري وهجرة ضمد ممن رجع وكان لوادي ضمد خصب عظيم فانجذب معهم من الأجانب من انجذب طمعاً في ذلك الخصب وكان رجوعهم فى العشر الأولى من شهر محرم ولما كان أول العشر أو الوسطى منه حصلت من القبائل غزية

---

(١) ماأورده المؤلف رحمه الله هو جزء من الآية الكريمة ٩١ من سورة هود وأصل الآية (قالوا يشعيب مانفقهُ كثيرا مما تقولُ وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمنك ومآ انت علينا بعزيز) وما اورده بعده (وشدوا لها الوثاق) هو ـ أيضا ـ نلمح فيه الآية الكريمة : فإذا لقيتم الذين كَفرُوا فضرب الرقاب حتي اذا اثخنتُمُوهُم فشدوا الوثاق ...) الآية ٤ من سورة محمد .

وموصلين عنق رقابهم عن ملكه فنو بذلك الخبر في حزن عظيم وهم في سرور عظيم

تناقضت الايام ما بين اهلها . مصائب قوم عند قوم فوائد

واعلم ان الامير عز الدين لما انفصل من جانب الامام علا احمد والفضل بالشريف محمد غالب والشريف ابو طالب احمد بن محمد الى محل ... ايام دخول اولاد الامام الى صعده طلع معهم الامير عز الدين واجتمع بالشريف وهو كليب فقصر معه مما يجب له فتدرك ما كان يفعله من الانصاف وسامحه خطرا الا نصير عليه ملكه ولم تنزل قلة الانصاف قاطعه . بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم فلم تساعده نفسه الابيه على الدفامه ورأى ان اللبث هذه خسه ومذلة فارتحل الى الحضرة الامامية الناصرية منشد لسان حاله وتخبر ما اقتضت به همته العلية

ابت همتي ان تلزم الضيم وارتفعت . الى مذهب بالاريحية مذهب ..

وحولتت في عم وخال مسود . كريم ومن جد حسيب ومن اب ..

تعودت تعقيد الامور وحلها . بحظى من حلول القلب في قلب ..

ولما انتهت ركائبه الى الحضرة الامامية الناصرية تلقاه بها بالانصاف ومكث عنده عزيز الجانب ملحوظا اليه ولم تزل الاسباب والقرائن تتظاهر الموجبة لرفع يد الشريف وحصل في هذه الحمه ما قدمناه من النهب للاموال وقتل النفوس والخراب وغير ذلك من الاهوال لعظام المصائب فكبر ذلك عند الامام ورأى ان النعمه للشريف هدم لقاعدة الاسلام محمد الاخير محمده وقال اذهب مكان هذا الجائر وستفعل بكم ... لعسكر من المعدة فاما الاخير من اصحاب المعدة في العسكر واقبل على ولاة الشريف بالزيديه واللحيه وموزع وحرض والمهجم والمراوعه مع قدوم قاسم حين احلروه ولم تسعروا ولم يكن مع الامير جند غير ذلك المدده لعلم الامام ولكنه كما قيل ....

فلم يغفل الكبش وهو عرمرم . والبيض قد اشهرت من الاغماد

ولما اتصل بمسامع الشريف كان ... من المير بعد ... الذي قدمناه ووصل الامير الى حرض ثالث عشر شهر ... وفي هذا الشهر بعد رجوع الشريف وشيوع خبر الامير عز الدين العطى حصل على الناس قلق ... صياح بالليل وخرج من خرج واخذ العدو من الانعام ما اخذ ثم وقع بعد ذلك صياح ايضا آخر للعصر وقتل العدو رجلين من اهل صعده وربما نهبوا ما نهبوا وقيل ثالث صنه العدو في الصباح الاول وكانه ضحى الصباح الثاني فمات

شعر على هذا الشاهد

شعر على قوله واعلم

على الابيات

شعر على ... بن الشريف الامير بالحضرة

شعر على قوله فلم يغفل

شعر على ما حصل من العدو على ... بعد

تعيين

على أهل الشقيري وقت الشروق فأغاروا وغار معهم أهل ضمد وكادوا أن يظهروا على الغازين وما أحد فات واتصل الخبر بمن بقى من القبائل في المراح وكان فيهم من بني شعبة جماعة أهل خيل فأغاروا وحملوا حملة واحدة قوية ودخلوا قرية الشقيري وقتلوا رجلا ونهبوا وسلبوا فتزعزع أهل القريتين وعلموا أن تلك الذمة المعقودة غير مبنية على الصفة ؟ فارتحلوا وكان هذا الارتحال ثالثا من أكثرهم ورابعا من أقلهم بعد وقعة الوزير وبعد مضي خمسة أيام من هذا الارتحال غزى من العدو من غزى أناسا كانوا بقرية خضيرة وكوكب[١] من المِجْليِّين من أهل ضمد وغيرهم وكان ذلك ليلا فنهبوا من الأنعام وغيرها وقتلوا نحو ثلاثة وأجلى من بقى منهم ثم خلى وجه وادي ضمد بعد هذه الغزوة من القُطّان ودخل هو وأهله في خبر كان وكان الخراب مبتديا من بيش منتهيا الى قلعة جازان وجاوز عدد القرى التي خلت عن أهلها نحو الخمسين يجيب بها البوم الصدا ولا ترى فيها من السكان أحدا :

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى ... واقيال حرب من بسالتهم أسد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا ... لنا عبرة تدمي الحشاء لمن بعد

ولم يبق إلا مدينة صبيا وارتحل من الساكنين بها كثير ـ أيضا ـ وَجَلاً وخوفاً ، وفي القرى[٢] التي من جهة المغرب واليمن أناس قليل متخوفون بالليل وآخر النهار يظهرون وبأوله يستترون ، ومن غريب ما وقع مع الخوف والاضطراب الذي لا يخطر على خَلَد ذوي الألباب انه حصل فزع فَزَوَعَ الساكنين بوادي جازان من الهاربين من أهل القرى [٣] اليه ومن أهله أول عصر من تلك الأيام فقيل جاءكم العدو فولوا الأدبار من دون أن يتحققوا لصدق الخبر وكذبه ، وكان كذبا وعم هذا الفزع وهذا الادبار أهل مدينة أبي عريش ونحو قريات ؟ من قرى جازان وروى انه عم قرية الجربة وجوه[٤] ؟ كل ذلك في ساعة من النهار واندعر أهل الحوانيت بأبي عريش ففزعوا منها وتركوها مفتحة الأبواب والتجأ أكثرهم إلى ثلاث بيوت أو أربعة محصنة يظن فيها النجاة وكان بعضهم يقول لصاحبه أرم بالبندق كى يسمعوا[٥] العدو فيرتدع عن الأقدام فاذا رمى به قال السامع من أهل المدينة هذا العدو دخل المدينة وصيحة البندق شاهد بذلك فوقعوا فى حيص بيص ثم حصلت الافاقة من ذلك الأغماء بعد ذلك الوقت ولله القائل :

حوادث يبديها العيان كما ترى ... وان نحن حدثنا بها دفع العقل

وفى اول العشر الأواخر أو أواخر الوسط من شهر المحرم من السنة المذكورة صمم الشريف على الخروج بنفسه على القبائل المعادية ، فجمع الجمال وجند الأجناد وأخذ فى التأهب لذلك والاستعداد ، واجتمع له من اهل البندق نحو ستمائة ومن غيرهم نحوهم والتزم القبائل الموافية

---

(١) قرية خضيرة معروفة وعامرة الى وقتنا الحاضر واما قرية كوكب فقد دثرت ولم نجد من يعرف موقعها على وجه التحقيق .

(٢) . (٣) كتبتا : القرا : فاصلحتهما بما تراه اعلاه .

(٤) هكذا فى الأصل .

(٥) الصواب « كي يسمع » .

كذلك بالمحاذاة ؟ له بأموالهم وأهليهم ليرتفق بذلك الاجناد الذين معه فكان اذا صار قليلا صارت الأمتعة كثيرا وكانت طريقه من جهة الحازة[1] ولا يسير الا زحفا وبلغت مدة خروجه من القلعة الى دخوله شامى وادى صبيا نحوا من خمسة عشر يوما وتزعزع من خروجه البدو وتفرقوا واتصل الخبر ببنى شعبة ، ودخلت تحت وطأته فى خروجه هذا قوم من قبائلهم التى منهم تلك الأفعال العظيمة ، والحاصل انه كان قد عد من الأموال ما يظن معه ظهوره عليهم اعنى بنى شعبة لو أهله المقدور ، وكانت القبائل لما فعلت تلك الأفعال بأهل القرى ولم تر منهم أحدا الا موليا مدبرا ، وقدر لها ما قدر من الظهور على سرايا الشريف التى توجهت إليهم أولا وآخرا ثم رأوه ساكنا مطرقا عن الأخذ بالثأر فيما قدجرى ، وأعْتَقَدَتْ ان ذلك عجزا وذلا منه وكذلك اهل القرى اعتقدوا فيه ذلك الاعتقاد فلما كان منه هذا الخروج على الصفة التى ذكرناها تحقق ان سكوته واطراقه فيما مضى ليس بعجز ولا ذل انما هو لأمر آخر وأنشد لسان حاله فى حال سفره وارتحاله :

نحن بنو الحرب متى شمّرت ... ولاح عنوان شباها وضاع
وانما اوقفنا موجب عنها ... وقد يطرق قلب الشجاع

وذلك الموجب الذى اوقفه اما للتشفى على اهل القرى ، والأكادة لهم لما ذكرنا من كراهته لهم ، وجملتهم على خلاف ما هم عليه ، وان كان يراقب فرصة ولم تحصل إلا فى وقت خروجه هذا ، وكانت القبائل لتميز خروجه لهم وبروزه ؟ فلما خرج ولوه الأدبار وصدقوا ما تضمنه المثل السيار :

واذا ما خلى الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

وبينما هو فى ثوب أمانيه رافل ، وبالاسباب المعينة له على اعدائه بالظفر متشاغل ، اذ دهمه العلم بقدوم الأمير الشهير عز الدين بن حسن القطبى الى « مور » وقاسم بن حسن المهدى الى بلاد الشرفين فتنغصت لذته ، وولت مدبرة فرصته ، وكر راجعا الى قلعة جازان وسر المسلمون بذلك سرورا عظيما حين حان زوال ملكه ومؤملين عتق رقابهم عن ملكه فهو بذلك الخبر فى حزن عظيم وهم فى سرور عظيم :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد[2]

واعلم أن الأمير عز الدين لما انفصل من جانب الامام على بن احمد واتصل بالشريف الحسن بن غالب والشريف أبى طالب بن احمد بن محمد الى جبل رازح ايام دخول أولاد الامام الى صعدة طلع معهم الأمير عز الدين واجتمع بالشريف وهو بخلب فقصر معه فيما يجب له وترك ما كان يفعله من الانصاف وسامه خطرا لا يصبر عليه مثله :

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم

فلم تساعده نفسه الأبية على الاقامة ورأى أن اللبث هذه خسة[3] وملامة فارتحل الى الحضرة الإمامية الناصرية منشدا لسان حاله ومخبرا لما قضت به همته العلية :

---

(١) الحازة بفتح الحاء المهملة بعدها الف فزاى مفتوحة مثقلة و اخرها هاء : الحزن من الارض .

(٢) فى الاصل ، تناقضت الايام ، والصواب كما ورد فى ديوان المتنبى كما هو اعلاه .

(٣) هكذا فى الاصل .

أبت همتى ان تـرأم الـضـيـم   وارتـقـتْ   الى مـذهـب بـالاريحيـة مـذهـب[٣٠]
وقـوبـلـت فى عـم وخـال مـسـود   حـسـيـب وفى جد كـريـم وفى أب
تـعـودت تحـويـل الأمـور وحـلـهـا   وتـقـلـيـبـهـا مـن حـوّل الأمـر قُـلَّب[١]

ولما انتهت ركائبه الى الحضرة الامامية الناصرية تلقاه ربها بالانصاف ومكث عنده عزيزا محترم الجناب ملحوظا اليه ولم تزل الأسباب والقرائن تتظاهر الموجبة لدفع يد الشريف وحصل فى هذه الجهة ما قدمناه من النهب للأموال وقتل النفوس والخراب وغير ذلك من الأموال [٢] العظام الصعاب فكبر ذلك عند الامام ورأى أن التبعية للشريف هدم لقاعدة الاسلام فمد للأمير بقلمه مدة وقال اذهب مكـان هذا الخـاسر وسنفعل لـك من يعينك ؟ من العـدة فأبى [٣] الأمـير من استصحاب العدة من العسكر وأقبل على ولات الشريف بالزيدية والضحى ومور وحرض والمعرس والأمروخ[٤] مع قدوم قاسم بن حسين أجلوا وفروا ولم يستقروا ، ولم يكن مع الأمير جند غير تلك المدة بقلم الامام ولكنه كما قيل :

قـلـم يـفـل الجـيـش وهـو عـرمـرم   والـبـيـض قـد شـهـرت من الاغـمـاد

ولما اتصل بمسامع الشريف كان سببا لرجوعه من « المير »[٥] بعد خروجه الـذى قدمنـاه ووصل الأمير الى حرض ثالث عشر من شهر صفر وفى هذا الشهر بعد رجوع الشريف وشيوع خبر الأمير عز الدين القطبى حصل على أناس قليل بهجرة ضمد صباح[٦] بالليل وخرج من خرج وأخذ العدو من الأنعام ما أخذ ثم وقع بعد ذلك صباح وأيضا آخر العصر وقتل العدو رجلين من اهل ضمد وربما نهبوا ما نهبوا؟ ورجل ثالث ضربه العدو فى الصباح الأول وكأنه ضرب فى الصباح الثانى فمات بسبب ذلك ، والسبب أن أهل القرية لم تيأس أنفسهم عنها وكان من لا يجد من المرافق ما ينفعه فى غيرها يعود اليها مع لوعة الوطن الجاذبة للنفوس والعدو يطمع فى العائد مع قلته وحصل على قرية صلهبة فى هذا الشهر صباح بالليل بعد عودهم اليها ، وقد كان اهلها جعلوا نفوسهم تبتين[٧] ، وخائفين العدو ؟ وعملا بالحزم فافترق العدو فرقتين كل فرقة قصدت تبة من التبتين ولم يأل جهدا أهل القرية من الدفع للعدو وثبتوا ثباتا لا يظن مع ما قد خامر اهل القرى من الفشل والانزعاج الفظيع والوجل وشهد فى ذلك المقام لبعض السادة ثباتا يليق به وحق له ان ينشد :

أنـا الـذائـد الحـامـى الـذمـار وانمـا   يـدافـع عن احـسـابـهـم أنـا أو مـثـلـى

---

(١) انظر الحاشية (٣٠) ومصور صفحة الام الواردة بها الثلاثة الأبيات محرفة | ص ٦١ .
(٢) فى النسخة الأم : الأموال العظام ونرجح ان الصواب الامور لا الاموال .
(٣) فابا » : فابى .
(٤) بلدان فى تهامة اليمن معروفة .
(٥) « المير » : ـ راجع المصطلحات الجغرافية المحلية فى كتابنا المعجم الجغرافى الطبعة الثانية ص ٢٧
(٦) المعروف ان الصباح هو هجوم العدو صباحا اما الهجوم الليلى فيسمى البيات أو التهجيد وفى الآية الكريمة (والمغيرات صبحا ...) الآية ٣ من سورة العاديات وقد تكررت كلمة الصباح فى النسخة لكل هجوم ليلى وقد يكون ذلك من باب التغليب والا فالمؤلف من سعة العلم والمعرفة بمكان .
(٧) تبتين فرقتين والتبة الجماعة من الناس قال البحترى ، تباتبا وكراديسا كراديسا » وكذا فى كتاب تاج العروس .

وقتل العدو ثلاثة من اهل صلهبة رحمهم الله ولم يمسهم بسوء غير هذا القتل وفى آخر هذا الشهر ايضا حصل على اهل بيش صباح وكان الشريف حسن بن وضى الفليتى مقيما عند الشريف بالقلعة مع جمع غفير من اهل بيش فهزهم الشوق وجذبهم زاعج الوطن والتوق ، واستأذن الشريف حسن المذكور الشريف فى الرجوع الى الوطن وكان قد بذل جهده فى عقد الذمم من القبائل حتى ظن مع ذلك أن لا بأس عليهم من السكون ببلدهم فأذن له الشريف بعد أن كان أبدى له أنك لا تثق بما يعتقده البدو من الذمة وإن وَفِيتْ لك بنو شعبة لم يف الغير من القبائل فخطر بباله كأن يرجو اقامته لديه فلم يعرج على ذلك العذل من الشريف وارتحل هو وأهل بيش ومعه من احب الرجوع الى القرية واقاموا بها أياما وارتحل اليهم من ارتحل من اهل المواشى رغبة فى ذلك الخصب الكائن بتلك الجهة فلما كان ذات يوم من الأيام فى آخر الشهر المذكور صبحهم العدو (بكرة عذاب مستقر) فانكشف من عقده للذمة لهم مختالا غادرا فقتل منهم نحو ثلاثة عشر رجلا منهم الشريف حسن بن وضي ونهبوا من المواشي مايعسر ضبطه ، وحصل على من بالمحلة ومشرف[1] والعالية فمن رجع بعد الاجلاء ، صبَّح من القبائل وأخاله قبل صباح بيش ، وفى الشهر المذكور قتل « سيد » ذكر[2] شاب لم يحضرنى اسمه وقت الرقم رحمه الله آمين ، وبعد ذلك خلت القرى الشامية عن السكن وعاد رَبْعَها مقفرا كما كان ، نعم وحصل على جماعة من الأشراف الحوازمة كانوا بناحية قرية «شُقْربى» بشين معجمة مضمومة فقاف ساكنة وراء مضمومة فموحدة فألف تأنيث ، من أسفل وادى ضمد صباح بالليل ولكنه قبل خروج الشريف الى المير ثبتوا ثباتا يليق بشرفهم ويعلو مجد سلفهم وكانوا أجلوا عن بلدتهم واستحسنوا الاقامة بهذا الموضع وهو قفر لبعده وغض النظر مع الطامع اليه فدهمهم من العدو مادهمهم وقتل رجل او رجلان من المقيمين بهذا الموضع وهو قفر لبعده وامتنع من ذكرنا من السادة على مواشيهم فأدبر العدو ، وبعد ان يئس من الظفر بها ، والشريف بعد رجوعه من المير الى القلعة اهتم بأمر بنائها وبالغ فى اتمامه على الصفة التى ذكرناها وأدار عليها سوراً وتصوب ؟ على اهل بادية من بوادى ابى عريش نحو (المحاضين) بحاء مهملة بعد ميم وضاد معجمة بعد ألف فياء تحتية فنون فاستولى على اكثر مابأيديهم من الأطعمة يأخذه بالثمن البخس ربما يوفى الثمن او يقرب منه فينقصه عماله ، وجعل يكاتب الامام فى شأن الأمير عز الدين ووجه زميلا اليه فلم يصرح له الامام بأنه معزول فى جواباته وربما شنع عليه فى بعضها بما جرى فى الخرابات وذهاب النفوس وكلما جاءه جواب غير . . .[3] شفع كتابه آخر ولما حصل له الظن بأعراض الامام عنه كاتب صاحب صعدة وبايعه على أن يوليه البلاد الى مدينة زبيد :

وليس بأول ذى همة دعته لما ليس بالنائل

فقبل صاحب صعدة بيعته ومناه بنزول أجناد كثيرة تعينه على دفع ماجاء من عند الامام له فاستروح بذلك الشريف وأنس به ، وفى اجابة صاحب صعدة له مع ماقد علمه من حاله الذى قد

---

(١) قرية مشرف تردد اسمها فى كتاب العقيق اليمانى وفى هذا الكتاب الذى نحققه وكذا فى كتاب نفح العود مما يدلنا انها بقيت عامرة الى الثلث الاول من القرن الثالث عشر ثم طالها الخراب وقد افادنا ثقة من أهل السلامة ان موقعها كان شمال قرية العالية بنحو ٣ كيلو متر - تقريبا - وان احدى آبارها معروفة الى وقتنا الحاضر .

(٢) هكذا فى الاصل : غير مفهوم المعنى .
(٣) هكذا فى الاصل .

كان هو يشنع عليه فيه لاعتراض مجال ؟ وكان اللائق به لمبايعته ان رجوعك الينا ليس اعترافا بحقنا واعتقادا لوجوب طاعتنا الا لغرض دنيوى ومادريت الا جفاؤه جاء بك الينا كيف وقد تواترت لديه عدم صلاحيته وأنزل عليه بالأمس أجنادا . قصدا لاستئصال شأفته ، ومما يغض به العين ويضيق به وجه التأويل[1] انه قبل مبايعة الشريف بأيام قلائل كتب اليه كتابا مضمونه التأنيب عليه والتشنيع فى أفعاله القبيحة وذاكره فى بيان الشيخ العوسجى وامتناعه من فكه وامتن عليه بفك الترجمان فيما مضى من غير احراج الى كثرة مراسلة ولا فداء ، واستشهد له فى كتابه بقول ابن الصيفى :

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأعداء نعفو ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذى فيه ينضح

ولما بايعه أقبل يتهدد بنى شعبة فى المعاونة للأمير فى ازالته ويصف صاحب صعدة بأنه سيف الاسلام من دون ان يتحقق منه التوبة مما ارتكبه من الكبائر العظام وهذه الأبيات نكتة ذكرها فى الغربال فى ترجمة الشيخ مظفر بن علي مجلى احببت ذكرها لغرابتها قال وقد قال ابن خلكان وكان من ثقات اهل السنة ثم قال روى انه قال رأيت علي ابن ابى طالب رضى الله عنه فقلت له ياأمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ماتم فقال أماسمعت ابيات ابن ابى الصيف وذكر ذلك فقلت لم اسمعها ثم استيقظت فبادرت الى دار ابن ابى الصيف وذكرت له ذلك فاحتمس بالبكاء وحلف بالله ماخرجت من فيه ولا من بطنه الى احد ولا نظمتها الا فى ليلتى هذه ثم انشدنى انتهى ، قال فى شرح بانت سعاد لابى هشام ، النضخ بالخاء المعجمة اكثر من النضح بالحاء المهملة ، ولهذا قالوا النضح بالمهملة الرش وقالوا فى قوله تعالى نضاختان : فوارتان انتهى . نعم وأرسل الشريف الى ابى عريش محطة ثم الى بندر جازان محطة اخرى وأقام الأمير فى حرض نحو شهر ثم توجه الى البدوى ولما ظهرت قرائن قدومه وتواترت الأخبار به امر الشريف بطم آبار ابى عريش ولم يبق منها الا بير او بيران وخرج اهل المدينة عنها وكان هذا هو الخروج الثالث منهم عن وطنهم فى مدة الشريف وارسل الشريف الأموال للعسكر الذين بأبى عريش ارهاصا لما يريد وتثبيتا لهم على النصيحة وعملا بقول القائل :

واذا رأيت صعوبة فى مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار
وابذله فيما تشتهيه فانه ... حجر يلين سائر الأحجار

والزمهم بحفظ المتاريس وجعل عندهم الشريف على بن حسن وأخاه الشريف الحسن بن غالب واستنجد الأمير بنى شعبة وأرسل لهم رسولا مكث الرسول لديهم اياما ثم توجهوا معه :

متقلدين صفائحا هندية ... يتركن من ضربوا كأن لم يولد
واذا دعوتهم ليوم كريهة ... وافوك بين مكبر وموحد

ولما احس بهم النائب بصبيا كتب الى الشريف يعرفه بذلك وطلب منه فى امرهم رأيا فى المقابلة والاجلاء فأمره بالقدوم عليه وترك المدينة فدخلها بنو شعبة فى اول شهر ربيع اول بأجناد

---

(1) من اول جملة (وفى اجابة صاحب صعدة ، الى قوله ، يضيق به وجه التاويل) جملة غير واضحة الدلالة ومضطربة المعنى كما هى فى الاصل ، واعيانا امر اصلاحها فآثرنا نقلها كما فى الاصل . جرى التنبيه .

كثيرة وأمدهم الأمير بما استطاع وجعلها من قبله وفى هذه الأيام فك الشريف الأمير خيرات بن الحسن وحالفه وكساه ، وأقام بنو شعبة بصبيا ثم ارتحلوا الى قرية الريان ضد الظمآن من قرى وادى جازان ، وبعد استقرارهم بوادى جازان فك الشيخ محمد بن جابر الرزيقى وحالفه وأعطاه مركوبا وملبوسا واجتمع باخوانه وآبائه بقرى الوادى المذكور فسروا به سرورا عظيما ووصل الأمير الى قريتى القرفى والبديع من وادى جازان فى يوم الربوع او الخميس حادى عشر من شهر ربيع الأول وكان قد وافاه وهو بالبدوى الحاج التركى رسولا من الامام الى الشريف فحين ان توجه الأمير الى وادى جازان فارقه الحاج محمد الى القلعة ولما وصل الى الشريف افضى اليه ماوصاه به الامام وحاصل ماقال للشريف على ماروى ان الثقة مسندة الى الشريف ان الامام يقول ان ولاتك جاروا على الرعية وظلموا فسيجعل الامام من قبله ولاة فى البلد ويأمرهم بدفع الجبايات اليك يكون لك معونة على جهاد صاحب صعدة فعرف الشريف ان ذلك تكليف له بما يعجز عنه ولايبعد انه كناية عن عزله فقال انا مرتحل ولكن يرجع الأمير الى حرض وبنو شعبة الى الدرب لأنى لا آمنهم اذا ارتحلت وهم بوادى جازان ولا تطيب نفسى الا مع بعدهم فوصل الحاج محمد التركى الى الأمير وهو بقرية البديع واخبره بما قال الشريف فامتنع الأمير عن ذلك وارتحل هو وبنو شعبة الى قرية العقدة بقصد حصاره وجعلوا فى القبائل الذين مع بنى شعبة كثيرا فى قرى وادى جازان ويجمعهم الداعى عند الحاجة اليهم والقلعة من قرية العقدة على نحو فرسخ والشريف لم يزل منتظراً مواعيد صاحب صعدة ويبالغ عليها فى تنجيزها وتقريبها واشتد عليه الحصار وضاقت احواله وانقطعت مواده وكان فى ابتداء الحصار خرّج جماعة من اصحاب اهل ابى عريش الى قرية المخاضرة بميم مفتوحة فخاء معجمة فألف فضاد معجمة مكسورة فراء مفتوحة فتاء تأنيث بعد ان بلغهم ان بها اناسا من بنى شعبة فأخذوا فى اطرافها انعاما لينجر لهم من ينجر الى المتاريس فيرموه ، فبلغ ذلك الى حد بنى شعبة الذين بقرية العقدة فأغار منهم من اغار وفيهم البطل الضيغم شار بن شريفة والشريف الشجاع النفاع ؟ مهدى بن محمد ابو صالح فأول من ورد حوض المنايا المترع كأسه بالرزايا شار بن شريفة فاسترجع المأخوذ وولج الى مكمنه ليعمل ماهو دأبه وديدنه من الرمى فى الجعبة ولما ولى الشيخ شار راجعا بعد الظفر تصوب له منهم من تصوب فرماه فلم تخطئه الرمية فأرداه وسقط الى الأرض من فوره :

قناة سطت للطعن حتى تقصدت[1] وسيف أطال الضرب حتى تثلما

وكان مهدى بن محمد أبو صالح مقبلا فلما رآه سقط بأدواته بادر ليحميه عن المثلة والسلب وفى خلال حمايته له رمى من رماه فأصاب مارن أنفه وأحاط بقية المغيرين بالشيخ شار وسقط فى ايديهم لما اصابه ودهاه وكان احدهم احق لو اعطى المرأ مناه ، وحملوه على اعناقهم وودوا لو كان محمولا ، على احداقهم ولما انتهوا به الى نصف الطريق خرجت روحه فوصلوا به قرية العقدة ميتا وفاضت اعينهم عليه بدمع كان دهرا مكتوما ، ومَضوا فى الحزن . . .[2] وروى ان الرامى من

(١) فى الاصل ، قناة سطت صدرة للطعن حتى تقصدت ، فاصلحناه كما هو بعاليه : جرى التنبيه .
(٢) كلمات غير مفهومة .

اضعف العسكر ولو برز له اضعافه لبرزهم وانتصر عليهم :

فالليث أكبر أن يصطاده جرذ والنسر أعظم أن يغتاله خرب

وكان اصحاب الشريف مع شدة الحصار يخرجون الى قرية الجربة وخضيرة للميرة فيكلفون اهل تلك القريتين بايجاد الطعام ويأخذونه منهم وكانت الأخبار تتصل بالأمير فنهاهم عن هذا الفعل ولم ينتهوا فأخرج اليهم اخاه خيرات بن الحسن بجند وفيه من بنى شعبة اقوام فباتوا ليلة خروجهم بنحو قرية المخاضرة وأصبحوا مرتحلين فبينما هم كذلك اذا بصارخ يستغيث بهم على قوم من أصحاب الشريف القاطنين بأبى عريش قد اخذوا على اهل الخبت مواشى فنهض الأمير خيرات ومن معه من الجند وولج الآخرون قبل التحام الحرب وبعد التراثى فأقدم المغيرون غير معولين ودخلوا ابا عريش وركضت خيلهم فى شوارعه وأخال انه استسلم ؟ أهل متراسين من المتاريس وكاد المغيرون ان يظهروا وجاء الخبر الى الأمير فسر بذلك واغتبط وأغار من بنى شعبة الباقين لديه من اغار وربما رام الأمير ان ينهض بنفسه او انه نهض فرحة ومسرة واستقبالا لما قادته السعادة من الفتح الذى يرجوه واقبلت الغارة من القلعة من تلقاء الشريف وقد كان الشيخ مسعود بن جابر نزل عن صهوة دابته آمنا أو كأنه ظن الملكية والظهور فجلس وأحست العسكر اقبال الغارة فخرجوا من القلعة وقبضوا على الشيخ مسعود وأشعلوا نار الفتنة وقامت الحرب بينهم وبين اصحاب الأمير على ساق ورمى[1] اصحاب الشريف فيمن رموا رجلا من بنى شعبة يقال له ابن ابى جميح ففاضت روحه وقيل ان غارة القلعة لم تأت الا وقد قبض الشيخ مسعود وأدبرت اصحاب الأمير بعد مجىء غارة القلعة ادبارا مذموما وتبين ماكان يظن بهم من الثبات موهوما وكان هذا اليوم مشهودا اول خبره مبشر ، وآخره مزعج منذر ، ألبس المسلمون ؟[2] ثوب الكآبة والحزن وظهر منهم ماكان من الغم قد استكن وأوصل مسعود الى القلعة فأمر الشريف بايداعه السجن وبعدها ارسل الأمير اخاه الأمير خيرات الى بندر اللحية لاستنجاز مواد من الامام معونة فى هذا الجهاد وربما ظن ان عزمه كان للمجىء بمدافع ولم يصح وفى بعض ايام الحصار سلمت الطائفة التى ببندر جازان فملك الأمير البندر وفى هذه الأيام اعنى ايام قبض الشيخ مسعود فما بعدها تظاهرت الأخبار بنزول السيد الرئيس حسين بن علي الى البار والمعنق وربما هز من عطف الشريف واصحابه رجاء لكشف الغمة التى ألمت بهم ولم تزل ايادى الرجاء منهم لذلك العارض ممدودة وسحائب ذلك العارض لهم حيال المشرق مسدودة ومن قوة رغبة الشريف فى السعى لذلك الضيق ومبالغته فى ان يجد صاحب صعدة فى الأخلاص له والأنقطاع إليه من طريق ، ارسل ولده ابو طالب بن احمد الى ولده السيد الرئيس خالد بن على كالوثيقة عنده بالمعنق اياما ولم يكن لذلك جدوى ولا نفع .

ولم يزل ينتظر ذلك الموعد ويحرص على صدقها ؟ الحرص الشديد حتى تبين الصبح لذى عينين ،

---

(١) فى الأصل : ورما .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب : البس المسلمين .

ورجعت آماله بخفى حنين ، وكان فى طين خريم[1] بخاء معجمة فراء مفتوحة فياء ساكنة فميم ، زرع فلما أضرت الحاجة بخيل الشريف استمد أصحابه اغاثة لها منه فبلغ ذلك الأمير فأذن للناس فى استهلاكه لئلا يظفر به الشريف وأصحابه وخرج الأمير بنفسه ومعه الجند ارادة لذب أصحاب الشريف عن الأخذ من ذلك الزرع ، وحماية للمتصرف من أصحابه من أهل القرى أن يمسهم أصحاب الشريف بسوء ، وكان ذلك الخروج فى يوم الخميس تاسع عشر من شهر ربيع الأول بعد مضى شهر وثلاثة أيام من وصوله الى العقدة وانتشر الجند وأقدم أولو الحماية من أهل الخيل حتى قربوا من القلعة بنحو ميل فلما رآهم الشريف وأصحابه مع ظهور النقع الذى أثاره وقع فى نفوسهم أن هذا قصداً لهم ، فاستعدوا وخرج منهم من العسكر والفرسان من خرج فالتقى جماعة من عسكر الشريف وجماعة من القبائل التى مع الأمير والتحم القتال بينهم وانهزمت أصحاب الأمير ، فولوا مدبرين واضطرم جماعة من فرسان الأمير وفرسان الشريف وشمرت بينهم عن ساقها وتجالدوا مجالدَة نحو فسر[2] عن مذاقها ولما ظهر بينهم الصراع وظهر الأمير وكان مقيما بعيداً عنهم فحمل بمن معه حملة نكص معها أصحاب الشريف على أدبارهم ورش بحملته على ما أشعلوه من نارهم ، وكان ذلك هو الفرجة وانقَلب أصحاب الشريف مهزومين وأصحاب الأمير مسرورين وقتل من الفريقين نحو خمسة أو ستة وكان هذا اليوم يوما مشهوداً ضيع فيه الأمير الحزم بعد الاكثار من عدة الرمى لظنه أن الحال لا تؤول الى ما آلت اليه ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ، نعم ولم تزل الأحوال للشريف تشد وتضيق ولم يجد الى انفصال ذلك من سبيل ، أو طريق ، فصرح له العسكر الذين صابروا معه وأظن عدتهم نحو سبعمائة بأن لا طاقة لهم بعد هذا الضيق على الاقامة لكن بما قد أسداه اليهم من النعم السابغة ولما يقضى به حق الصحبة الكاملة البالغة ، قالوا له أنت مخير فى ثلاث ، أحداها أن نخرجك مما قد وقعت فيه ونيسرك إلى أى مكان أردت باذلين أنفسنا قبل نفسك وثانيها ان تقدم بنا على هؤلاء الأجناد الذين قد سدوا عنك الطريق للميرة وفعلوا فى جانبك الأفعال الكثيرة فاما أن تظفر بهم واما أن يبلغوا منك قصارى اربتهم ، وثالثها أو تأذن لنا بالارتحال بطيب نفس منك وسكون بال ، وانهم اقتصروا على الأوليتين وان الثالثة ما ذكرت غاب عنى حقيقة ذلك فأخاله طلب المهلة فى ترجيح أحد الثلاثة ثم رجح بعد ذلك الاقدام والقصد لأولئك الأقوام وأمر من فى أبى عريش بالتأهب لذلك والاستعداد وأوعدهم بالتحزب لليوم الذى أراد ، وخرج من القلعة صبح يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع آخر بمن معه من الأجناد متنمراً والحلق الحديد مستشعراً بجأش أثبت من الصخر وعدة تسهل ما صعب من الأمر ، ولسان حاله ينشد مخاطبا لنفسه ومعرفا لها بما هو آيل اليه من الحلول فى رمسه :

أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو طلبت بقاء يوم	على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا	فما نيل الخلود بمستطاع
فان الموت غاية كل حى	وداعيه لأهل الأرض داعى

(١) طين خريم : محراث خريم ، ارض وسد معروفان بهذا الاسم الى وقتنا الحاضر .

(٢) هكذا فى الاصل .

وكان هذا اليوم الرابع والأربعون يوما منذ وصل الأمير الى (العقدة) وكتب الشريف الى الأمير وبني شعبة فى هذا اليوم كتاباً مضمونه انكم توسعون لنا الطريق للمضى فيها وخرج من بأبي عريش من الجند والأمراء فخروجه على حسب ما بينهم من المواعدة وجاء الأمير بذلك الخبر اليقين الذى لا شك فيه يمازجه ولا كذب يشوبه أو يخالطه. وَفْرةُ أجناده وان كثرت ، كما قال له عنت الوجوه تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى. فأخذ فى جمعه للقتال فاجتمعوا للشريف بصفة مؤذنة بالخذلان ومعلنة بعدم الثبات الى الآن ، وصَفُّوا يمانى قرية العقدة وشرقها صفوفا تملأ العين كثرتها وكان بعضهم يتخلل لواذاً من الصفوف وبعضهم يرجع الى موضع اقامته بالقرية يدعى أن له غرضا سيأخذه ويعود وكان الأمير ميسرة الجيش والنقيب سنبل الميمنة وبنو شعبة وأجنادهم القلب وكان الشريف وأصحابه يمشون زحْفا مقْدمين ، وأجناد بنى شعبة يتقهقرون مدبرين ، فلما تراءى الجمع أصحاب الشريف المقبلين من أبي عريش وأصحاب النقيب سنبل ارتموا بالبندق وبعد ارتمائهم نكصت القبائل على عقبها مولية والأمير بموضعه وذو الثبات من بنى شعبة كذلك قد خذلهم أكثر الجيش قبل المصادمة والالتحام، ونطقت لهم ألسنة القرائن بالانهزام وحمل أصحاب الشريف بعد أن ظهرت عليهم قرائن الظفر وأعطاهم العيان من ذلك ما لا يعطيه الخبر ، فولى الأمير وأصحابه ودخل أول جيش الشريف القرية ولما علم صاحب خزانة الأمير بظهور الشريف أحرق البيت الذى كان فيه الأمير على ما كان فيه وصادفه بعض أصحاب الشريف هناك وقتله وأشعل النار فى غيره من البيوت وانتشر أصحاب الشريف فى القرية طلبا للطمع وانكشفت عورات نساء العقدة وسلبن أثوابهن وتبع أصحاب الشريف الهاربين من جيش الأمير وغيرهم فقتلوا من لحقوا وأخذوا من المواشي وغيرها وكان بالقرية أموال جليلة نهبها أصحاب الشريف وانتشر خبر الهزيمة فى قرى وادى جازان فوجم المسلمون وايقنوا أنهم هالكون وخف منهم العقل وطاش وانبثوا على ظهر البسيطة كانبثاث الفراش فكان هذا اليوم مشهوداً شهد معاينه بأن بالمسلمين خسفا نزل أو بأن الساعة قامت ، فالآخر من هذه الآية يتبع الأول وروى أن الشريف كان فى أخريات الجيش ولما اتصل به الخبر بانهزام الأمير وثب فى صهوة دابته وسجد لجهة المشرق شكراً لله وأمر العسكر أن تكف عن تتبع الهاربين وحصل كآبة بأبي عريش وأجاز العسكر فى هذا اليوم ما ينيف على سبعمائة دينار وانتهى الأمير فى أدباره الى قرية (الريان)[1] فلما رأى الرائى أصحاب الشريف المنتشرين للطمع جاء الامير وقال هذا الشريف قد وصل فركب الأمير من فوره لقصد اللقاء بمن بقى معه فتوانوا توانيا لا يظن معه ثبات وصمم على الارتحال خشية من حصول ما هو أعظم مما قد جرى ، وصرف عنان دابته مدبراً وانتهى فى أدباره الى حرض ، وكان من وصل معه الى حرض من الجند لا يبلغون المائتين والخيل نحو العسكر وكل ذلك أقل من العُشر ممن كان مجتمعا بقرية العقدة معه ، وبنو شعبة لما بلغهم انتشار أصحاب الشريف بالوادى ركبوا آخذين فى طلبهم ولم يرجعوا الى الريان الا بعد ارتحال الأمير منه فارتحلوا من فورهم الى مدينة صبيا ، وكان بعضهم أظنه ارتحل فى اليوم الأول والثانى من وصولهم الى الدرب ، والشريف حسن بن غالب كأنه بلغه إدبار الأمير فقعد عما ألزمه به الشريف من النهوض فى ذلك اليوم ، وكان من لطف الله سبحانه عز وجل وحلول بعض الامن من الوجل ان

---

(١) تردد ذكر قرية الريان فى اشعار الشاعر قاسم بن هتيمل -راجع كتابنا « ابن هيتمل » .

أظهر الشريف العفو والصفح عن جميع الناس وصاح بالامان فسكن ما فى القلوب من الفزع ورجع من كان قد فر على سبيل الطوع وكل من اجتمع بالشريف لا يرى عنه الا ذلك الذى ذكرناه من العفو والصفح ، فقرت بذلك العيون وأنست النفوس الى القرار والسكون وبعد أيام أرسل الى صبيا الشريف أحمد بن محمد والياً وقد تجرع معه صاب الحصار وأسلمته فيما يكره الاقدار ، وبعث الأمير الرسل بما يكتب الى الجهات الذى يرجو منها الاغاثة ووجه الى الامام أخاه الأمير خيرات بن الحسن يستنجده ويستمده فخرج من حرض أظنه يوم الربوع ثالث يوم من شهر جمادى الأولى ولما رأيته بعد الاجتماع به فى حرض فى همة العزم أنشدته قول عبادة بن مسلمة معبرا عنه :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

فقال بل لا أقبلن ولما اتصل بالامام الخبر كبر عليه ذلك وأخذ فى توجيه الأجناد والحث فى ذلك بالاقامة والاقعاد وكانت السرايا تصل الى الأمير تترى والشريف مكث الى العشر الوسطى من شهر جمادى الأولى وجهز الشريف على بن حسن ومعه من الخيل ما ينيف على الثلاثين فانتهى الى قرية الحمدي بوادى ليه وكان يغزى القاهرة[1] وقد تفرق أهلها عنها خوفا فألزمهم ارجاع ما يحتاج اليه للطحن ونحوه من النفاعات ، وكان يظل النهار بالقرية ويبيت الليل بعيداً منها ثم توجه الوزير سنبل والسيد أحمد بن حسن المرتضى بجيش وأقاموا بقرية (سامطة)[2] (. . . .)[3] على تلك القريات فأخذوا أطعمتهم والزموا باقامة سوق هناك وكان ما يظهرونه أن الغرض هو افتتاح أرض اليمن وكانت الخيل قد تقصد طرف حرض فأخذوا ما أمكن أخذه وبنا[4] الأمير بذلك الموضع متاريس خوفا من بادرتهم وأخذوا بالحزم ولو أنه فعل مثل ذلك بقرية العقدة لرجا عدم الانهزام واجتمع لديه من الأجناد بحرض ما يكثر قدره ويعسر ضبطه وحصره ، ثم صمم فى يوم من الايام فى آخر شهر جمادى الأولى أو الآخرة على القصد للشريف على بن حسن ومن يليه من الوزير وتابعته جميع أجناده وحمل حملة هى له معتادة فانهزم الشريف على بن حسن وقد كان لما بلغه اقدام الأمير استدعى الوزير فنهض اليه ولما بلغ نصف الطريق عشية ، فوَلَّى مدبراً واندعر جيشه اندعارا عظيما ومروا بقريتهم التى كانوا مقيمين بها هاربين كأن لم يغنوا فيها شيئا بالأمس واضمحل جمعهم الذى كان بعين الاعتزاز مرموقا وزهق ما كاد رجوه من القعقعة أن الباطل كان زهوقا ومات بعضهم من شدة الطرد والظمأ المفرط ونهبت الأموال التى كانت بقرية سامطة وكانت جليلة وكادت ان تضاهى هذه الوقعة وقعة (الْعُقْدة) لولا عموم المصيبة بتلك وخصوصها بهذه ، وبعدها تقاعد من الشريف ريشه وأيقن بالعجز واعمل الفكرة فى كيفية المخلص وضاقت به مسالك الرأى وعاد حَائراً فيما وقع فيه حيرة من أسلمه البغي واستشار بعض أعيان الزمان ممن كان قد قلب له ظهر المجن وكان قد

---

(١) قرية القاهرة غير معروفة فى الوقت الحاضر .

(٢) هذه اول مرة نقف فيها على اسم سامطة فى المخطوطات التاريخية الخاصة بالمنطقة . لان مؤلف كتاب العقيق اليمانى لم يورد اسمها مع ذكره لغيرها من القرى والبلدان ويظهر ان سوق الاثنين الاسبوعى استمر يقام اسبوعيا الى هذا التاريخ فى سامطة .

(٣) كلمة غير مفهومة .

(٤) بنا : كما هى فى الاصل والصحة (بنى) .

حلب الدهر بسطوته[1] وتأدب بصروفه فأفضى اليه حقيقة حاله واستمد منه رأياً يهديه الى حسن ما فيه مآله فقال له ذلك المستشار هل بك طمع فى الامام فقال : لا ، فقال : هل بقى بك طمع فى صاحب صعدة ؟ فقال لا ، وأوقفه على خط صدر منه ان الأهل[2] والأولاد الذين سطت بهم أيدى النوى صاروا فى الطريق مقبلين وقد أذن الامام بفكهم وايصالهم ولا يمكن التحرك للنصرة مع هذا ، ثم قال الشريف للمستشار هل فى أهل هذه القرى نجدة فقال له ما معناه وحاصله انك لا تطمع فيهم لنيل أرب ولا تؤمل نجاحاً لمطلب فقال لِمَ ، قال لأنهم مع ما فى قلوبهم لك من البغضاء وشوكتهم وعمدتهم أمير صبيا وقد علمت ما هم عليه الآن من الضعف ثم قال[3] ان بذلته رجوت خلوصك فقال ما معناه لم يبق عندنا ما ينفع ، لأن لنا أشهرا نخرج ولا ندخل فقال له اذاً ان لا يكن نظرك الا الى الله وحسن ما أضمرته من النية بينك وبينه فقد ضاقت عليك المسالك وأسلمك المقدور ، وصرح له الشريف بأن من بقى من أصحابى لست واثقاً بهم وانهم أول من يمسنى بسوء عند زلة النعل ، وليست اقامتهم من أجلى بل من أجل أغراض لهم خاصة ، وارتحل من لديه المستشار وهو من الفكر فى بحار ، وفى هذا فك الشيخ مسعود بن جابر وكان قد استشار هذا المستشار فى أمره فأشار بفكه ثم تعقب هذا وصول السيد الأجل فخر الدين عبدالله بن محمد المحرابى من عند الامام مأمورا بتجهيز الشريف وتكليفه بما يحتاج وكان ذلك للشريف من السعد وأقام ما كان ان ينهدم عليه من بناء المجد وأقام السيد بحضرة الشريف فوق عشرين يوما يجمع له ما يجهزه من المال والجمال فروى أن الذى صيره اليه من النقد ثلاثة آلاف قرش ومن الجمال نحو المائتين أو اكثر ولما أكمل تجهيزه ارتحل من أبى عريش يوم الثلوث حادى عشر من شهر رجب من سنة خمس ومائة والف وكان مدة لبثه باليمن منذ دخل الى أن خرج ثلاث سنين ونحو عشرة أشهر وأقام بـ(صبيا) يومين ثم ارتحل الى الدهنا ومنها الى الشام يوم الاثنين سابع عشر من شهر رجب المذكور وكان يوم خروجه عند المسلمين من الأعياد نضوا فيه عن أبدانهم غلالة الشوائب والانكاد ، ولبسوا برد النعمة القشيب أغاضة للكائدين والحساد[4] وخرج ممن كان بالقلعة مقيما وخرت على عروشها بعد أن كانت تغص بالأمم وتقصد كلما شأنه يهتم ؟[5] :

قصـور خلت من سـاكنيهـا فـما بهـا ... سـوى البـوم تمشى حـول واقعة الـدمـا
كـأن لم يكـن فـيهـا أنيسٌ ولا الـتقى ... بهـا الـوفـد جمعـا والخميس العـرمـرمـا

ومن غريب صنع هذه الدار ورجوعها على رونق اقبالها بالادبار ان الشريف لما تكمل له اتمام

---

(١) فى الاصل قد حلب الدهر بسطوته واخال ان الصواب وحلب الدهر اشطره وقد ورد ذلك فى قول الاحنف لعلى (ض) قد حجمت الرجل وحلبت اشطره : جرى التنبيه .

(٢) فى الام ، ان الاهالى فى الاولاد الذين سطت بهم أيدى النوى ... الخ) والصواب كما أرجح هو (ان الاهل والاولاد .... الخ) لانه سبق ومن المعروف فى التاريخ ان اهل وابناء امير صعدة رُحلوا من صعدة الى الامام وهم الذين اشار ان الامام فك اسرهم ورُحلوا إليه .

(٣) هكذا الجملة مضطربة آثرنا نقلها كما رسمت فى الاصل .

(٤) فى الاصل للكاهنين والحساد : جرى التنبيه .

(٥) فى الكلمة الأولى بدون نقط وبعدها كلما شانه يهتم : جرى التنبيه .

حلب الدهر بسطوته[1] وتأدب بصروفه فأفضى اليه حقيقة حاله واستمد منه رأياً يهديه الى حسن ما فيه مآله فقال له ذلك المستشار هل بك طمع فى الامام فقال : لا ، فقال : هل بقى بك طمع فى صاحب صعدة ؟ فقال لا ، وأوقفه على خط صدر منه ان الأهل[2] والأولاد الذين سطت بهم أيدى النوى صاروا فى الطريق مقبلين وقد أذن الامام بفكهم وايصالهم ولا يمكن التحرك للنصرة مع هذا ، ثم قال الشريف للمستشار هل فى أهل هذه القرى نجدة فقال له ما معناه وحاصله انك لا تطمع فيهم لنيل أرب ولا تؤمل نجاحاً لمطلب فقال لِمَ ، قال لأنهم مع ما فى قلوبهم لك من البغضاء وشوكتهم وعمدتهم أمير صبيا وقد علمت ما هم عليه الآن من الضعف ثم قال[3] ان بذلته رجوت خلوصك فقال ما معناه لم يبق عندنا ما ينفع ، لأن لنا أشهرا نخرج ولا ندخل فقال له اذاً ان لا يكن نظرك الا الى الله وحسن ما أضمرته من النية بينك وبينه فقد ضاقت عليك المسالك وأسلمك المقدور ، وصرح له الشريف بأن من بقى من أصحابى لست واثقاً بهم وانهم أول من يمسنى بسوء عند زلة النعل ، وليست اقامتهم من أجلى بل من أجل أغراض لهم خاصة ، وارتحل من لديه المستشار وهو من الفكر فى بحار ، وفى هذا فك الشيخ مسعود بن جابر وكان قد استشار هذا المستشار فى أمره فأشار بفكه ثم تعقب هذا وصول السيد الأجل فخر الدين عبدالله بن محمد المحرابى من عند الامام مأمورا بتجهيز الشريف وتكليفه بما يحتاج وكان ذلك للشريف من السعد وأقام ما كان ان ينهدم عليه من بناء المجد وأقام السيد بحضرة الشريف فوق عشرين يوما يجمع له ما يجهزه من المال والجمال فروى أن الذى صيره اليه من النقد ثلاثة آلاف قرش ومن الجمال نحو المائتين أو اكثر ولما أكمل تجهيزه ارتحل من أبى عريش يوم الثلوث حادى عشر من شهر رجب من سنة خمس ومائة والف وكان مدة لبثه باليمن منذ دخل الى أن خرج ثلاث سنين ونحو عشرة أشهر وأقام بـ(صبيا) يومين ثم ارتحل الى الدهنا ومنها الى الشام يوم الاثنين سابع عشر من شهر رجب المذكور وكان يوم خروجه عند المسلمين من الأعياد نضوا فيه عن أبدانهم غلالة الشوائب والانكاد ، ولبسوا برد النعمة القشيب أغاضة للكائدين والحساد[4] وخرج ممن كان بالقلعة مقيما وخرت على عروشها بعد أن كانت تغص بالأمم وتقصد كلما شأنه يهتم ؟[5] :

قصور خلت من ساكنيها فما بها	سوى البوم تمشى حول واقعة الدما
كأن لم يكن فيها أنيسٌ ولا التقى	بها الوفد جمعا والخميس العرمرما

ومن غريب صنع هذه الدار ورجوعها على رونق اقبالها بالادبار ان الشريف لما تكمل له اتمام

---

(١) فى الاصل قد حلب الدهر بسطوته واخال ان الصواب وحلب الدهر اشطره وقد ورد ذلك فى قول الأحنف لعلى (ض) قد حجمت الرجل وحلبت اشطره : جرى التنبيه .

(٢) فى الام ، ان الاهالى فى الاولاد الذين سطت بهم أيدى النوى ... الخ) والصواب كما أرجح هو (ان الاهل والاولاد .... الخ) لانه سبق ومن المعروف فى التاريخ ان اهل وابناء امير صعدة رُحلوا من صعدة الى الامام وهم الذين اشار ان الامام فك اسرهم ورُحلوا إليه .

(٣) هكذا الجملة مضطربة آثرنا نقلها كما رسمت فى الاصل .

(٤) فى الاصل للكاهنين والحساد : جرى التنبيه .

(٥) فى الكلمة الأولى بدون نقط وبعدها كلما شانه يهتم : جرى التنبيه

الغرض فى بناء القلعة حتى كشرت له عن أنياب . . . .[1] القلعة ؟ والزعزعة وقد كان أنفق أموالا فى تخريج أرض واسعة حولها يعدها للحراثة ما بين قطع الاشجار واقامة الاعرام وبذرها فى سنة تخريجها ولم يأت عليها الحصاد حتى جاءه ما ينغصه مما ذكرناه أولا ، من النوائب الشداد فالى مثل هذه الدار يركن عاقل ركب فيه الاختيار ولعمرى انها لكما وصفها ابو الطيب فى شعره السيار :

فذى الدار أخون من مومس ... واخدع من كفة الحابل[2]
تفانى الرجال على حبها ... وما يحصلون على طائل

وروى القاضى فخر الدين عبدالله بن بدر العينى أن المأمون لما حضرته الوفاة جعل يجود بنفسه ويتمثل :

الآن يا دنيا عرفتك فاذهبى ... يا دار كل تشتت وزوال
وقطعت عنك حبائل الآمال ... وحططت عن ظهر المطى رحالى[3]

وما أحسن أول قصيدة أبى الحسن على بن محمد التهامى التى رثا بها ولده وان فيها لموعظة وعبرة :

حكم المنية فى البرية جارى ... ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا ترى الانسان فيها مخبرا ... حتى يرى خبرا من الأخبار
طبعت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الاكدار والأقدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلبا فى الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما ... تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سار

قال فى الغربال فى ترجمته : سجن فى القاهرة ثم قتل سرا سنة ست عشرة وأربعمائة ورؤى فى النوم فقال غفر الله لى ، قيل بأى عمل قال بقولى من مرثية ولدى :

جاورت أعدائى وجاور ربه ... شتان بين جواره وجوارى

اللهم انا نسألك يقينا يوقفنا من الدنيا على هوانها وزهدا يعرض بنا عن وسوسة ابليس فى شأنها ، نعم ووصل الأمير بعد انفصال الشريف من أبى عريش أظنه فى العشر الوسطى من شهر شعبان ثم ارتحل الى مدينة صبيا وربما همَّ بالخروج على القبائل التى فعلت بأهل القرى ما فعلت وجاوزت الحد وتعدت ، فرجح له الترك لمكان الضعف والرِّكَة وشدة القحط النازل بهذه الجهات فتفرقت من لديه الأجناد ولم يتم له بها غرض من ذوى الفساد :

---

(١) جملة غير مفهومة

(٢) فى الام رسمت البيتان على الوجه الآتى :

وذى الدار اخدع من مُومسٍ ... وامكن من كفة الحامل
تفانا الرجال على حبها ... ولم يقفو على طائل

جرى التنبيه .

(٣) فى النسخة الأم : (وحططت عن ظهر المطى لرحال) .

كم فرصة تركت فصارت غصة تشجى بطول تلهف وتندم

ومكث بصبيا الى آخر شهر شوال ثم عاد الى مدينة أبي عريش وفي آخر شعبان أيام الأمير مقيما بمدينة صبيا تظاهر الخبر بترجيح الامام التعمير لقبة الناصر بن الهادى الى الله ووصل الأمير بذلك كتاب ورسالة وقريت على منبر الخطبة يوم الجمعة جهرا وفي ليلة الثالث عشر من شهر ذى الحجة من هذه السنة ليلة الثلوث كان وفاة السيد الجليل العلامة الحجة صارم الدين ابراهيم بن على بن محمد بن الحسن النعمى رحمه الله تعالى هو من بيت، ثمرة أغصان دوحته بالأدب والعلم ، وحَلّ من بيوت الشرف التى بهذا المخلاف كما حل بين النجوم بدر التم ، وكان هذا السيد عظيم القدر بعيد الذكر فاضلا عالما بارعا فقيها نبيها صالحا له أبهة حسنة وسمت حسن وانتهت اليه رياسة الفقهاء بالمخلاف السليماني وحمدت طريقته واجتمع له الوجاهة والحرمة وما يليق بمثله ونالته فى آخر أيامه من النوائب ما يشهد بفضله وكانت له فى الرسائل والانشاءات يد تقدمه على أهل عصره بحسن عبارة وفصاحة لفظ ونباهة معنى وقد ساعده السجع بلى كلفة ، وبيني وبينه مطارحات ولقيته مرارا ثم وقع بيننا ألفة فى آخر أيامه فوجدته سليم الصدر سهل القياد فكه المحادثة ، يحفظ الشواهد والأمثال والقصائد الحسنة ويؤديها بتأدية متقنة مع طبع لين وجانب للمؤمنين هين، وتخرج بالسيد العلامة عماد الأقليم على بن الحسن النعمى رحمه الله ولازمه فى أيام صباه وله فى طلب العلم ترحل واغتراب وكان ذا أبهة حسنة ومركوب فاره ، ونكح غير واحدة من النساء فولد ذكورا وأناثا ومولده سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ودفن بقرية المحلة من بوادى صبيا حيث دفن عمه السيد الامام الحسن بن محمد رحمهما الله واعاد من بركات سرهما وقبل هذه الأيام أظنه فى آخر شهر شوال أوجب الامام الهادى لدين الله على الأمير هدم بناء القلعة فهدمها ومحى[1] محاسنها فشوه منظرها البض وعاد ربعها اسود بعد ان كان ذا بهجة ابيض .

وكأنما برق تألق بالحمى ؟ ثم انطوى فكأنه لم يلمع[2]

وفى آخر شهر ذى الحجة اجتمع قوم نحو المائة وقصدوا أطراف قرية الشقيرى فأخذوا انعاما وقتلوا الرعاة وأغاروا[3] عليهم المغيرون ولم يحصلوا منهم على طائل فتزعزع أهل القريتين مع ما بهم من الضعف والرّكة وقلة الاسلحة وقد كانوا ارتجعوا اليها فى شهر جمادى الأولى والآخرة وبعضهم فى رجب وكان الشريف شهاب الدين احمد بن محمد بعد أن أمره الشريف احمد بن غالب بالعودة الى صبيا متوليا بعد انهزام الأمير بقرية العقدة ، عقد ذمة عامة وأهل هاتين القريتين فيها وكانتا قفرا ، وزعم القبائل الآخذون للمواشى انهما لم يدخلا فى الذمة وكأنهم صمموا على الحيل والغدر فكان ذلك لأهل القريتين من تتمة حوادث الدهر ، فوصل الأمير الشهير عز الدين بن حسن

---

(١) فى الاصل : «محا» .

(٢) البيت من قصيدة مشهورة لابن سينا اولها :

« هبطت اليك من المحل الارفع » . البيت المستشهد به فى الام هو :

وكانما برق تالق بالحما ثم انطفى فكانه لم يلمع

(٣) الصواب واغار عليهم المغيرون .

والشريف الرئيس محسن بن محمد بن حسين اليهما اسعادا لما انفتح عليهما من الفتنة وصمما على الغزو للعدو الفاعل لتلك الفعلة ، بعد ان أخبرهما عينهما أنهما بموضع معين استحسنا أن يقدما الى العدو أهل الخيل ، وكانوا نحو الثلاثين وهما ومن معهما من العسكر يبقون فى موضع بعيدا ردءا لأهل الخيل فلما قرب أهل الخيل من ذلك الموضع المقصود وقال لهم من واجههم ، العدو الذى تقصدونه قد ارتحل من موضعه الذى كان به فرجعوا على آثارهم وأخبروا الأميرين بالخبر فرجعا من غزوهما بغير ظفر وأمسوا ليلة بقرية صلهبة ، ثم توجه الشريف محسن الى صبيا وتوجه الأمير عز الدين الى ضمد ثم الى ابى عريش ولما مضت عشرة ايام أو أكثر اجتمع من الاعداء قوم لا يجاوزون الستين رجلا ، فصبحوا قرية (الخرمة)[1]؟ ثانى يوم النحر وكان اهلها على حال اطمئنان ودعة وغفلة غير مستشعرين حذرا من عدو فلما رأوا العدو سقط فى ايديهم وبهتوا وصدقهم العدو القتل مغتنما لهم ، وخرج من امكنة الخروج وبالغ العدو فى الاستقصا على قتل من وجد من كبير وصغير ؛

ولم يبق الا من حماها من الظبا[2]   لمى شفتيها والثدى النواهد

وجاوز المقتول منهم نحو الثلاثين وخلا ربع تلك القرية واقفر واعقبه سوافى الأرواح وديم المطر ، وبعدهم نهض الشريف الاكرم محسن بن محمد بن حسين لتلافى ذلك الخرق ، ورقع ما يخشى اتساعه منه فقام نحو قرية الملحا ، وحين رأى الضعف النازل بالرعية والركة القوية بحيث لو نكى[3] العدو بما يقدر عليه وانفتح باب الشر فيه لما امكن اغلاقه ، صالح على عقد ذمة اجلها سنة بتسليم مال من المسلمين . ولما تم ذلك عاد الى صبيا ، والناس من ذلك الوقت الى الآن فى ظل تلك الذمة مستظلون ، ولمن عقدها وبذل جهده فيها شاكرون والله تعالى هو المسئول ان يختم بالصالحات الاعمال ويبلغ كل مرض فى رضاه قصارى الآمال وهو المدعو ان . . . . فى هذه الدار . . . الأوزار والأثقال[4] .

قال المؤلف كان له[5] ورقم هذا فى وقت آخر عصر يوم الخميس لعله رابع او خامس من شهر جمادى الآخرة سنة ١١٠٦ هـ ختمها الله بالحسنى .

وتم لى نساخه ؟ ضحوة يوم الربوع عله الحادى والعشرون شهر شعبان الكريم احد شهور الف وثلثمائة وثلاثة وخمسين هجرية ، وأنا الفقير الى عفو الله خادم السنة النبوية عبدالله بن على العمودى غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فى هذا التاريخ ودعا لى ، اللهم اغفر لى وارحمنى ولمشايخى فى الدين وجميع المسلمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . انتهى .

❋ ❋ ❋

---

(١) قرية ، الخرمة ، غير معروفة الآن .

(٢) فى الاصل (الضبا) .

(٣) فى الاصل : نكا ، جرى التنبيه .

(٤) جملة دعائية ختامية غير واضحة الكلمات .

(٥) هكذا فى الاصل .

الحواشی

[١] حاشية على ص ٢٦

« التاريخ »

تعليقات على ما جاء حول مادة التأريخ نورد ما يأتى :

١ ـ التأريخ لغة .
٢ ـ التأريخ اصطلاحا .
٣ ـ التأريخ علميا (أو علم التاريخ) .
٤ ـ التأريخ عالميا .
٥ ـ بداية التأريخ لدى الأمم .
٦ ـ التأريخ العربى قبل الاسلام .
٧ ـ التأريخ فى الاسلام .

عسى ان يكون فى هذا الاستعراض بعض الفائدة جاء فى كتاب مختار الصحاح للجوهرى فى مادة أرخ ما يأتى :

١ ـ أرخ التاريخ : تعريف الوقت بيوم كذا ، أرخ ـ ورخ .
٢ ـ جاء فى لسان العرب أرّخ التاريخ : تعريف الوقت ، والتواريخ مثله أرخ الكتاب من يوم كذا ، والواو فيه لغة ، قال ابن البرزج : (أرخت الكتاب فهو مؤرخ) قال الليث الأرخ بالفتح والكسر ، والأرخ بالفتح : (البقر) وخص بعضهم الفتي منها والجمع أراخ واراخ ، والأنثى أرخة وارخة والأرخ الأنثى التى لم ينز عليها الثيران ، قال ابن مقبل :

أو نعجة من اراخ الرمل أخذلها عن الفها واضح الخدين مكحول

قال الشاعر :

يمشين هونا مشية الأراخ

قال مصعب بن عبدالله الزبيرى الأرخ ولد البقر الصغير ، وأنشد الباهلى لرجل مدنى كان بالبصرة :

ليت لى فى الخميس خمسين عينا كلها حول مسجد الأشياخ
مسجد لا تزال تهوى اليه أم ارخ ، قناعها متراخى

وقيل ان التأريخ مأخوذ منه كأنه شيء حدث كما يحدث الولد ، وقيل التأريخ مأخوذ منه لأنه حديث .

الأزهري : أنشد محمد بن سلام لأمية بن أبى الصلت :

وما يبقى على الحدثان غفر بشاهقة له أمّ رؤوم
تبيت الليل حامية عليه كما يخْرَمّسُ الأرخ الأطوم

قال الغفر ولد الوعل ، والأرخ ولد البقر ، ويخْرَمّسُ : يسكت ، والأطوم الضمَّام بين شفتيه ، الأرخ ولد البقر - وأرخ الى المكان يأرخ أروخا حن اليه ، وقد قيل ان الأرخ من البقر مشتق من ذلك لحنينه الى مكانه ومأواه . باختصار .

وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية أن أصل كلمة تأريخ هو الأصل السامى العام لكلمة ورخ التى يلوح شبحها فى كلمتى ياريخ العبرية التى معناها القمر ، ويريخ التى معناها الشهر ، على هذا القياس يكون معنى كلمة التأريخ هو التوقيت أى تحديد الشهر ثم اتسع نطاق هذا اللفظ فشمل من جهة معنى تحديد حادث ما ، وبمعنى التأريخ ، أى رواية هذا الحادث .

وسيأتى فى آخر هذا البحث فى الفقرة التى بعنوان (التأريخ فى الاسلام) انه معرب من الكلمة الفارسية ماه رووز .

التأريخ اصطلاحا :

قال البيرونى تحت عنوان القول على ماهية التأريخ واختلاف الأمم :
(والتاريخ هى مادة معلومات تعد من لدن اول سنة ماضية كان فيها مبعث نبى بآيات وبراهين ، أو قيام ملك مسلط عظيم الشأن ، أو هلاك أمة بطوفان عام مخرب أو زلزال أو خسف أو وباء مهلك أو قحط مستأصل أو انتقال دولة أو تبدل ملة ، أو حادثة عظيمة من الآيات السماوية[1] . .) الخ .

وجاء فى دائرة معارف وجدى : « علم التأريخ يعرف الانسان مكانه من سلسلة الانسانية ومكانة أمته من الهيئة الانسانية ، وفوق ذلك ، هو محل العبرة ومثار العظات ومصدر العلم والسنن الالهية فى تكوين الأمم واسعادها واهباطها وعلم هذا شأنه جدير بأن يكون فى مقدمة العلوم اعتبارا وفى صدرها اكبارا » .

المعروف تأريخيا ان دراسة التاريخ دراسة واعية تثرى خبراتنا الانسانية وتنمى تجاربنا العلمية والعملية وتجعلنا نعايش أمما ونخالط شعوبا ونزامل حضارات ماضية ومدنيات بائدة وويلات قاستها الانسانية وامتحنت بها الأمم وارتفعت تارة وتدنت اخرى . هذه بعض آراء عن التعريف بالتأريخ كاصطلاح علمى على مسماه .

---

(١) الآثار الباقية ص ١٣ .

ويقول « صاحب تاريخ العالم » الحياة تجرى كما يجرى النهر وتفيض بالحوادث والعبر وهى فى جريانها ترسب فى الوجود طبقات من التجارب والمعارف بعضها فوق بعض وكل طبقة تعتمد على الأخرى وتبلور خير ما فيها وتحسنه وبذلك تفيد الطبقة المستحدثة من الطبقات المتقادمة على ما تجرى به سنن التطور ودفقة التقدم وبقدر ما يتوفر للطبقة المستحدثة من معارف وتجارب الطبقات القديمة ، تكون سرعة النماء والتقدم .

علم التأريخ :

ان كلمة التأريخ كمصطلح على علم هو بطبيعة الحال خلاف علم التأريخ فقد اوردنا عن كلمة التأريخ ما يأتى :

١ ـ كلمة التأريخ لغويا .

٢ ـ كلمة التأريخ اصطلاحا .

والآن نأتى على علم التأريخ :

ان عِلْمَ التأريخ علم كما وصفته دائرة المعارف الاسلامية ، ينطبق باعتباره مصطلحا من مصطلحات الثقافة العلمية على تدوين الحوادث الحولية كما ينطبق على تراجم الرجال وسيرهم لا على تأريخ شامل للثقافة العقلية وعلى هذا يتلخص تصوره عند العرب والفرس فى اربع مراحل :

١ ـ من البداية الى القرن الثالث الهجرى .

٢ ـ من القرن الثالث الهجرى الى القرن السادس .

٣ ـ من القرن السادس الى القرن العاشر .

٤ ـ من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر .

التأريخ عالميا :

نورد لمحة موجزة سريعة عن التأريخ عالميا . فنرى انه منذ خلق الله تعالى الانسان ووعى هذا الانسان فى دوره البدائى من اول التجمعات البشرية فى شبه القرى خط السطور الأولى مجموعة من الأساطير والخرافات يسوغها فى مفاهيمه البسيطة وتصوراته المحدودة مما يعتقده عن القوى الغيبية وتجسدها فى الأنصاب والأحجار التى يعبدها من دون الله وما لها كما يعتقد من القوى والتحكم بزعمه .

ثم جاء دور الوثنية المنظمة بأساطيرها الخرافية فصاغ الانسان فى حدود رؤياه للأشياء ومداركه المحدودة شبه التاريخ شعرا جاشت به عواطفه معبرا عن تصوراته ورؤاه فى شعر يطفح بالمبالغات والتهويل كما ورد ذلك فى القصائد الهندية الموغلة فى القدم وما تلاها من الملاحم الأشورية والأساطير الأولى اليونانية .

وفى ابتداء عصر الملوك كان التأريخ ـ الذى اصبح شأنه مذكورٌ بالنسبة إلى ما سبق ـ مادة سخرها الملوك والفاتحون فى مصر وبابل وأشور وحتى لتخليد امجادهم ومآثرهم وفتوحاتهم ونقشوها على المعابد والهياكل والتماثيل والمسلات .

وجاء دور اليونان التالى بعد ان قطع أمدا فى مشوار حضارته الهيلينية وسجل تاريخه القديم متمثلا فيما قام به (قاد موس) الذى يقال انه أول مؤرخيهم وذلك فى حوالى ٤٥٠ قبل الميلاد .

وجاء بعده غيره من مؤرخين لم يعثر الا على القليل من آثارهم ، واقتفاهم بعد ذلك الرجل الذى اطلق عليه أبو التاريخ وهو المؤرخ (هومير) الذى وسع دائرة التاريخ الذى كان محصورا بالبلدة التى قد حصلت فيها الحوادث أو المعبد التابع لها الى اجواء اليونان وما عرف من البلاد التى حولها ، وتقديرا لمجهوده الفذ كُرِّمَ من مواطنيه بقراءة مؤلفه فى ميدان الالعاب الأولومبية ، اعترافا بعمله الخالد . ثم جاء (بوليب) فجعله علما خاصا فتلقى مجهوده اليونان ، بعد تحضرهم ونهضتهم ، بالتقدير .

ثم ان الرومان قاموا بدورهم الحضارى وفتوحاتهم التى كُونت بها امبراطوريتهم المترامية الأطراف واصبح لهم دورهم العالمى المعروف وبرز فيهم مؤرخهم الشهير (تيتليف) .

وسار التأريخ من بعد ذلك يسير بخطى واسعة وان كانت دون ما وصل اليه بعد عصر النهضة والذى اصبح بعدها التاريخ علما موسوعيا عالميا يشمل هذا الكوكب الأرضى فأقبل المؤرخون على كتب الأقدمين وبالأخص فيما بعد القرن الثامن عشر عصر التحليل والتدقيق والنقد البناء والبحث عن الحقيقة المجردة وقُسم التاريخ الانسانى الى اربعة اقسام :

١ ـ عصر ما قبل التأريخ .
٢ ـ من اول قيام الحضارات القديمة الى سنة ٤٩٥ بعد الميلاد .
٣ ـ من ٤٩٥ ـ ١٤٩٣ م وهو تاريخ فتح الأتراك القسطنطينية ويسمى بتاريخ القرون الوسطى .
٤ ـ التأريخ العصرى وهو سنة ١٤٩٣ م الى هذا التاريخ .

بداية التأريخ لدى الأمم :

كانت الأمم تؤرخ بالكوارث والحوادث الطبيعية الجارفة ، كأن يقال خُلق فلان عند حدوث الزلزال ، أو انفجار البركان المسمى كذا أو سنة القحط الماحق ، وهكذا ولا زال فى البوادى يقولون بمثل هذا ، وفى كتاب تاريخ العقيق اليمانى فى وفيات وحوادث المخلاف السليمانى اشباه لذلك فيقول سنة (أم العظام) ويفسرها بقوله سنة المجاعة التى أفنت الناس وبلغ الحال بأن سحق الناس العظام ، وهى سنة ٩٧٣ هـ ـ ١٥٦٥ م وفى سنة ١٠٣٦ هـ ـ ١٦٢٦ م وقع قحط وهلك ما لا يحصى وأرخ بها الناس فقالوا سنة سَحْبَة[١] .

والأمم عندما تتحضر تعمل لتاريخها بداية تكون نقطة الانطلاق ، ويكون انتشار وشيوع تلك البداية التاريخية بحسب اهمية دورها ، فكان قبل الأنبياء عليهم السلام تكون لوقوع حدث هام ، أو أمر عظيم بالنسبة لتلك الأمة أولا ، ولدورها التاريخى أو الحربى أو الحضارى بالنسبة لمن انسحب عليهم اهمية ذلك الدور أو الحرب أو الفتح مثل :

١ ـ فتوحات أشور ، أو عهد (حمورابى) .
٢ ـ أسر الفراعنة وحروبهم وفتوحاتهم .
٣ ـ موت الأسكندر المقدونى .

---

(١) العقيق اليمانى ـ مخطوط ـ يوجد فى مكتبتى نسخة يرجح انها بخط المؤلف .

وبعد الرسالات السماوية تتمثل فى :

ا ـ رسالة موسى عليه السلام بالنسبة الى التاريخ اليهودى .

ب ـ ميلاد المسيح عليه السلام .

جـ ـ هجرة رسول الله ﷺ .

وهذا على سبيل المثال والاختصار لا الحصر والاستيعاب .

التاريخ العربى قبل الاسلام :

لم يصل الينا من الحضارات العربية البائدة الا ما قصه الله تعالى علينا فى القرآن الكريم من اخبارهم التى فيها عظة وعبرة .

أما تاريخهم المفصل وحضاراتهم وثقافاتهم وحروبهم وآثارهم الحضارية أو الثقافية فلم تصل الينا ، وقد يكون رهن طبقات الثرى حتى يهيىء الله لعلماء الآثار فى المستقبل اكتشافها .

واليمن الشقيق ودوره الحضارى المعروف من آثارهم الخالدة المتمثلة فيما هو ظاهر من بقايا السد وآثار القصور أو فيما اكتشف من النقوش والنقود والتماثيل والحلى ، الا ان كل ذلك لا يعطينا تاريخا بمعنى كلمة التاريخ ، مرتبا على السنين والوقائع والأحداث مثل تاريخ الفراعنة او اليونان أو الرومان أو تاريخنا الاسلامى الهجرى ، فمثلا : لا يعرف الباحث متى ابتدأ الدور الحضارى فى دولة مَعين على وجه التحديد من تاريخ يمنى عام . وكلما عرف من تاريخ ملوكهم فى دول قيتبان وويسان ومعين وسبأ لم يبن على وجه التحقيق ، حتى ان المكتشفين والباحثين لم يتفقوا على ترتيب اسماء ملوك تلك الدول أو تاريخهم على وجه التحقيق .

أما بالنسبة الى عرب وسط الجزيرة وشمالها وشرقها الشمالى فيما قبل الهجرة بـ ١٥٠ سنة تقريبا فمعروف ما تخلله من الفتن والحروب القبلية واعتماده على الوقائع كمقتل كليب وحرب داحس والغبراء وأيام حرب الفجار وعام الفيل مبنى على الرواية لا التاريخ الزمنى المرتب المكتوب .

التأريخ الاسلامى :

بعث الله محمد بن عبد الله النبى الأمى بالهدى ودين الحق فدعا الناس فى مكة عشر سنوات ولم يستجب الا القليل فأذن الله له بالهجرة التى اراد الله أن تكون المظهر الساطع والمنطلق الوضاء لدين الاسلام فأسلم الأوس والخزرج وتوافد المسلمون من المهاجرين واتسعت دائرة الاسلام فى المدينة ولم يحدد بداية تاريخية وكان المسلمون فى المدينة على عهد رسول الله ﷺ الى ان انتقل الى الرفيق الأعلى يسمون كل سنة من السنوات العشر التى عاشها فى المدينة كما يلى :

١ ـ السنة الأولى سنة الأذان .

٢ ـ السنة الثانية سنة الأمر بالقتال .

٣ ـ السنة الثالثة سنة التمحيص .

٤ ـ السنة الرابعة سنة الترفئة .

٥ ـ السنة الخامسة سنة الزلزال .
٦ ـ السنة السادسة سنة الاستئناس .
٧ ـ السنة السابعة سنة الاستغلاب .
٨ ـ السنة الثامنة سنة الاستواء .
٩ ـ السنة التاسعة سنة البراءة .
١٠ ـ السنة العاشرة سنة الوداع .[١] .

وأخال أن بعد موته ﷺ وما بعدها كان يقال السنة الأولى من وفاة رسول الله وكذا السنة الثانية والثالثة وهكذا . الى عام سبعة عشر من الهجرة من خلافة عمر الذى بدأ التاريخ الهجرى ويستحسن هنا أن نرجع لما جاء فى كتاب الآثار الباقية للبيرونى : « وانما خص هذا الوقت بذلك ـ يقصد الهجرة ـ دون المولد والمبعث والوفاة لأن عمر بن الخطاب على رواية ميمون بن مهران لما رفع اليه صك محله فى شعبان فقال عمر : أى شعبان ؟ الذى نحن فيه أو الذى آت ؟ ثم جمع صحابة رسول الله ﷺ فاستشارهم فيما دهمهم من الحيرة من أمر الأوقات وقالوا يجب ان نتعرف الحيلة فى ذلك من رسوم الفرس فاستحضروا الهرمزان واستعلموه ذلك ، فقال ان لنا حسابا نسميه (ماه روز) حساب الشهور والأيام ، فعربوا (ماه روز) فقالوا مؤرخ ، وجعلوا مصدره التأريخ وشرح لهم الهرمزان كيفية استعمالهم ذلك وما عليه الروم من مثله ، فقال عمر لأصحاب رسول الله ﷺ ضعوا للناس تأريخا يتعاملون عليه ، فقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يكتبون على تاريخ الاسكندر فقيل انه يطول فقال الآخرون اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام ملك منهم طرح التاريخ ممن قبله فاختلفوا فى ذلك فروى الشعبى أن أبا موسى الأشعرى كتب الى عمر بن الخطاب انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ وقد كان عمر دون الدواوين ووضع الأخرجة والقوانين واحتاج الى تاريخ ولم يحب التأريخات القديمة فجمع عليه عند ذلك واستشار فكان أظهر الأوقات وأبعدها من الشبه والآفات وقت الهجرة وموافاة المدينة وكانت يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول وأول السنة يوم الخميس فعمل عليها وأرخ منها ما احتاج اليه وذلك فى سنة سبع عشرة للهجرة . (انتهى) .

❊ ❊ ❊

(١) الاثار الباقية ص ٣١ .

[٢] حاشية على ص ٢٧

« أحمد بن غالب البركاتى »

(أحمد بن غالب) هو الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن تولى امارة مكة عام ١٠٩٩ هـ ـ ١٦٨٨ م وأزيح عنها فى عام ١١٠١ هـ ـ ١٦٩٠ م وتوجه الى اليمن ثم أقام على امارة المخلاف الى ١١ رجب سنة ١١٠٥ ـ ١٦٩٤ م أى أربع سنوات ، وعاد الى الحجاز ولم تطب له الاقامة بمكة فتوجه الى تركيا وتوفى بها سنة ١١٠٦ ـ ١٦٩٥[١] .

جاء فى كتاب تاريخ مكة (. . . وما كاد يستقر أمره ـ الضمير يعود الى شريف مكة سعد بن زيد ـ حتى جاءت الأخبار من جنوب البلاد بأن أحمد بن غالب هاجم الليث ، وانه فى طريقه الى مكة فاستعد لملاقاته ، الا أن أحمد ما لبث أن كتب اليه يستأذنه فى سكنى مكة بدون قتال ، فأذن له بذلك ، فأقام ببستانه فى الركاني قريباً من مكة)[٢] . انتهى ولم يشر الى غير ذلك .

يقول المؤلف (ووصل أحمد بن غالب الى حضرة الامام فى رداع العرش . . فقام الامام بحقه قياما تاما ، واستعان بالامام واستنصره على أعدائه بمكة المكرمة الذين تمالئوا على عزله) .

الى هنا والكلام معقول جداً أمير استنجد اماماً مجاورا بعد أن أزاحه منافسه أو منافسوه وخذلته الدولة التركية الحامية للبلاد وذات السيادة على الحجاز .

ان ولاية أحمد بن غالب الذى هو من الفريق الثانى من أشراف آل بركات ، ودائما يتبادلون مركز شرافة مكة مع الفريق الآخر آل زيد ، وكان احمد بن غالب قبل توليته الامارة له ثِقله ومكانه فى فريقه ، وفى مقدرات شئون مكة ، وممن يرشح نفسه شخصياً لمركز الامارة فكيف وصل اليها ؟ على أثر اختلافات بين الاسرتين معروفة فى كتب تأريخ مكة سار مغاضباً الى ينبع ومن هناك أخذ فى الاتصالات بوالى (مصر) وبَذْلَ الرغائب . وهى عادةٌ جارية تكون صلة الوصل أو جواز المرور لمن يتطلع لذلك المركز من الأشراف ونجحت المساعى وأثمرت الاتصالات ، وصدر أمر والى مصر لأداة التنفيذ ، والى جدة ، الذى اليه أمر القوة التركية فى الحجاز .

فتحرك ـ تنفيذاً للأمر ـ والى جدة وضمها الى القوة التى وصل بها أحمد بن غالب من ينبع وشرعا باجراء سلسلة من التدابير السريعة ، أمر على أثرها المنادين وهم أناس يوكل اليهم باذاعة الأوامر فى الأسواق وأماكن التجمع ـ بالمناداة بامارة أحمد بن غالب وان ذلك بموجب مرسوم الدولة بواسطة والى مصر .

---

(١) الاعلام الزركلى ـ مادة (١) .

(٢) تاريخ مكة للسباعى الطبعة الاولى ص ٢٧٦ .

وبعده سارت قوات الأتراك والأمير فى آخر شهر رمضان ١٠٩٩ هـ - ١٦٨٨ م الى قرب مكة وشدَّدت الحصار ووالت الضغوط الحربية والسياسية والنفسية على الأمير سعيد بن سعد بن زيد وعندما شعر أحمد بن غالب أن تلك الوسائل والمحاولات حققت الكثير ، ونالت من معنوية الأمير المقاوم ، وأفقدته مناعة الاحتمال ومعنوية قوة المقاومة ، استغل الوضع سياسياً وكتب رسالة اليه يطلب منه حقنا للدماء ، ومحافظة على الأرواح والأموال وصونا لكرامته يرجوه مغادرة مكة ، فغادرها .

على أثر مغادرة سعيد بن سعد دخل أحمد بن غالب مكة فى موكب الظافر ، أما تركيا التى لا ترى أهمية لمركز تولى شرافة مكة الا بقدر ما يرضى الفريق القوى من أسرة الأشراف وبالأخذ برأى - أو فى الأغلب برأى والى مصر الذى فى الأكثر يكون والى جدة من التوابع الدائرة فى فَلَكِه .

ان والى مصر كتب لوالى جدة بولاية أحمد بن غالب ورفع للسلطنة راجياً الموافقة على ذلك ، والأمور كلها مبنية على المصالح والميول الشخصية ، وكل والٍ يتولى مصر يكون له أصدقاء فى البلاط الهميونى وفى ديوان الصدر الأعظم - كما يسمون رئيس الوزراء - وبناء على ما رفعه والى مصر الى الدولة عن ولاية أحمد بن غالب فقد وصل المرسوم السلطانى فى شهر القعدة فى السنة نفسها - أى أن أمر طلب الموافقة استغرق أكثر من شهر ونصف تقريباً - والمبررات والحيثيات فى مرفوع والى مصر والذى بنى عليه المرسوم السلطانى هو : بناء على اتفاق الأشراف على تأمير أحمد بن غالب فان الدولة توافق على ذلك .

فى حال أن ما بنى عليه رفع والى مصر ووافقت عليه الدولة غير الواقع وغير الصحيح والدليل على ذلك هو أن أُسر الاشراف فى كل تأريخها الطويل لم يثبت التأريخ أنها اتفقت بالاجماع على تولية أمير على مكة ، وانما الصحيح أن الترجيح يكون لمرشح الجانب الأقوى ومن بعد ذلك يمكن المرشح أن يتولى الامارة بالرسم الشكلى ويستعمل أساليب الترضية أو المشاركة أو الاستمالة بشتى طرقها أو كلها معا حتى لا يبقى الا من يكون المرشح قادرا على ارغامه أو ابعاده أو تصفيته .

على كل حال فقد حصل بعد وصول المرسوم - فى شهر القعدة ١٠٩٩ هـ - ١٦٨٨ م الهدوء الذى يسبق العاصفة فشغل الخصوم بحركة موسم الحج الذى قد حان وقته وقرب أمده ، وطالما جعل فى تلك الأثناء من حلوله تغطية لمؤامرات وحركات من قبل الأشراف المنافسين على الامارة أو من الأتراك أنفسهم وفى التأريخ على ذلك شواهد كثيرة .

وها هو انقضى موسم الحج فى أول شهر محرم من العام الجديد ١١٠١ هـ - ١٦٨٩ م وتطل الفتنة اللاهبة والخلافات الساخنة بين أحمد بن غالب وأكثر جماعته على الوجه الآتى :

١ - أعلن ذوو زيد مخالفتهم ونادوا بتأمير مرشحهم محسن بن الحسين بن زيد ومعه جماعة استمالوهم من العامة والقبائل .

٢ - أعلن ذوو عبدالله (العبادلة) مخالفتهم وساروا مع من استمالوه من القبائل الى القنفذة ليجعلوا منها المنطلق لثورتهم ومن هناك قاموا بقطع الطرق واعتراض سبل القوافل السائرة الى مكة .

٣ - أعلن جماعة حركتهم وأعلنوا تأمير أحد أولاد مبارك بن شبير[1] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٤ .

وترتب على تلك المخالفات والتحركات والتحزبات قطع الطرقات وانفراط حبال الأمن ووقوع الاضطرابات والفوضى فى الحجاز ، من المدينة المنورة شمالاً الى حلى بن يعقوب جنوبا ، واستمرت الحالة على ذلك الى شهر رجب ١١٠١هـ ـ ١٦٩٠ م الذى فيه قوى جانب ذوى زيد ومن استقطبوه معهم من مرتزقة القبائل وعامة الناس فتمكنوا من السيطرة على مركزى الطائف وينبع ، لهذا استجابت الدولة التركية لصوتهم ، ومالت فى جانبهم فأيدهم والى مدينة جدة ، واتخذ اجراءاته التقليدية فأمر المنادين برفع أصواتهم فى أسواق جدة بتأمير مرشحهم (محسن) ونادى فى عسكره بالسير من جدة الى مركز التجمع الذى أرتأى أن يكون فى (الزاهر) .

وكانت تمثيلية طبقا لمسرحية أحمد بن غالب مع سعيد بن سعد .

وتحت الضغوط الحربية والسياسية والدعائية التى انهارت تحت وطأتها معنوية أحمد بن غالب والتى ختمت بالفصل الأخير المتمثل فى الرسالة التى بعثها محسن انسحب أحمد بن غالب من المجابهة وغادر مكة فى ١١٠١/٧/٢٢هـ ميمما وجهه نحو الجنوب ومن هناك الى اليمن للاستنصار بإمامها .

فهل كان سبق تمهيد لهذه الوفادة واتصالات بينه وبين الامام وثق بها أحمد بن غالب وتقدم على ضوئها للاتفاق الشخصى والتفاهم على استلام قوة يعود بها أم أنها كانت رحلة بديهية بدون مسبقات ولا اتصالات .

لقد سبق لمحسن بن حسين رحلتين الى اليمن فى زمان الامام المؤيد[1] وامامة اليمن فى زخم قوتها وعنفوان تطلعاتها ، وتوجساتها المحسوبة من رجوع الأتراك وأما الآن فالامامة فى حال من القناعة ، بمركزها المضعضع من الاضطرابات الداخلية وتوالى الثورات والفتن وما يلوح من مطامع الدول الأوروبية فى خيرات جنوب الجزيرة وبالاخص من الانجليز والفرنسيين والهولنديين الذين اخذوا بدورهم ينافسون البرتغال فى السيادة وتجارة الشرق بل وتفوقوا على البرتغال وأصبحت ترى مع العداء المزمن بينها وبين الاتراك أن قرب وجودهم فى الحجاز صمام أمان من قوة اسلامية ضد مطامع دول غير مسلمة ولها مطامع تتضاءل معها كل الشرور التركية .

كان الامام المهدى يعرف ما عليه أحمد بن غالب من الشجاعة والجرأة والاقدام ، والتطلعات الشخصية والآمال العريضة ، وانه لم يلجأ اليه كأمير غلب على امارته محدود القناعات يرضيه مباركة الامام بالاستيلاء على امارة أى منطقة كعامل من العمال ، فهو فى رحلته تلك يحمل معه طروحاته المستقبلية وطموحاته الآنية .

مع ما أحاط به نفسه من موكب يسايره من الحجاز الى (رداع العرش) عاصمة الامام ، من :

١ ـ الخيل الجياد يمتطى صهواتها فرسانه المدججون بالسلاح والحلل الفاخرة .

٢ ـ الركائب الفارهة المزدانة بالأكوار وغمارقها واخراجها (حقائبها) .

٣ ـ حاشية كبيرة تحف به فى حله وترحاله .

٤ ـ خيام وفساطيس من أحسن الفساطيس والخيام التركية .

٥ ـ حرس وموالى ورعيان وساسة للخيل .

---

(١) راجع الدراسة والتمهيد فى المقدمة بعنوان : الحالة فى الحجاز ص ١٢ .

كل ذلك يوحى للنفس بجلال القدر وعلو المكانة ، وبهذا المظهر الكريم والموكب النبيل قدم الى الامام ، أما المطلب والغاية فهما تختصران فى أكبر من طلب المساعدة لاعانته على استرداد امارة مكة بل تتجاوزها الى أبعد من ذلك بكثير جدا ، فمما أورده المؤلف الفاضل :

١ ـ استنصاره بالامام على أعدائه فى الحجاز أى أمير مكة وتشتمل هذه العبارة على أسرة آل زيد والوالى التركى على الحجاز وأعوانه ووالى مصر الذى كانت ولاية الحجاز مرتبطة به اداريا ، الذين تمالئوا على عزله .

٢ ـ التلويح والالماع للامام بتملك[1] الحجاز ومصر والشام اذا استجاب لامداده بالجيوش وتموينها وامدادها وهذا مطمح بعيد لم يفكر فيه الذى قبل الامام هذا الملقب بصاحب المواهب ـ الذى فى عهده قد تصدع بنيان الامامة القاسمية فى اليمن ونخر السوس فى قوائم عرشها ، بل بعيد قبل ذلك حتى لم يلوح ـ كما يترجح ـ فى تفكير الامام الثانى محمد بن القاسم (المؤيد) الذى تمكن من طرد الأتراك من آخر معقل لهم فى اليمن وامتداد سلطانه على عموم تهامة اليمن أو على طموحات الامام الثالث المتوكل اسماعيل الذى توسع ملكه أبعد من ذلك ، وامتد سلطانه الفعلى كأول امام من أئمة اليمن ، كما سمى بعد ذلك فى عهد الاستعمار البريطانى ـ بالمحميات التسع ، ومنها عدن ولحج ويافع ـ والواحدى وغيرهم الى حضرموت سهله وجبله .

وهذان الامامان على ما بلغه عنفوان سلطان عهدهما عرفا بدربتهما السياسية وحنكتهما الادارية ، اكتفيا بالسلطة على جنوب الجزيرة فقط ، ولما أراد المؤيد الاستجابة لمساعدة بعض أمراء مكة ضد الأتراك الذين كان لهم ـ آنذاك ـ حامية هزيلة محصورة فى زبيد تصدى لجيشه القائد التركى وتحرك بقوته من (جدة) فهزمه قرب بلدة دوقة[2] ، مما جعله لا يفكر فى محاربة الأتراك مستقبلا والاكتفاء بمجاملتهم سياسيا وبتحصين مواقعه الدفاعية داخليا .

فكيف الآن بعد مضى نحو ٥٥ سنة والأتراك بالنسبة الى العهد الذى سبق ، هم الآن فى موقف أقوى وقد استعادوا معنوياتهم وتطلعاتهم واعتبارهم اليمن ضمن البلاد التى تشملها سيادة وسلطة الخلافة العثمانية .

ومع ذلك فموقف الامام موقف متضعضع الأركان منذ توليه فقد قامت الثورات فى وجهه من جميع الجهات ومنافسوه من أسرته ومن رئيس همدان ومن الثائر المحطورى وقريبه أمير صعدة ، فهو أضعف من أن يؤمل فى ملك الحجاز المصاقب له فضلا عن الاستيلاء على مصر والشام .

أما أحمد بن غالب فكل ما يشغل تفكيره فى الحقيقة ، لا أكثر من استعادة امارة مكة فان تمكن من ذلك بالقوة التى يؤملها من الامام لدحر خصومه من ذوى زيد فالوالى التركى أول من يباركه ويتملقه والخلافة العثمانية مستعدة أن ترسل له الخلعة ومرسوم التأييد باسم شرافة مكة .

وصل أحمد بن غالب الى الامام المهدى والذى لم تمض عليه فترة طويلة فى الامامة وقد ثار عليه من أسرته غير واحد فالامام محتاج الى النصير من أى طرف كان ، لهذا رأى فى ذلك بعض ما يخدم

---

(١) راجع ص ١٢ من هذا الكتاب .

(٢) راجع الدراسة التمهيدية فى المقدمة ص ١٣ .

سياسته فكتب له الى عماله بامداده بمجندين وجنود وأوعز اليه بأن يتولى ، أو يستولى على المخلاف السليمانى ليكون شوكة مؤلمة فى جنب صاحب صعدة فيحتل جبال رازح التابعة لصعدة والمطلة على المخلاف السليمانى فاذا أراد صاحب صعدة غزو صنعا فبإحتلال أحمد بن غالب جبال رازح يمكنه من قطع خط الرجعة عليه ويهدد قاعدته صعدة بطريق أيسر وتصبح تهامة اليمن مُؤمن جناحها الشمالى من جهة المخلاف السليمانى .

وأحمد بن غالب يرى فى استجابة الامام لبعض مأموله خطوة أولى الى ما بعدها فسيكون له فى منطقة المخلاف السليمانى قاعدة مهمة تحادد الحجاز مباشرة يمكنه منها :

١ ـ الاتصال بالانصار والأهل والقرابة والحلفاء والموالى .
٢ ـ تجنيد جيش فى المستقبل ان تأخر الامام عن امداده بجيش .
٣ ـ قد يتاح له أن يستقل بها ويجعلها عمقا لامارته متى تمكن من استعادة امارته .
٤ ـ لا بأس فى الوقت الحاضر من اكتساب عطف الامام وتأييده الى فترة مناسبة .
٥ ـ يمكنه آنياً أن يظهر الاخلاص للامام بمجاراته له فى عداء أمير صعدة ومصاولته أو محاربته حتى يحصل على ثقة الامام فى هذه الفترة .

٦ ـ ان أحمد بن غالب عندما يشعر بعدم تحقيق الامام لمطامحه أو تبرمه من بقائه فى المخلاف السليمانى فلا مانع حينئذ فى سياسته أن ينضم الى والى صعدة ، أو غيره ضد الامام .

هذا ما نخاله كان ينطوى عليه أحمد بن غالب ـ وقد حققت الأيام كل ما أوردناه فبعد ان تأزم الموقف مؤخرا بينه وبين الامام اتصل بصاحب صعدة وعرض عليه طاعته وضم أمر المخلاف السليمانى الى امارته وأن يربط هويته به كما كان مع الامام وهذا كله قد تحقق ، وانما صاحب صعدة هو الذى تأخر من الاستجابة لسياسة أحمد بن غالب وقد تكون له ظروفه ومواقفه وسياسته بعدم ادخال شخص بعيد عن الأسرة والمنطقة فى مجال سياسته العائلية ونفوذها ومركزها الزمنى والروحى .

كان الامام يعلم علم اليقين صعوبة ازاحة أحمد بن غالب عن امارة المخلاف بعد أن ترسخ أمره ويتوقع كل شىء من أحمد بن غالب من القتال الضارى أو من الانفصال عنه أو الانضمام الى صاحب صعدة ، وتوظيفه كل ما فى وسعه من التدابير والحيل والمكائد الا أن الامام كان أثبت مكانة وأوسع حيلة وأحكم مكيدة ، ولهذا استغل نفور أهل المخلاف من حكمه وكراهيتهم لظلمه وعداء بنى شعبة له ولا يبعد أن الامام كان يغذى هذه العداوة ويشجع بنى شعبة ، ثم وظف الامام كل ذلك ومنها خصومة الأمير المخلافى عز الدين القطبى ، فان أهل المنطقة اليه أميل ، وله أحب فاتخذ من ارساله الى المنطقة وسيلة لابعاد أحمد بن غالب ، وأمده بالجيش والعتاد والمؤن وكتب له رسائل الى وجهاء وشيوخ المنطقة .

لقد علم احمد بن غالب بارسال الامام للامير عز الدين القطبى ، فعاد من غزوته التى قد استعد بها لغزو بنى شعبة ، واخذ من ساعة رجوعه فى استكمال تحصينات قلعة جازان الاعلى وشحنها بالارزاق والمقاتلة استعدادا للصمود وكتب الى امير صعدة باستعداده لتسليمه المنطقة واستقباله لجيشه .

وبعث برسله وكتبه الى الامام راجيا تأخير الأمير عز الدين - راجع ص ٦٨ من الكتاب وانما الامام كان احصف وادهى منه فأجابه على رسائله مطمنأ ومعاتبا فقط ولم يُشِر الى عزله من الامارة ، وفى نفس الوقت يأمر الامير عز الدين بالتقدم على المنطقة ، وعندما وصل الامير عز الدين الى (حرض) واصبح على حدود المخلاف السليمانى بعث الامام مندوبه الحاج محمد التركى مستطلعا ومحاولا عرض ما يشبه التطمين ، - راجع ص ٦٧ -

وبعودة المندوب الى الامام واستكمال تجهيز القوة التى من الامير عز الدين واتمام تهييج الرأى العام فى المنطقة ، كل ذلك وان كان احمد بن غالب قد صرح لمندوب الامام باستعداده للرحيل فان الامام يدرك ان احمد بن غالب يعمل معه بنفس طريقته وسياسته .

اما الامام فقد اطلق سراح عائلة ابن عمه امير صعدة المحتجزين لديه ، وكان فى ذلك ما يجعله يثق ويطمئن على عدم تمادى ابن عمه ، ومن ناحية اخرى يُوالى الضغوط الحربية والسياسية والاجتماعية على احمد بن غالب حتى نالت من نفسه القوية ، ومعنويته الرفيعة ، واصبح فى خضم دوامة من الحرب الفعلية والنفسية ، يمد يده للتمسك بقشة النجاة فبعث اليه الامام مندوبه عبدالله المحرابى فوصل فوجد احمد بن غالب جاهز الاستجابة للرحيل فساعده على ذلك . وفى الكتاب ما يغنى عن الاطالة .

❊ ❊ ❊

[٣] حاشية على ص ٢٧

« الامام الناصر لدين الله »

الامام الناصر لدين الله محمد[1] هو محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم ولد سنة ١٠٤٧ هـ - ١٦٣٧ م وتوفى سنة ١١٣٠ هـ - ١٧١٧ م ، تولى الامامة سنة ١٠٩٧ هـ - ١٦٨٦ م بعد موت سلفه الامام محمد بن المتوكل الملقب بالمؤيد وهو الذى وفد اليه احمد بن غالب البركاتى كما سبق فى الحاشية رقم [٢]

تولى هذا الامامة سنة ١٠٩٧ هـ - ١٦٨٦ م وثار عليه كثيرون من المعارضين من اقاربه وغيرهم فاستطاع القضاء على خصومه واحدا بعد الآخر حتى تغلب على جميع معارضيه وأشهر المعارضين :

(١) عمه الحسن
(٢) القاسم بن حسن
(٣) ابراهيم المحطورى
(٤) على بن احمد
(٥) يوسف بن المتوكل
(٦) الحسين بن الحسن بن القاسم
(٧) الحسين بن عبد القادر بن الناصر

وفى احدى الثورات التى قامت عليه ضرب الثائرون نطاق الحصار على مقره من كل جانب وانما استطاع بقوة عزيمته وجرأته الفائقة الهجوم المباغت بما لديه من الجنود فى القصر واخترق نطاق الحصار وتشتيت جموعهم ثم تعقب فلولهم واسر قادتهم ورؤساءهم وزج بهم فى السجون وقتل بعضهم وبذلك اذعنت لامامته البلاد ، وكان اشد الثورات التى قامت فى وجهه ثورة قريبه عامل صعدة الأمير على بن احمد فى سنة ١١٠٢ هـ - ١٦٩١ م وقد فصلنا ذلك فى الحاشية رقم (٦) ، وكذا ثورة الثائر ابراهيم المحطورى سنة ١١١١ هـ - ١٦٩٩ م .

ويقول العلامة الشيخ الشوكانى : (كان سفاكا للدماء بمجرد الظن والشكوك وقد قتل عالما

---

(١) الامام الناصر لدين الله محمد بن احمد بن الحسن بن قاسم ، وهو - كما يقول مؤلف كتاب الادب اليمنى ص ١٢ - صاحب الكنى الثلاث « المهدى » و « الناصر » و « الهادى » ويلقب بـ « صاحب المواهب » وهى بلدة قريبة من مدينة « ذمار » .

بذلك السبب وكان يميل الى اهل العلم ويجالسهم ، ويتشبه بهم ، وربما قرأوا عليه ولم يكن عالماً ولكن يتظاهر بالعلم فيساعده على ذلك علماء حضرته رغبا ورهبا ، وله مؤلف سماه ـ الشمس المنيرة ـ فى مجلد لطيف وقفت عليه وفيه نقل مسائل من مؤلفات جد ابيه الامام القاسم ولكنها غير مرتبة ولا منقولة على اسلوب ، بل لا يدرى المطلع على ذلك الكتاب ما موضوعه ولا ما غرض مؤلفه ، وسبب ذلك كون مؤلفه ليس من العلماء .

ومع ذلك فكان يقرأه عليه جماعة من كبار العلماء وليس فى موسوعهم نصحه ولا تعريفه بالحقيقة)[1] .

ويقول عنه صاحب تاريخ عدن حمزة لقمان : عرف بسفك الدماء والتنكيل بخصومه وشهر بصاحب المواهب[2] نسبة الى قرية المواهب بلدة تبعد عن مدينة ذمار بكيلو مترين .

❊ ❊ ❊

(١) البدر الطالع للشوكانى ص ٩٨ جـ٢ .
(٢) تاريخ عدن لحمزة لقمان ص ١٤٨ .

[٤] حاشية على ص ٢٧

«القاسم بن محمد المؤيد»

لم نجد له ترجمة فى نيل الوطر ولم يشر صاحب البدر الطالع لسنة مولده وكل ما أورده عنه انه قام بدعوة الامامة سنة ١٠٨٧ هـ - ١٦٧٦ م ولم ينجح فبايع المهدى أحمد بن الحسن وعند وفاة المهدى سنة ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م قام للمرة الثانية ودعا الى نفسه ولم يوفق فبايع المؤيد بالله محمد بن المتوكل وأخيرا بايع لصاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن وظل فى جبل شهارة حتى استراب فى امره صاحب المواهب فسجنه نحو ١٠ سنين ثم أفرج عنه وأمره بالاقامة الاجبارية بصنعا حتى ادركته الوفاة سنة ١١٢٧ هـ - ١٧١٥ م .

❊❊❊

[٥] حاشية على ص ٢٧

« الحسن بن اسماعيل المتوكل »

ولد فى جمادى الآخرة سنة ١٠٥٤ هـ ـ ١٦٤٤ م فى بلدة شهارة وتلقى معلوماته على يد علماء عصره وتولى امارة صعدة فى عهد أبيه بدلا عن اميرها ابن عمه احمد بن على الا ان الأخير تمكن من استقطاب رجال القبائل واستعاد امارته بالقوة فانسحب الحسن الى والده ، وتولى عدة امارات آخرها امارة شمال تهامة اليمن فى عهد الامام المهدى محمد بن احمد .

وبعد عودة احمد بن غالب من حضرة الامام اقام لديه فى مركز امارته بوادى مور فترة نحو شهرين ثم وَالى سيره الى المخلاف السليمانى وبعد رحيل احمد بن غالب ساءت العلاقات بين الحسن بن المتوكل والامام وتخوف الحسن من عزله او القاء القبض عليه فتوجه بصورة سرية مع عوائله بحرا الى الحجاز ومكث هناك نحو خمسة اشهر ويظهر ان ما كان يأمله من مساعدة الاتراك الذين يظهر انه اتصل بهم فلم يحققوا امله او لم يجدوا فيه الشخص الذى يساعدهم فيما يخدم سياستهم فى اليمن ، ويقول صاحب العقد المفصل عن المذكور ما خلاصته (عمل الحيل فى خلوصه منهم وبلغ انه من جملة ما بذل فى تخليصه خنجرا ثمينا مرصعا بالجواهر حتى تمكن من الرجوع الى اليمن بحرا فمر من ميناء جازان فمنعه احمد بن غالب من النزول الى المدينة فوالى سيره الى مدينة اللحية وابقى عوائله هناك ورحل الى الامام مستميحا عطفه بالعفو عنه فلم يقابله وسمح له فقط بالاقامة فى مدينة ذمار فاستدعى عائلته وظل هناك الى ان ادركته الوفاة) .

❊ ❊ ❊

[٦] حاشية على ص ٢٧

«الامير على بن احمد بن قاسم»

الأمير على بن احمد بن القاسم : ولد سنة ١٠٤٠ هـ - ١٦٣٠ م نشأ فى بيت الامامة والمجد وتلقى العلم على اكابر علماء عصره حتى تمكن من المعارف من فقه وبيان وبلاغة وقواعد وغير ذلك من العلوم ، كان والده احمد بن القاسم اميرا على بلاد صعدة من قبل اخيه الامام اسماعيل المتوكل واستمر مع والده فى صعدة وعندما توفى والده سنة ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م اسند اليه عمه المتوكل امارة صعدة فاحسن السياسة والتدبير ، ومجاملة عمه ومواصلته الزيارة بين الفينة والفينة وشعر بعد ذلك بترشيح عمه الامام لابنه الحسن بن اسماعيل ، فثار وخلع طاعة عمه ودعى لنفسه للامامة ودخل صعدة ظافرا بعد انسحاب ابن عمه مهزوماً ونشب القتال بينه وبين عمه واخيرا اقره على امارة صعدة ، وقنع منه بالطاعة الاسمية والخطبة والسكة وظل على ذلك حتى توفى عمه المتوكل وقام الامام المهدى محمد بن احمد بن حسن بن القاسم بالامامة فبايعه على الصفة السابقة التى كان يتعامل بها مع عمه .

وبعد وفاة الامام المهدى دعا لنفسه بالامامة للمرة الثانية ثم سويت الامور وبايع لقريبه الامام الجديد المؤيد محمد بن المتوكل الذى اقره على امارة صعدة .

وبعد وفاة المؤيد وتولى الامام المهدى محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم خلع طاعته ودعا لنفسه وتلقب بالداعى وسار من صعدة جنوبا على رأس جيش قوى واستولى على ما بين صعدة وصنعا وضرب نطاق الحصار على العاصمة صنعا .

الا ان صاحب المواهب المهدى رجل المواقف المعروفة فى كيفية تفويت الفرص على خصومه عرف كيف يشترى ضمائر قادة خصمه ويفرق الجموع الملتفة حوله بالمال ، وشعر احمد بن على بما يدبر فانسحب مسرعا بالعودة الى صعدة معقله الحصين ، فتعقبه جيش الامام بقيادة ابنه اسماعيل وارغمه على الخروج من صعدة الى البادية .

فاستقر الامير على بن احمد فى بادية صعدة واستنخى القبائل والانصار وكر على صعدة وهاجمها هجوما صاعقا انتهى بقتل قائد الامام ابنه اسماعيل وتشتيت جيشه واستمر على امارة صعدة حتى ادركته الوفاة فى جمادى الاولى سنة ١١٢١ هـ - ١٧١٠ م .

❊❊❊

[٧] حاشية على ص ٢٨

« القاضى يحيى بن إسماعيل الجبارى [١] »

نسبة الى جبارة قرية من قرى مغرب عنس فى جهة ذمار ، اخذ العلم عن والده وعن القاضى محمد بن صلاح الفلكي وغيره ، وبعد انتهاء دراسته تصدر فى وطنه للتدريس ثم ولى القضاء فى غير جهة من الجهات وآخرها ولى أشغال وظيفة قضاء ابى عريش التى توفى بها فى ربيع الأول سنة ١١٠٢ هـ - ١٦٩٠ م .

❊ ❊ ❊

(١) ملحق البدر الطالع ص ٢٢٩ .

[٨] حاشية على ص ٢٨

«مدينة مور»

مدينة وادى مور من تهامة اليمن تسمى (الجامعى) بصيغة النسبة الى الجامع الذى يجتمع فيه الناس لصلاة الجمعة ، وكانت لها اهميتها الادارية والسياسية ويكون حاكم وادى مور الذى هو اعظم اودية تهامة واكثرهم سكانا تكون ادارته فى تلك المدينة وكذا شيخ شمل قبائل الوادى ، وظل الحال على ذلك حتى اسس حمود ابو مسمار الحسنى مدينة الزهرة وجعلها العاصمة الثانية بعد عاصمته الرئيسية فى موطنه مدينة ابى عريش ومن ذلك التاريخ فى النصف الثانى من الثلث الاول من القرن الثالث عشر تضاءلت مكانة بلدة الجامعى واصبحت الزهرة هى مقر ادارة الحاكم الادارى لوادى مور وما يليه .

❊ ❊ ❊

[٩] حاشية على ص ٢٩

« المعتمد بن عباد »

ابو القاسم محمد بن المعتضد بالله عباد بن الظافر اللخمى الاشبيلى الاندلسى صاحب قرطبة واشبيلية ، ولد سنة ٤٣١هـ ، خلف ابيه على الملك سنة ٤٦١ هـ - ١٠٦٩ م ، وتوفى فى ١١ شوال سنة ٤٨٨هـ .

كان المعتمد من اكبر ملوك الطوائف فى الاندلس واكثرهم بلادا ، تقلبت به الامور والاحوال فى مملكته حتى تغلب عليه يوسف بن تاشفين وقبض عليه وقيد بالقيود ورحله فى سفينة مع اهله الى مراكش وذلك فى ٢١ من رجب سنة ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م وبوصوله اليها أمر بارساله الى بلدة (اغمات) وظل معتقلا بها الى ان ادركته الوفاة .

والبيتان من قصيدة قالها وهو فى سجنه عندما دخل عليه بناته وكن يغزلن للناس بالاجرة ، فرآهن فى اطمار رثة وحالة سيئة بعد ما كن يرفلن فى الدمقس والحرير فقال قصيدة استهلها بالبيتين المذكورين وبعدها الابيات الآتية :

برزن نحوك للتسليم خاشعة ... ابصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

ومنها ايضا :

لاخد الا ويشكو الجدب ظاهره ... وليس الا مع الأنفاس ممطورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا ... فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به ... فانما بات بالاحلام مغرورا

❊ ❊ ❊

[١٠] حاشية على ص ٣٠

« المعنق »

بفتح الميم والعين المهملة بعدها نون مثقلة مفتوحة وآخرها قاف على اسم المفعول من المضعف ، كانت فى القرن الحادى عشر معقلا مهما للأمراء آل القطبى بعد خراب قاعدة امارتهم مدينة جازان الأعلى ولاتزال به آثار بعض معاقلهم ، وموقعها فى بلاد قبيلة بنى الحرث .

وتردد اسمها فى تاريخ المنطقة بالأخص فى القرن الحادى عشر وهى فى الوقت الحاضر قرية صغيرة وموقعها شمال دار النصر ـ راجع خارطة وادى خلب فى كتابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان .

❋ ❋ ❋

[١١] حاشية على ص ٣٠

« الأمير عز الدين بن الحسن بن عز الدين القطبى »

من أمراء القطبة ـ راجع تاريخ امارة هذه الأسرة فى الجزء الأول من كتابنا المخلاف السليمانى الطبعة الثانية ص ٢٦٩ جـ ١ ـ تولى امارة المعنق فى جهة بلاد الحرث بمساعدة أمير صعدة على بن أحمد الذى قام بثورته على الامام محمد بن أحمد المهدى وملك قسما من اليمن ثم انسحب بعد فشل حملته الى صعدة فقام أحمد بن غالب بمهاجمة بلدة المعنق فقاومه عز الدين حتى وصلت النجدة من أمير صعدة بقيادة ابنه قاسم بن على بن أحمد فحسن له التقدم على أحمد بن غالب فتقدم حتى دخل إلى أبى عريش فأرغمه أحمد بن غالب على الانسحاب من أبى عريش فظل عز الدين على امارته فى المعنق وعندما شعر بضعف حالة أمير صعدة . صالح أحمد بن غالب ثم وفد عليه فلم يجد منه مايأمله فرحل الى الامام محمد بن أحمد المهدى فأبقاه لديه فى عاصمته لوقت الحاجة .

وعندما تأزمت الأمور على أحمد بن غالب فى المخلاف السليمانى جاءت حاجة الامام على عز الدين فجهزه بجيش لكونه من أبناء المنطقة وان الامارة كانت فى أسرته وان أحمد بن غالب لم يحسن السياسة ، أو يكون شعر من امتعاض الأتراك من ايوائه أحمد بن غالب فأحب التخلص منه بتلك الطريقة .

فوصلت الحملة الى حرض بقيادة الأمير عز الدين القطبى وتقدم بعدها الى قرية العقدة وظل فى كر وفر مع أحمد بن غالب حتى انتهى أمر أحمد بن غالب بالتوجه الى الحجاز فرجع الخواجيون الى امارة صبيا وظل هو فى امارة وادى جازان الى أن أدركته الوفاة .

❊ ❊ ❊

[١٢] حاشية على ص ٣٠

« البـــار »

« البار » على وزن اسم الفاعل بفتح الباء الموحدة بعدها الف وأخرها راء : تعرف فى وقتنا الحاضر قريتان باسم « صاحب البار » احداهما بقرية « صاحب البار الأعلى » والأخرى بقرية « صاحب البار السفلى » قد تكون هى أو هما مما ذكر باسم « البار فى ذلك التأريخ » - راجع كتابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان حرف الصاد .

❊ ❊ ❊

[١٣] حاشية على ص ٣١

« قبيلة بنى شعبة »

من أشهر قبائل المخلاف السليمانى شجاعة ونجدة وبسالة ـ راجع ماكتبناه عن هذه القبيلة فى كتابنا الأدب الشعبى الجزء الثانى ـ من ص ١٣ الى ص ٥١.

وصل أحمد بن غالب الى المنطقة كأمير فى شهر صفر سنة ١١٠٢ هـ ـ ١٦٩٠ م وبعد وقوفه ضد عامل صعدة الثائر على الامام المهدى شعر بأن فى امكانه القيام بغزوة تأديبية لبعض نجوع تلك القبيلة التى لم يلمس منها الخنوع أو الخضوع لطاعته ، فبعث سرية بقيادة أخيه حسن بن غالب ووزيره سنبل وعندما وصلت السرية قرب نجعهم فى الصندلين الذى كانوا يرعون فيها مواشيهم شرق قرية الملحا لم يأخذ قائدا السرية الحزم واليقظة وكان ذلك النجع قد علم بتحرك السرية فاستعد واستنجد بحلفائهم من قبائل الحزون وتربص للسرية حتى اذا دنت هَجَّدها ليلا فى سرعة وتصميم ومباغتة وقتل أو غنم بعضا من جنودها واسلابها فانسحبت السرية عائدة وكان الأمر لدى قائديها بعد انتهاء مهمتها التوجه الى صبيا .

فوصلت الى صبيا تحديا لأميرها محمد بن أبى طالب الخواجى وتمهيدا لضمها ـ الذى قد أخذ أحمد بن غالب فى العمل سياسيا له ـ وتحريضا وتشجيعا للعناصر المناوئة لأميرها والذين كانوا على اتصال بأحمد بن غالب .

ان هزيمة نجع بنى شعبة وحلفائهم للسرية نفخت فيهم روح التحدى والجرأة على سلطة أحمد بن غالب .

فى تلك الأثناء وصل احد شيوخ بنى شعبة المسمى محمد بن جابر الرزيقى مظهرا لأحمد بن غالب أن عشيرته لاتوافق بنى شعبة على العصيان فقربه وأدناه فبقى لديه أملا فى أن يستميل بقية شيوخ بنى شعبة الا أن هزيمة سريته شجعت غيرهم فنرى أن مهدى خواجى من سكان قرية السلامة ، اغتصب فرسا على رجل من بنى حبيب فوصل الحبيبى شاكيا على أمير صبيا فاستدعاه أمير صبيا فرفض ، فأرسل الى السلامة عددا من الجنود لاحضار مهدى خواجى فوصلوا الى بيته ، فلم يجدوه فأخذوا الفرس ، وبعودته الى بيته علم بالواقع ولحق الجند والتحم معهم فى قتال أسفر عن قتل خمسة جنود وخشى بعد ذلك من مغبة فعلته فاستنجد ببنى شعبة فوصل بعضهم إلاّ أن أهل قرية السلامة لم يشاركوا مواطنهم الخواجى وأرسلوا رسلهم الى الأمير أحمد بن غالب للترضية فانسحب من وصل من بنى شعبة الى ديارهم ، ومع ذلك أظهر أحمد بن غالب الرضا لوجهاء قرية السلامة ثم نقض وغزاهم غزوة تأديبية .

كان أكثر قبائل الحزون حلفاء لبنى شعبة يغزون معهم فى التعديات على القرى والنهب والسلب تارة وأخرى يغزون تحت قيادة شخص أو شخصين من بنى شعبة ومن هذه القبائل قبيلة فى شرق وادى ضمد تسمى دعجان . وقبيلتان من قبائل بنى الغازى هما « آل عمر » و « آل حسن » - انظر الحاشيه رقم ٢٢ ، ٢٣ .

بعث أحمد بن غالب سرية لتأديب تلك القبيلة ومعها محمد بن جابر الرزيقى الشعبى وجماعة من أصحابه ، فوصلوا الى موطن تلك القبيلة فوجدوهم رحلوا فتقدمت السرية لغزو قبيلتى (آل عمر) و (آل حسن)[1] وهم من حلفاء بنى شعبة فأخذ محمد بن جابر فى تثبيط قائد السرية عن غزوهم حتى استطاع اقناعه بالعودة وقرب قرية الشقيرى أشار على قائد السرية بالاستراحة وأخذ قسطا من النوم ، وفى أثناء الليل والسرية تغط فى نومها انسل هو وجماعة ولحق ببعض قومه . وحلفائهم فى بنى الغازى .

زاد غضب الأمير أحمد بن غالب على بنى شعبة وأخذ فى التهديد والوعيد فأحب بنو شعبة أن يظهروا له اللين فبعثوا وفدا ظاهره طلب المصالحة وغايته معرفة ما انطوى عليه وبوصول الوفد اشترط أحمد بن غالب للعفو عنهم مايأتى :

١ - احضار بعض أشخاص كرهائن تكون لديه .
٢ - تعويضا عن خسائر وديات قتلى وقعة الصندلين .
٣ - تعويضا عما نهب على الرعايا من قبل غوازيهم .

أظهر الوفد الرضا والقبول وأن يقنعوا القبيلة للاستجابة لمطالبه ، وبوصولهم الى أصحابهم اتفق الرأى على رفض شروطه .

بعد مضى شهر دخل الشيخ محمد بن جابر وشيخ آخر من شيوخهم مدينة صبيا فألقى عامل صبيا القبض على الشيخ محمد بن جابر وأرسله الى الأمير أحمد بن غالب فى أبى عريش .

ظل فى سجنه فاستشفع أخوه على بن جابر ببعض أقارب أحمد بن غالب فتظاهر بقبول الشفاعة وطلب غرامة تتمثل فى اعداد من الأنعام فاحتمل على بن جابر الغرامة وبعد أيام أقبل ومعه أعداد منها ، وبوصوله بها أمر أحمد بن غالب بأن كل من يعرف أنعامه يأخذها بعد أن انتقى هو خيارها ، وقال لعلى بن جابر هذه هى أنعام الناس التى نهبتها قبيلتك أعدناها لأصحابها فانصرف .

وفى شهر جمادى الأولى سنة ١١٠٤ هـ - ١٦٩٣ م غزى جماعة من بنى شعبة قرية الحسينى فهزمهم أهل الحسينى وأسروا قائدهم وسلموه لعامل صبيا فصلبه .

فاستشاط غضب بنى شعبة وأخذوا فى الاستعداد لغزو أهل الحسينى ، وفى فجر يوم الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ١١٠٤ هـ - ١٦٩٣ م هجموا على قرية الحسينى وبقدر ماحاول المقاومة أهل الحسينى الا أن الكثرة غلبت الشجاعة فأحرق الشعبيون قرية الحسينى ونهبوا ماوجدوه .

كانت تلك الغزوة أول غزوة على ذلك المستوى أفرزت تحديا سافرا للسلطة ومنطلقا فى التسلط على قرى المخلاف الشمالى والتجول بين القرى فى مظاهرات حربية وفرض ضيافتهم على الناس

---

(١) ستعرف أثناء قراءة الكتاب ان الكثير من قبائل الحزون - جمع حزن ، ضد السهل - كانت تشترك مع قبيلة بنى شعبة فى غاراتهم وتعدياتهم مثل قبيلة « النحوس » وغيرهم .

وعلاوة على ذلك همّوا بمهاجمة مدينة صبيا فتحزب أهلها وعندما شعر بنو شعبة بالجد نكصوا على أعقابهم ، عند ذلك اشتد غضب أحمد بن غالب وغيظه فأمر عامل صبيا وعامل المحلة وعامل الشقيرى بالتقدم على غوازى بنى شعبة وحلفائهم من قبيلة النحوس وغيرهم فهزمهم بنو شعبة .

زادت هزيمة سرايا أحمد بن غالب ببنى شعبة وحلفائهم صلفا وجرأة فزاد تسلطهم على القرى أكثر من المرات السابقة فهجّدوا وصبّحوا ونهبوا القرى الآتية :

١ ـ قرية قوز الجعافرة .
٢ ـ قرية الدهنا .
٣ ـ قرية الاثلة .
٤ ـ قرية العدايا .

فعم الخوف والخراب القرى الشمالية من بيش الى صبيا فأضحت ميدانا لتحركات ومناورات بنى شعبة وحلفائهم الى ١٧ من ذى القعدة سنة ١١٠٤ هـ ـ ١٦٩٣ م الذى تحرك فيه بنو شعبة بجموعهم وهاجموا مركز القائد سنبل فى قرية الشقيرى فانسحب مهزوما الى مولاه أحمد بن غالب فى قلعة جازان الأعلى فى ٢٣ من ذى القعدة عام ١١٠٤ هـ ـ ١٦٩٣ م .

تحرك بنو شعبة من الشقيرى نحو صبيا ونهبوا ما أمكنهم نهبه كما أغاروا على قرية صلهبة ونهبوها .

وفى أول شهر محرم سنة ١١٠٥ هـ ـ ١٦٩٣ م قام بعض وجهاء المنطقة فى السعى بالصلح بين الأمير أحمد بن غالب وقبائل بنى شعبة وحلفائهم على الشروط الآتية :

١ ـ اطلاق سراح الشيخ محمد الرزيقى .
٢ ـ دفع مبلغ رمزى من بنى شعبة .
٣ ـ يفرض أحمد بن غالب لبنى شعبة معاونة على القرى لما سيدفع لأحمد بن غالب . وافق أحمد بن غالب فرفض بنو شعبة وانتهى الموضوع على هدنة مدتها شهران ثم استأنف بنو شعبة وحلفاؤهم الغزو والنهب على القرى الممتدة من بيش الى ضمد فنزح أهلها ناجين بما بقى معهم الى الغابات والجبال وغير ذلك ، كما أن القرى الجنوبية والغربية احيق بها ما احيق بالقرى الشمالية وأحمد بن غالب قابعا فى وادى جازان الأعلى .

وأخيرا جمع ما استطاع من قوة وخرج بطريق الحزن الى شمال صبيا فبلغه نزول الأمير عز الدين فرجع الى قلعته فى جازان الأعلى ووقوع القتال بينه وبين عز الدين الذى انتهى برحيله الى الحجاز .

***

[١٤] حاشية على ص ٣٣

« ابيات شعر صخر بن عمرو بن شريد السلمى »

البيت لـ (صخر بن عمرو بن شريد السُلمى) من قطعة شعرية معروفة ، اولها :

أرى أم صخر لاتمل عيادتى — وملت سليمى مضجعى ومكانى
وماكنت اخشى ان اكون جنازة — عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بامر الحزم لو استطيعه — وقد حيل بين العير والنزوان

والسبب لقوله انه غزا قوما وغنم وسبى فادركوه بذات الأثل فاقتتلوا فطعن صخر فى جنبه ودخلت حلقة من حلق الدرع إلى بطنه ونجا فمرض نحو سنة حتى ضجر أهله من تمريضه ، فسمع ذات يوم امرأته تجيب على سائلة عنه ؟ : لا حيّ فيرجى ولاميت فينعى فتناول سيفه ليضربها فلم يستطع فقال الأبيات .

وفى رواية ان سائلة أخرى سألت نفس السؤال امه فأجابتها ؟ بخير ونرجو شفاءه قريبا والبيت من الشواهد المعروفة ، ومن الذين استشهد به العالم اللغوى ابو احمد العسكرى الذى كان الصاحب بن عباد يتوق للقياه والاجتماع به ، الا انه يعلم اباءه واعتزازه بمكانته وعلمه وتمنعه لو دعاه للقدوم اليه ، فدبر الصاحب امراً يستوجب توجهه الى مدينة (عسكر مكرم) معتقداً انه اذا علم ابو احمد قدومه سوف يزوره ، فوصلها فعلا وانتظر زيارة ابى احمد ولم يفعلها ابو احمد فكتب اليه الصاحب رسالة وشفعها بالابيات الآتية :

ولما أبيتم ان تزوروا وقلتموا — ضعفنا فلم نقدر على الوخذان
اتيناكم من فرط ارض نزوركم — وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قِرَى لنزيلكم — بملء جفون لا بملء جفان

فأجابه الشيخ على الرسالة وشفعها بالابيات الآتية :

أروم نهوضاً ثم يثنى عزيمتى — تعوذ اعضائى من الرجفان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما — تعمد تشبيهى به ، وعنانى
اهم بأمر الحزم لو استطيعه — وقد حيل بين العير والنزوان

وللقصة بقية تركناها رغبة فى الايجاز .

[١٥] حاشية على ص ٣٣

« خضـــيرة »

قرية خضيرة قرية من قرى وادى ضمد ـ راجع كتابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان فى حرف (خ) ـ وهى ترسم فى المخطوطات (بالضاد) وقد وردت فى ص ٩ من المخطوطة (بالظاء) فنقلناها كما وردت فى ص ٣٣ من هذا الكتاب ، ثم وردت فى المخطوطة بعد ذلك (بالضاد) ويظهر ان كتابتها (بالظاء) سهوا ، ومعروف ان خضرا على وزن حمرا التى تصغر على حميرة ، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقب عائشة رضى الله عنها بالحميرة .

❊ ❊ ❊

[١٦] حاشية على ص ٣٥

« خلـــب »

« خُلَب » وادٍمن اودية المنطقة ـ راجع خـريطة هـذا الوادى فى ص ١٧٠ من كتـابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان ويظهر مما اشار اليه المؤلف ان هذا السوق الذى اسسه احمد بن غالب فى شوال ١١٠٣ هـ ـ ١٦٩٢م هو سوق الاحد الذى لايزال يقام اسبوعيا الى تاريخنا الحاضر .

❊ ❊ ❊

[١٧] حاشية على ص ٣٦

« الامراء الخواجيون »

الامير حسين بن احمد بن حسين الخواجي تولى امارة صبيا بعد وفاة والده الامير احمد بن حسين بن عيسى الخواجي فى نهاية شهر القعدة سنة ١٠٢٦ هـ - ١٦١٧ م، فنازعه اخوه عز الدين بن احمد الذى ادركته المنية وشيكا فاستقر الامر لـ (حسين) نحو سبع وعشرين سنة ، وكان عهده بالنسبة الى وادى صبيا يتسم بالهدوء الى ان توفى سنة ١٠٥٣ هـ -١٦٤٣ م .

اما عهد الامير ابى طالب بن محمد وابنه محمدابن ابى طالب فأخبارهما مبثوثة فى مضامين هذا الكتاب .

واما ما ذكره المؤلف رحمه الله عن الامير احمد بن حسين ، وانه أول قائم منهم - بالامر - فقد يكون هذا سهوا من المؤلف الفاضل ، والا فان اول امير من هذه الاسرة - كما اورده صاحب كتاب العقيق اليمانى - مخطوط - فى حوادث سنة ٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م هو عيسى بن حسين بن عيسى ابن ابى القاسم الخواجي ، وخلفه ابن اخيه دريب بن مهارش بن حسين بن عيسى ابن ابى القاسم الخواجي - راجع الفصل الخاص بالامراء الخواجيين فى جـ١ ص٣٠٠ وما بعدها من كتابنا المخلاف السليمانى - الطبعة الثانية .

وقد ظلت امارة صبيا فى (الخواجيين) الى ان ازالها عنهم (آل خيرات) فى آخر النصف الاول من القرن الثانى عشر - راجع ٣٩٠ و٣٩٥ من المصدر نفسه .

❊ ❊ ❊

[١٨] حاشية على ص ٣٦

« قانصوه »

قانصوه هو القائد التركى الذى وصل يقود حملة من مصر الى اليمن لنجدة الحامية التركية المحصورة فى زبيد من قبل جيوش الامام المؤيد محمد بن القاسم وقد فشل فى مهمته وعاد الى مصر بطريق الحجاز سنة ١٠٤٥ هـ - ١٦٣٥ م .

❊ ❊ ❊

[١٩] حاشية على ص ٣٦

« أحمد بن محمد بن لقمان »

احمد بن محمد بن لقمان بن احمد بن شمس الدين بن الامام المهدى احمد بن يحيى المتوفى فى ٩ من رجب سنة ١٠٣٩هـ - ١٦٣٠م من اسرة ائمة اليمن ومن علمائها البارزين ومن قادة الجيوش فى عهد الامام المؤيد محمد بن القاسم قام بالتدريس فى جامع مدينة شهارة ومن مؤلفاته المعروفة :

١ ـ شرح الكافل .
٢ ـ شرح كتاب الاساس للامام القاسم .
٣ ـ شرح كتاب التهذيب للتفتازانى .
٤ ـ كتاب تعليق على المفصل .
٥ ـ تعليق على الفصول اللؤلؤية وغير ذلك .

❊ ❊ ❊

[٢٠] حاشية على ص ٣٦

« ضياء الدين اسماعيل المحلوى »

نعته صاحب كتاب العقيق اليماني ـ مخطوط ـ بالفقيه العلامة والاديب الكاتب المنشأ اسماعيل بن محمد بن عبدالقادر المحلوى ـ تولى كتابة ديوان أمير صبيا أحمد بن حسين الخواجى ثم لأولاده من بعده ـ توفى ١٠٥٤ ـ وكان والده الفقيه العلامة محمد المحلوى شيخ العربية فى عصره فى تهامة ويقول صاحب العقيق اليماني (لا تجد احدا من أهل العربية بجهة تهامة الا وللفقيه محمد المحلوى عليه مشيخة أو نحوها) وطال عمره فتأدب عليه عالم لا يحصى جيل بعد جيل وكان ملازما المسجد فى صبيا للتدريس والفتوى والعبادة والطب حتى لقى ربه فى ١٠٢٥ هـ وقد ترجمنا لهما فى كتابنا التاريخ الأدبى للمخلاف السليمانى ـ منطقة جازان ـ المعد للطبع ـ بحوله تعالى ـ .



[٢١] حاشية على ص ٣٧

« الرنف »

اشرنا فى المادة المعنونة بـ (تقييم الكتاب) ص ٤ عن قرية اوموضع يسمى (الرَّنف) بأعلى وادى جازان ، وهى بطبيعة الحال غير بلدة الرنف المعروفة فى تهامة اليمن ، ومع ما قمنا به من البحث والتحرى رغبة فى تحقيق الموقع فقد اعيانا البحث وعسى فى المستقبل ان يتاح لنا او لغيرنا معرفة المكان .

❋ ❋ ❋

[٢٢] حاشية على ص ٣٧

« قبيلة دعجان »

لم نجد قبيلة فى مجموع قبيلة او قبائل بنى الغازى أو من يجاورها تعرف ـ فى وقتنا الحاضر ـ باسم قبيلة دعجان بقدر ما اتصلنا ـ بكل من لهم معرفة بتلك الجهات حتى من نفس قبيلة بنى الغازى ، وانما توجد بقعة ، قرية فى جنوب بلدة العارضة بثلاثة كيلو مترات تسمى الدعجانية قد تكون نسبت الى تلك القبيلة التى قد تكون اندمجت فى غيرها من القبائل .

وعدا اولئك نجد عددا من قبائل الحزون والسهول ـ فى المنطقة ـ تنضوى تحت لواء قبيلة بنى شعبة وتغزو معهم او تحت قيادتهم مثل « الشرفا » و « آل حدره » و « النحوس » وبعض من قبيلة بنى الغازى ، والعارضة وغيرهم .

❊ ❊ ❊

[٢٣] حاشية على ص ٣٧

« آل عمر وآل حسن »

تردد اسماهما فى هذا التأريخ واشتراكهما فى الغزو مع قبيلة بنى شعبة ، فى حال أن المؤلف ذكر فى ص ٩٩ ما يفهم منه ان جباهم بوجه وادى ضمد ـ اى المرتفعات التى يجرى بها وادى ضمد ، وبسؤال من له معرفة بتلك الجهات ومن بها من القبائل ، ـ اضافة الى معرفتى الشخصية ـ فقد افادنى السيدان موسى بن يحيى المعافا ، واحمد بن محمد غزوانى بأن (آل عمر وآل حسن هما من قبائل بنى الغازى ، وانه لايزال منهما عشيرتان معروفتان فى بنى الغازى ، الى هذا التأريخ) .



[٢٤] حاشية على ص ٤٣

« الزرائب »

« الزرائب » بالزاى المثقَّلة بعدها راء مهملة فألف فياء مهموزة وآخرها باء موحدة ، كما جاء فى مفيد عُمارة ص ٥٤ (وجبل عكاد فوق مدينة « الزرائب » وهى الوطن الذى ولدت فيه) ، الخ ـ راجع ص ٢٩٨ من كتابنا المعجم الجغرافى لمنطقة جازان الطبعة الثانية طبع دار اليمامة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ وبعد الطبع والينا البحث فأفادنى « على حمود المحائلى » كاتب امارة المضايا ، والذى سبق له ان اقام فى جبل الحشر فى وظيفة كاتب الامارة هناك عشر سنوات بأن فى جبل مصيدة مما يلى جبل الحشر ، ضلعين سامقين يسميان العكوتين ـ وهى بالطبع غير العكوتين اللتين شرق شمال جخيرة من قرى الحسينى ـ وبأحد الضلعين « بقعة » ـ ضيعة ـ تحتوى على عدد من المساكن تسمى « الزرائب » وقد أكّد لى ذلك بيان من شخصية مسئولة بعدد قرى تلك الجهة وفى مسمياتها بقعة « الزرائب » واخال انها هى بلدة عمارة ، وسوف بحوله تعالى نوالى البحث والتحرى ونشير الى ما يتحقق فى الطبعة الثالثة بحوله تعالى .

❊ ❊ ❊

[٢٥] حاشية على ص ٤٣

« القاسم بن على بن هتيمل الضمدى الخزاعى »

شاعر المخلاف السليمانى فى القرن السابع ، وهو الثالث من المشاهير بعد أبى الحسن على بن محمد التهامى وعمارة الحكمى فى الشهرة وذيوع الاسم وانما لم يسافر عن خارج الجزيرة العربية مثل على بن محمد التهامى وعمارة ولهذا ظل شعره محصورا ومتداولا فى جنوب الجزيرة العربية فقط .

كان كثير الترحال ما بين وطنه المخلاف السليمانى والحجاز واليمن الاسفل واليمن الاعلى وحلى بن يعقوب ، وممن مدحهم :

١ ـ رؤساء المخلاف السليمانى .

٢ ـ امراء حلى بن يعقوب .

٣ ـ امراء مكة .

٤ ـ ملوك الدولة الرسولية .

٥ ـ ائمة اليمن الاعلى وله مراثى فيمن مدحهم وفى أفراد من أسرته .

عمر طويلا وشهر عنه أنه ما مدح أحدا الا رثاه ـ راجع كتابنا القاسم بن هتيمل دراسة وتحليل وشرح وتحقيق ومختارات من شعره ط . دار الكتاب العربى بمصر ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م .

له ديوان كبير مخطوط يوجد منه عدة نسخ فى :

١ ـ المكتبة العقيلية بجازان .

٢ ـ مكتبة الشيخ محمد سرور صبان رحمه الله .

٣ ـ لدى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل فى الرياض .

٤ ـ نسخة فى مكتبة نيودلهى بالهند .

٥ ـ نسخة مصورة فى مكتبة القاهرة .

❊ ❊ ❊

[٦] حاشية على ص ٤٣

« الأمير فخر الدين أحمد بن على الكنانى »

هو أمير بلاد حلى بن يعقوب أحمد بن على الحرامى الكنانى من اسرة مشهورة المكانة توارثت رئاسة قبائل (حلى بن يعقوب) وامارتها اشبه ما يكون باقطاعية متوارثة ، وبعد ذلك ارتبطت سياسيا بشرافة (مكة) وغيرها وقد وفد الرحالة ابن بطوطة فى رحلته على بعض امراء هذه الاسرة واشار الى ذلك فى ص ١٥٦ ج١ فقال تحت عنوان سلطان حلى :

(سلطانها عامر بن ذؤيب من بنى كنانة وهو من الادباء الفضلاء الشعراء صحبته من مكة الى جدة وكان قد حج سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٣٠ م ولما قدمت مدينته انزلنى واكرمنى واقمت فى ضيافته بها) . .

هذا وقد مر ما يقرب من مائة سنة من عهد عميد الاسرة الكنانية فى القرن السابع احمد بن على الى عهد عميدها فى القرن الثامن (عامر بن ذؤيب) وهى متحلية بخلق السيادة والمجد والعلم والادب وقد استمرت على هذا النهج الرفيع الى القرن العاشر .

❊ ❊ ❊

[٢٧] حاشية على ص ٤٤

« قصيدة الشاعر ابو كبير »

البيت من قصيدة للشاعر ابى كبير الهذلى قالها فى ابن زوجته تأبط شرًّا أولها

ولقد سريت على الظلام بمغشم — جلد من الفتيان غير مثقل . .
ممن حملن به وهنّ عواقد — حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرىء من كل غُبّر حيضة — وفساد مرضعة وداء مغيل
حملت به فى ليلة مزؤدة — كرها وعقد نطاقها لم يحلل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنا — سهدا ، اذا ما نام ليل الهوجل
فاذا نبذت له الحصاة رأيته — ينزو لوقعتها طمور الاخيل
واذا يهبّ من المنام رأيته — كرتوب كعب الساق ليس بزمل
ما ان يمس الارض الا منكب — منه ، وحرف الساق طى المحمل
واذا رميت به الفجاج رأيته — يهوى مخارمها هوى الاجدل
واذا نظرت الى اسرة وجهه — برقت كبرق العارض المتهلل
صعب الكريهة لا يرام جنابه — ماضى العزيمة كالحسام المصقل
يحمى الصحاب اذا تكون عظيمة — واذا هم نزلوا فمأوى العيل

❊ ❊ ❊

[٢٨] حاشية على ص ٤٨

« سوق البانيان فى مدينة ابى عريش »

البانيان : طائفة من الهنود يمارسون العمل التجارى ، والعلاقات التجارية موجودة بين الهند وشبه الجزيرة ـ كما يظهر ـ من العهود السالفة ، وبالاخص فى عدن ومدينة جدة ، ـ بعد إعمار فرضتها بعد الاسلام وفى ما بعد القرن الثانى وما بعده ـ وكذا فى بعض مدن تهامة ، ويليهم (الفرس) وان كان فى جدة اكثر ، وقد اشار اليهم ابن المجاور فى كتابه المستنصر(١) ، ويوجد جاليات من الهنود والفرس واليهود ـ ايضا ـ فى صنعا (٢) .

ووجود سوق للبانيان فى مدينة ابى عريش يدل على وجود جالية منهم فى المدينةتمارس الاعمال التجارية وتجلب عروض تجارتها من الهند بحرا . وقد اشرنا الى ذلك فى كتابنا الادب الشعبى فى الجنوب فى حاشية ص ٩٤ جـ١ ، وكانت السفن الهندية تصل الى موانىء تهامة ، حتى لهج بذكرها الشعراء الشعبيون ومنهم الشاعر ناصر بن محمد القحل الذى عاش فى القرن الثالث عشر(٣) .

❊❊❊

---

(١) ابن المجاور ص ٤٣ جـ ١ .

(٢) اكتشاف جزيرة العرب : جاكلين بيرين ترجمة قدرى قلعجى ص ٨٤ .

(٣) كتاب الأدب الشعبى ص ٩٤ جـ ١ للمحقق .

[٢٩] حاشية على ص ٥٣

« قلعة جازان الاعلى »

قلعة تأريخية عرفت باسم (الثريا) تردد اسمها فى تواريخ المنطقة المخطوطة ، بل وفى اشعار شعرائها منهم :

١ ـ الشاعر القاسم بن على بن هتيمل ـ القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ـ راجع كتابنا الموسوم بـ « الشاعر القاسم بن هتيمل دراسة وتحقيق وتعليق طبع دار الكتاب العربى القاهرة ١٣٨١ ـ ١٩٦١ » .

٢ ـ الجراح بن شاجر الذروى القرن التاسع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادى ـ راجع كتابنا « الجراح بن شاجر دراسة وتعليق وتحقيق ، طبع دار الكتاب العربى القاهرة سنة ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ » .

فالاول يقول فى قصيدة دالية :

اذا ما رماح الخط لم ترد هاربا ... الى « الدرب »[1] اردته رماح المكائد

وما خلفه من صحن صرح ممرد ... وكان لشيطان من الانس مارد

ولولا دفاع الله عنهم وخوفه ... ـ على روحه ـ القى لكم بالمقالد

كما يقول من قصيدة أخرى مستهلها :

ناب عن عذره سواد عذاره ... اذ ازار الشباب تحت ازاره

ومنها البيت الآتى :

لاذ بالدرب ثم ادلج يسترجـ ... ـف ، لما اتيتم لحصاره

واسم الدرب هو يطلق على مدينة جازان الاعلى . كما يطلق عليها فى كتب التاريخ ـ ايضا ـ اسم جازان واسم (درب النجا) والدرب ، وهى المدينة الوحيدة المسورة بسور ذى ابراج فى المنطقة . وقول الشاعر من قصيدة لامية :

فادلج من بروج الدرب يهوى ... الى السلبين من اهل ومال

---

(١) من اسماء مدينة جازان الاعلى : أسماء : « الدُّرْب » و « درب النجا » و « جازان الأعلى » و « جازان العليا » .

اما الشاعر الآخر فهو يسمى القلعة باسمها التاريخى (الثريا) فى إحدى قصائده اذ يقول :

اوما رأيت المقربات تطاولت — اعناقها وتشوفت لتراه . . .
والقبة البيضاء بالقصر الذى — فى (درب) جازان المنيع حماه
وترى (الثريا) كالثريا سمكها — عالٍ ، على بدر السها وعلاه

ومن كل ما تقدم يُعرف ان مدينة جازان الاعلى وقلعتها التاريخية موجودة من قبل القرن السابع الهجرى .

❊ ❊ ❊

[٣٠] حاشية على ص ٦٤

« من ديوان ابن هتيمل »

الثلاثة الأبيات من قصيدة معروفة للشاعر المخلافى القاسم بن على بن هتيمل مستهلها

أدرهـا بـأطـراف الأسـنـة واشـربى	وغن بـوقـع البِيِض فى الْبَيْضِ واطـرب

وقد وردت الثلاثة الابيات فى النسخة الام ـ الاصل ـ على الصورة الاتية كما يرى القارىء الكريم فى مصورها المرفق (ص٦١) :

أبت همتى أن تـرأم الضيـم وارتفعت	الى مـذهـب بـالاريـحـيـة مـذهـب
وقـوبـلت فى عـم وخـال مـسـود	كـريـم ومن جد حسـيـب ومن أب
تـعـودت تـعـقـيد الامـور وحـلهـا	بحـظي من حـلول الصـلب فى قلب

وقد اوردناها فى ص ٦٤ مصححة طبقا للديوان : ولهذا جرى التنبية .

❋ ❋ ❋

استبيانات الكتاب

مصادر الدراسات والحواشى والتعليقات

اسم الكتاب	المؤلف
التاريخ الاسلامى	بركلمان
تاريخ مكة	السباعى
المخلاف السليمانى	محمد بن احمد العقيلى
أبناء الزمن تاريخ اليمن	يحيى بن الحسين
البدر الطالع	محمد الشوكانى
المعجم الجغرافى	محمد بن احمد العقيلى
الأدب الشعبى	محمد بن احمد العقيلى
ديوان الحماسة	أبو تمام
التيارات السياسية المعاصرة	عبدالرحمن البطريك
تاريخ عدن	حمزة لقمان
اكتشاف جزيرة العرب	ترجمة قدرى قلعجى
دليل الخليج	ترجمة ديوان حاكم قطر
تاج العروس	الزبيدى
الآثار الباقية	البيرونى
دائرة معارف وجدى	فريد وجدى
تاريخ العالم	وزارة المعارف المصرية
دائرة المعارف الاسلامية	ترجمة
السيرة النبوية	ابن هشام
تاريخ ابن خلكان	ابن خلكان
زهر الآداب	الحصرى
كتاب الجراح بن شاجر	محمد بن احمد العقيلى
تاريخ ابن المجاور الدمشقى	ابن المجاور الدمشقى
العقيق اليمانى ـ مخطوط	عبدالله بن على النعمان
ديوان الشاعر ابن هتيمل ـ مخطوط	ابن هتيمل
خلاصة العسجد ـ مخطوط	البهكلى
نزهة الظريف ـ مخطوط	على بن عبدالرحمن البهكلى

❊ ❊ ❊

أسماء الكتب الواردة فى الكتاب

❊ ❊ ❊

أستبيان الأبيات الشعرية
الواردة فى الكتاب

الصفحة	الشطر الأول	القافية	قائله
٢٦	وان من لا يعرف الاخبارا	حمارا	محمد بن حسين بن سليمان
٢٨	هذه الدنيا وهذا شأنها	اعوانها	
٢٩	قد كان دهرك اذ تأمره ممتثلا	مأمورا	ابن اللبانة الاندلسى
٢٩	ماضى الجنان يريه الحزم قبل غد	غد	ابو الطيب المتنبى
٣١	ومقام الكريم فى ساحة الذل	حرام	ابو الطيب المتنبى
٣١	لدى اسد شاكى السلاح مقذف	تقلم	زهيرابن ابى سلمى
٣٢	ومن لم يخف من غائلات عدوه	مخالبه	
٣٢	ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه	يظلم	زهيرابن ابى سلمى
٣٢	ومن يجعل الضرغام بازا لصيده	تصيدا	ابو الطيب المتنبى
٣٢	يعد الفتى اخوانه لزمانه	اعده	
٣٣	وكان كالساعى الى متعب	الراعد	
٣٣	اهم بأمر الحزم لو استطيعه	النزوان	صخر بن عمرو بن شريد
٣٣	انى لاكتم من علمى جواهره	فيفتتنا	زين العابدين بن الحسين
٣٤	ولم اجد الانسان الا ابن سعيه	اجدرا	ابن هانى الاندلسى
٣٥	ولا لوم فيما لا يطاق وانما	الامر	
٣٥	بيت حمت عنه اسنة تغلب	لطوال	
٣٦	فتية لم تلد سوى للمعالى	الميلاد	
٣٦	خطيب اذا ما قام فى رأس منبر	الجرد	احمد بن مسعود
٣٦	امخبرى ان الطريق قد عفت	ظهرى	اسماعيل المحلوى
٣٧	يلقى الندى برقيق وجه مسفر	صفيقا	
٣٧	عجبا للدهر ماذا سنه	عجبا	قاسم بن على الذروى
٣٧	فان تك افنته الليالى فأوشكت	الليالى	
٣٨	وما السيد القمقام عندى بسيد	الرغائب	
٤٠	بقيت ووفرى وانصرفت عن العلى	عبوس	الاشتر النخعى
٤٠	تردى ثياب الموت حمرا فما اتى	خضر	ابو تمام
٤٠	كذا فليجل الخطب وليفدح الامر	عذر	===
٤٠	لولا الحيا وانى اخى بفعلة	ملام	
٤٠	اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا	هم	ابو الطيب المتنبى

الصفحة	الشطر الأول	القافية	قائله
٤١	كأن له في الجو حبلا يبوعه	حبل	ابن الرومي
٤١	كأنه عاشق قد شق صفحته	مرتحل	الأخطل الدهوري
٤١	يقعى جلوس البدوي المصطلى	لم تحدلى	المتنبي
٤١	ومنزل ليس لنا بمنزل	الهطل	المتنبي
٤١	ومد على صليب الصلب منه	شمال	عمارة
٤١	وردت يداه عظيم ما جلبا	غربا	عمارة
٤١	ما به قتل اعاديه ولكن	الذئاب	المتنبي
٤٢	انما بدر بن عمار سحاب	عقاب	المتنبي
٤٢	لما رأيت عراص القصر خالية	سادات	عمارة
٤٢	عبد الرحيم قد احتجب	العجب	عمارة
٤٣	الحمد للعيس بعد العزم والهمم	نعم	عمارة
٤٣	انا سمعنا نسبا منكرا	الجامع	
٤٣	فرطت يوم وداعه يا صائد	مكائد	قاسم بن هتيمل
٤٣	ان رشتني فزهير راش جناحه	متفاقد	===
٤٣	وعمارة الحدقي قام بحاله	العاضد	===
٤٤	فخير نحن عند الناس منك	يال	
٤٤	تأخرت استبقى الحياة فلم اجد	اتقدما	
٤٤	ممن حملن به وهن عواقد	مهبل	ابو كبير الهذلي
٤٦	لا يبعدن قومي الذين هم	الجزر	بشر بن عمرو بن مرتد
٤٦	لم يطيقوا ينزلوا منزلنا	النزالا	مهلهل
٤٦	فيهم اخا ثقة يضارب نازلا	ينزل	عنترة
٤٦	ليث بعثر يصطاد الرجال اذا	صدقا	زهيرابن ابى سلمى
٤٧	اذا لم يكن الا الاسنة مركبا	ركوبها	
٤٨	اليك والا لا نجاح لطالب	الرغائب	يحيى بن صلاح الوشلى
٥٠	ستبلغ في علياك ما كنت آملا	كاملا	عماد الدين صلاح
٥٠	وصغيرة حاولت فض ختامها	وتلطف	احمد بن المهدى
٥٠	قلت لما رأيت من تبع الملك	محلا	عماد الدين بن لطف الله
٥١	بروحي ومالي جيرة ما استعنتهم	معانا	
٥١	دنوت اليها وهو كالفرخ راقد	اذلالى	ابن نباتة
٥٢	وكم رافض امرا وفيه نجاته	افعى	
٥٣	اتبنى بناء الخالدين	قليل	
٥٥	مساوٍ لو قسمن على الغواني	الطلاق	
٥٥	الا رب نصح يغلق الباب دونه	مقرب	
٥٥	ولم ار ظلما مثل ظلم ينالنا	بالشكر	

الصفحة	الشطر الأول	القافية	قائله
٥٦	اقول كما يقول حمار سوء	يطيق	
٥٧	والخيل تصهل والفوارس تدعى	تزهر	البحترى
٥٧	ولا خير فى رد الاذى بمذلة	عمرو	ابو فراس
٥٨	هن المفاخر قد ضمنت لها	ما يجب	
٥٨	ومن ظن بان قد يلاقى الحروب	عجزا	
٥٩	وكل يرى طرق الشجاعة والندى	قائد	المتنبى
٥٩	غاض الوفا فما تلقاه فى عدة	والقسم	=
٥٩	ارى الناس مخسوفا بهم غير انهم	صعيدها	
٦٠	ومن لا يتق الضحضاح زلت به	العميق	
٦٢	كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى	أسد	
٦٢	حوادث يبديها العيان كما ترى	العقل	
٦٣	نحن بنو الحرب متى شمرت	وضاع	
٦٣	واذا ما خلى الجبان بارض	النزالا	المتنبى
٦٣	بذا قضت الايام ما بين اهلها	فوائد	=
٦٣	ولم تزل قلة الانصاف قاطعة	رحم	=
٦٤	ابت همتى ان ترأم الضيم وارتقت	مذهب	ابن هتيمل
٦٤	قلم يفل الجيش وهو عرمرم	الاغماد	
٦٤	انا الذائد الحامى الذمار وانما	مثلى	
٦٥	وليس بأول ذى همة	النائل	المتنبى
٦٦	ملكنا فكان العفو منا سجية	ابطح	ابن الصيفى
٦٦	واذا رأيت صعوبة فى مطلب	الدينار	بديع الزمان الهمذانى
٦٦	متقلدين صفائحا هندية	يولد	
٦٧	قناة سطت للطعن حتى تقصدت	تثلما	الحصين المرى
٦٨	فالليث اكبر أن يصطاده جرذ	خرب	
٦٩	اقول لها وقد طارت شعاعا	تراعى	قطرى بن الفجاءة
٧١	فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة	كريم	عبادة بن مسلمة
٧١	قصور خلت من ساكنيها فما بها	الدما	ابن اللبانة
٧٣	وذى الدار اخون من مومس	الحابل	المتنبى
٧٣	الآن يا دنيا عرفتك فاذهبى	زوال	المأمون
٧٣	حكم المنية فى البرية جارى	قرار	ابو الحسن التهامى
٧٣	جاورت اعدائى وجاور ربه	جوارى	ابو الحسن التهامى
٧٤	كم فرصة تركت فصارت غصة	تندم	
٧٤	وكأنما برق تألق بالحمى	يلمع	ابن سينا
٧٥	ولم يبق الا من حماها من الظبا	النواهد	المتنبى

استبيان اسماء الرجال

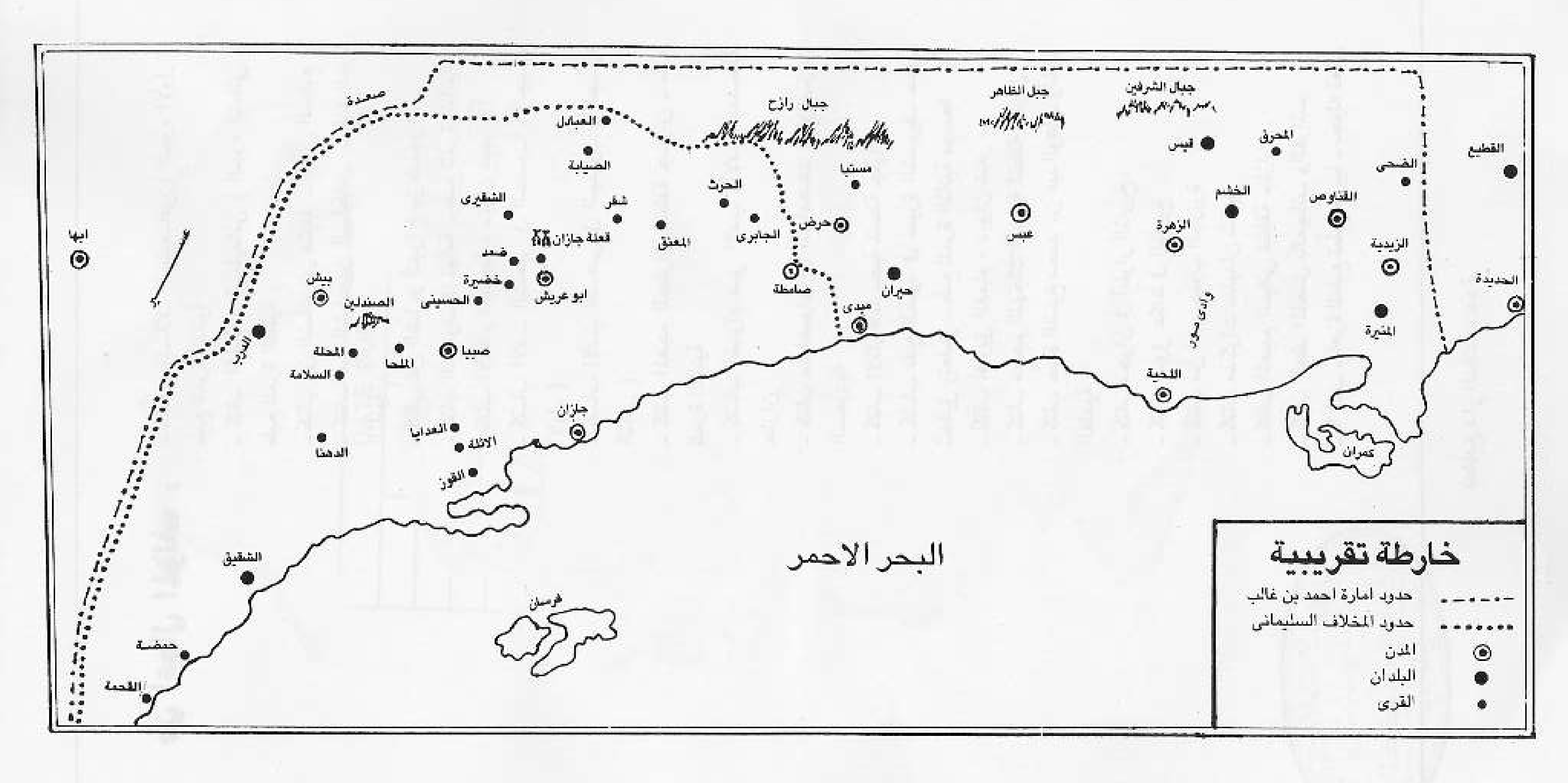
❊❊❊

أستبيان أسماء الشعوب والقبائل والطوائف والامارات

❊ ❊ ❊

استبيان أسماء البلدان

❊ ❊ ❊



خارطة تقريبية
حدود امارة احمد بن غالب
حدود المخلاف السليماني
المدن
البلدان
القرى
البحر الاحمر
جبال رازح
جبل الظاهر
جبال الشرفين
صعدة
ابها
الدرب
بيش
الصيدلين
المحلة
السلامة
الملحا
صبيا
الدهنا
العدايا
الاثلة
القوز
الشقيق
حمضة
القحمة
فرسان
جازان
الحسيني
خضيرة
ضمد
ابو عريش
قلعة جازان
الشقيري
شقر
الصيابة
العبادل
المعنق
الحرث
الجابري
صامطة
حرض
مستبا
ميدي
حيران
عبس
الزهرة
وادي مور
اللحية
كمران
قيس
الخشم
المحرق
القناوص
الضحى
الزيدية
المنيرة
القطيع
الحديدة

الشيخ محمد بن أحمد العقيلي

المؤلف من الرواد السعوديين الذين كُرموا في مؤتمر الأدباء السعوديين بمكة بالميدالية الذهبية من جامعة الملك عبد العزيز بتاريخ ١٣٩٤/٣/٥هـ .

حاضر في كل من جامعة الملك سعود ، وجامعة الامام محمد ابن سعود ، وجامعة الملك عبد العزيز وضمها كتابه « محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية » .

وقد زود المكتبة العربية السعودية بعدد من المؤلفات منها :

- كتاب المخلاف السليماني (الجزء الأول) طبع للمرة الثانية
- كتاب المخلاف السليماني (الجزء الثاني) طبع للمرة الثانية
- كتاب عن الشاعر ابن هتيمل - القرن السابع .
- كتاب عن الشاعرين السلطانين - طبع للمرة الثانية
- كتاب عن الشاعر الجراح بن شاجر
- كتاب التصوف في تهامة - طبع للمرة الثانية
- كتاب [illegible] - ديوان شعر
- كتاب الأدب الشعبي في الجنوب (الجزء الأول)
- كتاب الأدب الشعبي في الجنوب (الجزء الثاني)
- كتاب المعجم الجغرافي لمنطقة جازان - طبع للمرة الثانية
- كتاب أضواء على الأدب والأدباء بمنطقة جازان
- كتاب محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية
- كتاب الآثار التاريخية لمنطقة جازان
- كتاب نفح العود في سيرة الشريف حمود تحقيق وتعليق - طبع للمرة الثانية موسعا
- كتاب أفاويق الغمام - ديوان شعر
- كتاب معجم اللهجات المحلية لمنطقة جازان
- كتاب حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية
- كتاب نجران في أطوار التاريخ
- كتاب سوق عكاظ في التاريخ
- كتاب من أدب جنوب الجزيرة
- كتاب مذكرات سليمان شفيق
- كتاب المعجم النباتي لمنطقة جازان
- كتاب العقد المفصل بالعجائب والغرائب
- ٩ كتب جاهزة للطبع تطبع قريبا - بحوله تعالى